

العنبر المصطفى

من

سيرة النبي المصطفى ﷺ

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن حمزة قاتر الحاشري



دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمَن - عدن

الْعَسَلُ الْمُصَفَّى
مِنْ
سَيِّئَاتِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى

عَلَيْهِ السَّلَامُ





اسم الكتاب: العسل المصفي من سيرة النبي المصطفى

إعداد الشيخ : فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/١٦٧٥٠ .

نوع الطباعة: لون واحد .

عدد الصفحات: ٤٧٢ .

القياس: ٢٤×١٧ .

محفوظ
جميع الحقوق

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن .

٢٠٢٢

الإدارة

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

المبيعات

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

dar_aleman@hotmail.com

E-mail

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبا - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الْمَسَلُ الْمَصْفَى
مِنْ
سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمَصْطَفَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تَأْلِيفُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
فَيْصَلُ بْنُ عَبْدِ وَائِلِ الْحَاسِرِيِّ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

دارُ الأمان
الإسكندرية

دارُ القلم
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قالوا في الكتاب

إِنْ شِئْتَ تَعْرِفْ سِيرَةَ الْمُخْتَارِ فَاشْرَبْ مِنَ الْعَسَلِ الْمُصَفَّى الْجَارِي
عَسَلٌ وَيُخَوِّي الدَّرَّ فِي طَيَّاتِهِ وَمِنْ الْحَلَاوَةِ أَصْدَقُ الْأَخْبَارِ
قَدْ دَبَّجَتْهُ يِرَاعَةٌ ^(١) مَسْلُوءَةٌ لِلْحَاشِدِيِّ الْفَيْصَلِ الْمِغْوَارِ
ذُقْهُ تَجِدْ شَهْدًا عَلَى أَكْنَافِهِ وَتَلَقَّ فِيهِ جُودَةً ^(٢) الْعَطَّارِ
مَازِنُ الْعَرْدِيِّ

وَإِذَا أَرَدْتَ لَذَائِدَ الْأَخْبَارِ فِي وَصْفِ أَحْمَدَ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
فَعَلَيْكَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى إِنَّهُ ذَوْقًا يَفُوقُ سُلَافَةً ^(٣) الْعَصَّارِ
طَاهِرُ الْحَسَنِيِّ

يَا مَنْ يَرُومُ خِلَاصَةَ الْأَخْبَارِ لِيَفِيدَ مِنْهَا سِيرَةَ الْمُخْتَارِ
هَذَا هُوَ الْعَسَلُ الْمُصَفَّى كَاسِمُهُ فِيهِ الشِّفَاءُ وَبَهْجَةُ النِّظَارِ
سُلَيْمَانُ الْعِمَادُ

وَضَعْتَ عَلَى النَّقَاطِ الْغُرَّ ^(٤) حَرْفًا فَزَانَ بِسِيرَةِ الْمُخْتَارِ وَصَفًا
إِذَا طَالَعْتَ فِيهِ ذُقْتَ مِنْهُ حَلَاوَةً وَاضِعَ الْعَسَلِ الْمُصَفَّى
حَمُودُ الْبَعَادِنِيِّ

كِتَابٌ قَدْ حَوَى الْأَخْبَارَ طُرًّا كَمَا قَدْ صَحَّ مِنْ سَنَدِ الرُّوَاةِ
هُوَ الْعَسَلُ الْمُصَفَّى طَابَ وَصْفًا بِهِ كُلُّ الْخِصَالِ السَّاطِعَاتِ

(١) البُرَاعَةُ - بالفتح -: الْقَلَمُ يُتَّخَذُ مِنَ الْقَصَبِ، وَالْجَمْعُ يِرَاعٌ.

(٢) الْجُودَةُ - بِالضَّمِّ -: وَعَاءُ الطَّيِّبِ الَّذِي يُحَرَّرُ فِيهِ، وَالْجَمْعُ جُودٌ.

(٣) السُّلَافَةُ - بِالضَّمِّ -: الْحَمْرُ.

(٤) الْغُرَّةُ: الْبَيْضُ، وَاحِدَتُهَا غَرَاءٌ.

لَعَمْرُكَ خَيْرُ إِرْثٍ فِي الْحَيَاةِ
تِجَارَتِكَ الَّتِي بَعْدَ الْمَمَاتِ
فَيَصِلُ الْجَعْمِيُّ

فِي وَصْفِ أَحْمَدَ خَيْرِ الْعُجَمِ وَالْعَرَبِ
لِلَّهِ كَاتِبُهُ قَدْ جَاءَ بِالْعَجَبِ!
مُحَلِّيًا قَوْلَهُ بِالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ
وَهُوَ السَّيْلُ لِمَنْ يَرْنُو إِلَى الرُّتَبِ
بِلَالُ الْحُطْبَانِيِّ

جَلَاهُ كَاتِبُهُ فِي بُرْجِدٍ^(١) قَشَبٍ^(٢)
مُحَمَّدٍ مَنْ رَمَى الْإِشْرَاكَ بِالشُّهْبِ
شَمْسٌ عَلَى ظُلَمِ الْأَحْيَاءِ وَالشُّعْبِ
شَهْدًا مُصَفًّى عَلَى تَوْرٍ^(٣) مِنَ الذَّهَبِ
عِمَادُ بْنُ عَلِيٍّ

أَنعم به للظَّامِينَ شَرَابًا
مَسْكَاً فَعَمِ الْأَهْلَ وَالْأَحْبَابَا
فِيهِ الْفُصُولُ صَحِيحَةٌ وَعِذَابَا
فِي سَفَرِهِ مَا لَدَّ فِيهِ وَطَابَا
جَمِيلُ الْمَلِكِي

أَفِيصَلُ - يَا رَعَاكَ اللَّهُ - هَذَا
وَيَبْقَى بَعْدَ مَوْتِكَ دُونَ شَكٍّ

يَا مَنْ يُرِيدُ بَدِيعَ الْكُتُبِ قَاطِبَةً
فَلْيُقْرَأَنَّ كِتَابًا قَدْ حَوَى دُرَرًا
لَا يَنْقُلْنَ سِوَى مَا صَحَّ مِنْ خَبَرٍ
سَمَاهُ بِالْعَسَلِ الصَّافِي لِقَارِنِهِ

هَذَا الْكِتَابُ عَرُوسُ الصُّحُفِ وَالْكَتُبِ
قَدْ زَانَهُ ذِكْرُ خَيْرِ الْخَلْقِ قَاطِبَةً
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا بَزَغَتْ
فَسَمَّ رَبَّكَ وَأَنْهَلَ مِنْ صَحَائِفِهِ

عَسَلٌ مُصَفًّى قَدْ سَقَيْتُ صَحَابَا
وَبَسِيرَةَ الْمَخْتَارِ فَاحِ عَبِيرُهُ
فَرَحَتْ بِهِ الْأَجْيَالُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ
فَجَزَى إِلَهُ الشَّيْخِ فَيَصِلَ إِذْ حَوَى

(١) الْبُرْجِدُ - بَضْمُ الْبَاءِ وَالْجِيمِ -: كِسَاءٌ غَلِيظٌ.

(٢) الْقَشَبُ: الْجَدِيدُ.

(٣) التَّوْرُ - بِالْفَتْحِ -: إِنَاءٌ يُشْرَبُ فِيهِ.

کتاب به یحتفی یحتفی
بلفظ وجیز ومعنی جلی
جمیل الحواشی کطل بدا
فکم فیہ من عبرة أصبحت
کتاب مزی سائرًا فی الوری
فلله درک من لودعی
ترنمت دهرًا علی أیکة
بسفر^(١) فريد له وزنه
فیا رب صل وسلم علی
وبارك علیه وأزواجه

أبان لنا سيرة المصطفى
أضاء لنا سيرة تطفی
يروق بأنظار قلب هفا
تموح كعنبر بحر طفا
يتم بأخلاق ذاك الصفا
فقد قلت من طيبة ما كفى
فاتحفت من بالرسول اقتفى
يضيء الطريق لجبل غفا
نبي به يحتفي من قفا
مع الآل والصحب أهل الوفا
عمر بن صيح

ما سيرة المصطفى من خيرة الرسل
لكن أصبت فإننا لم نجد مثلاً
وما رضيت بأن سميت عسلاً
سميته عسلاً حتى يكون لنا
من سيرة المصطفى أخرجت نافجة^(٢)
لله درك من بحاثه نسجت
حلة نسجتها كف صاحبها

بها يشبه ريق النحل في المثل
بها يشبه أحلى من العسل
حتى أضفت له الصافي من الدحل
به الشفاء من الأسقام والعِلل
من مَهجة القلب لا من مَهجة الوعل^(٣)
يداك ما يخلب الأبواب من حلل!
بمغزل كنسج الفكر في الشكل
عبد الكريم الجعفي

(١) السفر - بالكسر -: الكتاب الكبير.

(٢) النافجة: وعاء المسك.

(٣) الوعل - بفتحين -: تيس الجبل.

إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَيَهْزُكَ الشَّوْقُ الْعَظِيمُ لِأَنْ تَرَى
فَعَلَيْكَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى؛ إِنَّهُ
سَارِ الْمَوْلُفِ فِيهِ مُنْتَقِيًا لِمَا
وَتَجَنَّبَ الْخَبَرَ الضَّعِيفَ مُنْزَهَا
فَاقْرَأْهُ تَلَقَّ النُّورَ بَيْنَ سَطُورِهِ
يَكْفِيكَ أَنَّ الْحَاشِدِيَّ أَعَدَّهُ
فَجَزَاهُ رَبِّي خَيْرَ مَا يَرْجُو بِمَا
وَتُرِيدُ فِي دُنْيَاكَ أَنْ تَلْقَاهُ
أَخْبَارُهُ وَحَدِيثُهُ وَخُطَاهُ
سِفْرُ كَانِكَ فِي السُّطُورِ تَرَاهُ
قَدْ صَحَّ عِنْدَ الْعَارِفِينَ شَدَاهُ
وَبِأَجْمَلِ الْأَشْعَارِ قَدْ حَلَاهُ
كَالشَّمْسِ تَنْشُرُ لِلْأَنَامِ سَنَاهُ
وَحَبَاهُ مِنْ جُهْدِ السَّنِينَ مَدَاهُ
أَبْدَاهُ فِيهِ وَمَا سَطَّرَتْهُ يَدَاهُ
أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادُ ^(١)

(١) هو أستاذنا عبد الكريم بن محمد العماد - حفظه الله -، أخذت عنه اللغة والأدب قبل عشرين
حجّة، وما زال يتعاهد الأرض بالري بما لا يتعاهد غيره، فمرأته أبداً مجلوة نقيّة.
وقد وجدته رقيق القلب، سريع الدّمة، مُدَيِّنًا حَسَنَ الأخلاق، متواضعاً محبّاً للسنّة، مُبَغِضاً لِلْبِدْعَةِ،
غزير الفضل، كثير المحفوظ، مُعَظِّمًا للعلم والعلماء.
ومن شعره يمدح شيخنا الوداعي - رحمه الله -:

فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْهُ، لِلَّهِ دَرُهُ!
لَهُ هِمَّةٌ لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ مِثْلَهَا
شُجَاعٌ، صَرِيحٌ، حَازِمٌ، مُتَوَدِّدٌ
لَهُ نَظَرَاتٌ نَاقِبَاتٌ مُنِيرَةٌ
عَلَى الْجَوِّ فَوْقَ الْبَحْرِ بَرًّا سَوَامِقًا
وَمَا رَدَّهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ
وَإِنْ لَمْ يَقْلُهَا الشَّيْخُ ظَلَّتْ حَبِيسَةً

* وهنا تنبيه وهو ما ذكرته في كتابي هذا بقولي: قال أستاذنا فالمقصود عبد الكريم بن محمد العماد
- حفظه الله -.

مُقَدِّمَةٌ

مَا أَعَذَّبَ الشَّعْرُ فِي أَجْوَاءِ سِيرَتِهِ! أَكْرَمَ بِمُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَمٍ! (١)
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

تِلْكَ الشَّيَآتُ، فَادْكُرْ مَطْلَعَ الْقَمَرِ وَأَخْشَعَ مَعَ الْأَلْقِ الطَّافِي عَلَى الذِّكْرِ
لَوْ اسْتَطَعْتُ كَتَبْتُ (النَّثْرَ) مُتَشَحًّا ضَوْءًا مِنَ الشَّمْسِ يُحْيِي أَعْظَمَ الْبَشَرِ (٢)
دُونَكَ هَدَيْتِي حَافِلَةً بِالْمَوَاقِفِ وَالْعَبْرِ، وَلَا هَدِيَّةَ أَجْمَلُ مِنْ سِيرَةٍ مَنْ
لَمْ تَرَ الدُّنْيَا مِثْلَهُ، أَوْ مَنْ يُضَارِعُهُ!.

فِي سِيرَةٍ لَمْ يَرَ التَّارِيخُ تَوَّعَمَهَا بِرَغْمِ مَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ مِنْ سِيرِ
فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ، أَوْ يَوْمِ بَعْثِهِ أَوْ يَوْمِ هِجْرَتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِبَرٍ! (٣)
حَلِيَّتُهَا بِحُلٍّ وَشِيَّةٍ، وَعَطَّرْتُهَا بِعُطُورِ نَفِيسَةٍ، فَهِيَ تَتَجَلَّى فِي حَلِيٍّ إِبْدَاعُهُ
عَلَى الطُّرُوسِ، وَحَالَهَا: «لَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ» (٤).

يُنْمُ عَلَيْنَا الْحَلِيُّ، حَتَّى إِذَا رَمَى بِهِ، بَاتَ وَاشِيَ الْعِطْرُ عَنَّا يُحَدِّثُ (٥)
وَاقْتَصَرْتُ فِيهَا عَلَى الصَّحِيحِ الْمُصَفَّى، وَسَمَّيْتُهَا: «الْعَسَلُ الْمُصَفَّى مِنْ
سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ».

(١) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧٦ / ٥٦٠).

(٢) «الاسْتِهْلَالُ» لِلذِّيَابِيِّ (١٢٦)، وَفِيهِ مَكَانُ (النَّثْرِ): (الشَّعْرُ).

(٣) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (١٢٦).

(٤) «الْفَاخِرُ» (٢١١)، وَ«الْوَسِيطُ» (١٩٥)، وَ«فَضْلُ الْمَقَالِ» (٤٢٧)، وَ«مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ» (٢ / ٢٦٣).

(٥) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣١ / ١٧٣).

إِذَا مَا ذُقْتَهُ عَسَلٌ مُصَفَّى جَتَّتُهُ النَّحْلُ فِي عِلْمٍ شَنَاحٍ^{(١)(٢)}
وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ الرِّسَائِلَ فِي السَّيْرَةِ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ، لَكِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
تَمَيَّزَتْ بِأَمْرَيْنِ:

الأوَّل: التزام الصحة.

الثَّانِي: الصِّيَاغَةُ الْأَدَبِيَّةُ.

قَدْ (اخْتَرْتُهُ) لَوْنًا مِنَ النَّحْلِ نَاصِعًا لِيُعْلَمَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ^(٤)
وَلَكِنْ أَتَحَدَّثُ عَنْهَا، فَهِيَ أَوْلَى بِالْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهَا.
وَالْمِسْكُ مَا قَدْ شَفَّ عَنْهُ ذَاتُهُ لَا مَا غَدَا يَنْعِيْتُهُ بَائِعُهُ^(٥)
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَكُتِبَهُ

أَبُو حَبْرَةَ النَّبِيلِ بْنِ حَبْرَةَ قَائِدِ لُطَا إِسْرِي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ



(١) الْعِلْمُ - بَفَتْحَتَيْنِ -: الْجِبَلُ، وَالْجَمْعُ أَعْلَامٌ، وَعِلَامٌ.

(٢) الشَّنَاحُ - بِالْفَتْحِ -: الطَّوِيلُ، وَالْجَمْعُ شُنُوحٌ.

(٣) «مُنْتَهَى الطَّلَبِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ» (٣٤٧).

(٤) «مُحَاضَرَةُ الْأَدَبَاءِ» (١/ ٧١٩)، وَفِيهِ مَكَانٌ (اخْتَرْتُهُ): (اِنتَحَلْتُهُ).

(٥) «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ» لِلمُحَبِّي الدِّينِ دُرُوَيْشٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ - (١/ ٢١).

اسْمُهُ وَكُنْيَتُهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اسْمُهُ ﷺ

لَعَمْرِكَ مَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا عِلَامَةٌ مَنَارٌ وَمِنْ خَيْرِ الْمَنَارِ اِرْتِفَاعُهَا^(١)
أَسْمَاؤُهُ ﷺ كَثِيرَةٌ، وَكَثَرَةُ الْأَسْمَاءِ فِي مَعْهُدِ الْعَرَبِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ
الْمُسَمَّى، وَالْعَرَبُ مِنْ عَادَاتِهَا إِطْلَاقُ الْأَسْمَاءِ الْكَثِيرَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا شَأْنٍ
عَظِيمٍ، وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٍ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْعَدِيدَةُ، وَالصِّفَاتُ الْحَمِيدَةُ، ذَاتُ الْمَعَانِي
الْفَرِيدَةِ، فَكَانَتْ أَسْمَاؤُهُ ﷺ دَالَّةً كُلَّ الدَّلَالَةِ عَلَى مَعَانِيهَا، وَتَجَسَّدَةً حَقِيقَةً فِي
سُلُوكِهِ وَشُؤْنِهِ؛ أَلَيْسَ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: «الاسْمُ دَالٌّ عَلَى الْمُسَمَّى»، و«لِكُلِّ شَخْصٍ
مِنْ اسْمِهِ نَصِيبٌ»؟!

وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ مَعَ اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ^(٢)

فَمِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ

١ - مُحَمَّدٌ:

لَوْ قِيلَ هَبْ لِلْبَدْرِ اسْمًا آخَرَ! مَا اخْتَرْتُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدًا!^(٣)

(١) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/ ٥٥٤).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧/ ٢٠).

(٣) قَالَهُ مَازِنُ الْعَرْدِيِّ - حَفْظُهُ اللَّهُ -.

وَهُوَ أَشْهَرُهَا، قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عِدَّةٍ مَوَاضِعَ، مِنْهَا قَوْلُهُ
- تَعَالَى -: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْفَتْحُ: ٢٩].

وَبِهِ سُمِّيَ فِي التَّوْرَةِ صَرِيحًا، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَلَاءِ
الْأَفْهَامِ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَلْهَمَهُمُ اللَّهُ ﷺ أَنْ سَمَّوْهُ مُحَمَّدًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ
الْصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، لِيَلْتَقِيَ الْإِسْمُ وَالْفِعْلُ، وَيَتطَابَقَ الْإِسْمُ وَالْمُسَمَّى فِي الصُّورَةِ
وَالْمَعْنَى كَمَا قَالَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ - وَيُرْوَى لِحَسَّانٍ -:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُحِلَّهُ فُذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ^(١)
٢- أَحْمَدُ:

يَا أَحْمَدَ الدُّنْيَا، وَقَدْ يَغْنَى بِهَا عَنْ كُنْيَةٍ، وَاسْمُ الْعَظِيمِ عَظِيمٌ^(٢)
وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ الْمَسِيحُ، وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ
- تَعَالَى -: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ
مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصَّف: ٦].

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا فَأَكْرَمَ خَلْقَ اللَّهِ فِي النَّاسِ أَحْمَدُ^(٣)
وَقَالَ آخَرُ:

هُوَ اللَّهُ كَمَلِ أَوْصَافِهِ وَسَمَّاهُ بَيْنَ الْوَرَى أَحْمَدًا

(١) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٢/٢٦٦).

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٥/٤٦٩).

(٣) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (١٥/٣٩).

والفرق بين محمد وأحمد من وجهين:

الوجه الأول: أن محمدًا هو المحمودُ حمدًا بعد حمدٍ، فهو دالٌّ على كثرة حمد الحامدين له، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه، و(أحمد) أفعل تفضيل من الحمد، يدلُّ على أن الحمد الذي يستحقُّه أفضل مما يستحقُّه غيره. فمحمدٌ زيادة حمد في الكمية، وأحمد زيادة في الكيفية، فيحمد أكثر حمد، وأفضل حمد حمده البشر.

والوجه الثاني: أن محمدًا هو المحمودُ حمدًا متكررًا كما تقدّم، وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره. فدلَّ أحد الاسمين - وهو محمد - على كونه محمودًا، ودلَّ الاسم الثاني - وهو أحمد - على كونه أحمد الحامدين لربه^(١).

٣- الحاشر:

لِيَهِنَكَ مَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ؛ إِنَّهَا مَوَاقِفُ هُنَّ الْغُرِّي فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ^(٢) وَهُوَ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِهِ، فَكَأَنَّهُ بُعِثَ لِيُحْشَرَ النَّاسَ.

٤- الماحي: وَهُوَ الَّذِي مَحَا اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ.

٥- العاقب:

عَاقِبٌ مَاحٍ، مَحَا اللَّهُ عَنْكَ بِكَ مَا نَحَذَرُ مِنْهُ الْعِقَابَا^(٣)

(١) «جلاء الأفهام» (٨٣).

(٢) «ديوان بهاء الدين» (١٦٦).

(٣) «دواوين الشعر العربي» (٦٢ / ٨).

وَالْعَاقِبُ: هُوَ الَّذِي يَخْلُفُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فِي الْخَيْرِ، وَهُوَ قَدْ عَقَبَ الْأَنْبِيَاءَ،
وَكَانَ آخِرَهُمْ ﷺ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى تِلْكَ الْأَسْمَاءِ قَوْلُهُ ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا
الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى
قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»^(١).

٦ - الْمُتَوَكِّلُ:

بَشِيرٌ نَذِيرٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ رَعُوفٌ رَحِيمٌ شَهِيدٌ مُتَوَكِّلٌ^(٢)
وَالْمُتَوَكِّلُ: هُوَ الَّذِي يَتَوَكَّلُ عَلَى رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالِهِ، قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: لَقِيتُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ، قَالَ:
أَجَلٌ وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣) [الْأَحْزَابُ: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ
الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَطٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ^(٤).

٧ - نَبِيُّ التَّوْبَةِ:

وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ بِهِ بَابَ التَّوْبَةِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

٨ - نَبِيُّ الرَّحْمَةِ:

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ^(٥)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤).

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٩٧ / ٨٣).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ: التَّفْسِيرُ ٤٨ سُورَةُ الْفَتْحِ.

(٤) «دِيَوَانُ شَوْقِي» (٦).

فَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، فَرَحِمَ بِهِ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ،
مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّ لَنَا نَفْسَهُ
أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي^(١)، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ،
وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»^(٢).

٩- نَبِيُّ الْمَلَا حِم:

لَكُمْ شَيْمٌ لَيْسَتْ لِخَلْقٍ سِوَاكُمْ سَمَاحٌ وَصِدْقُ الْبَأْسِ عِنْدَ الْمَلَا حِم^(٣)
وَنَبِيُّ الْمَلَا حِم: هُوَ الَّذِي بُعِثَ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ:
«أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَأَنَا الْمُقَفِّي، وَأَنَا
الْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ الْمَلَا حِم»^(٤).

قَالَ الْمُلَّا عَلِيُّ الْقَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَعَارِضَ بَيْنَ رَسُولِ الرَّحْمَةِ وَرَسُولِ
الْمَلَحْمَةِ؛ إِذْ هُوَ سَلَمٌ لِأَوْلِيَائِهِ حَرْبٌ لِأَعْدَائِهِ»^(٥).

١٠- الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ:

حَلِيمٌ عَظِيمٌ رَاحِمٌ مُتَكَرِّمٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَاهِبٌ مُتَطَوِّلٌ^(٦)

(١) الْمُقَفِّي: هُوَ بِمَعْنَى الْعَاقِبِ، وَهُوَ الْمُتَّبِعُ لِلْأَنْبِيَاءِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٥٥).

(٣) «دِيَوَانُ رِبْعَةِ الرَّقِّي» (٣٥).

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» (٣٦٨)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» (٣١٦).

(٥) «عُمْدَةُ الْقَارِي» (٤٥ / ٣).

(٦) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٢٥ / ٨٣).

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿التَّوْبَةُ: ١٢٨﴾.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي: الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ: الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقْبِي، وَأَنَا الْعَاقِب: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَءُوفًا رَحِيمًا»^(١).

تَحَلَّى بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ وَإِنَّهُ رَءُوفٌ رَحِيمٌ مَنبَعُ الْفَضْلِ وَالصَّبْرِ مَحَا ظُلْمَةَ الطُّغْيَانِ وَالْجَهْلِ وَالْهَوَى بَعْدَلٍ وَإِحْسَانٍ وَبِالرَّفَقِ فِي الْأَمْرِ كُنْيَتُهُ ﷺ:

مُبَارَكُ الْأِسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ كَرِيمُ الْجَرِشَى، شَرِيفُ النَّسَبِ^(٢) كُنِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي الْقَاسِمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكْنُوا بِكُنْيَتِي»^(٣).

مُبَارَكُ الْأِسْمِ مَيْمُونٌ، مَائِرُهُ عَمَّتْ، فَاتَّارَهَا بِالْغُورِ وَالْأَكَمِ تِلْكَ هِيَ بَعْضُ أَسْمَائِهِ الطَّيِّبَةِ الْحَسَنَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعَانِيهَا الْعَظِيمَةِ الرَّائِعَةِ فَهُوَ ﷺ عَظِيمٌ مُكْرَّمٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَخُلُقِهِ، وَكُلِّ شَمَائِلِهِ.

مَنْ ذَا كَمِثْلِكَ - يَا حَبِيبَ اللَّهِ - إِنْ ذُكِرَ الْأَحَبُّ تَلَاشَتْ الْأَحْبَابُ حُزَّتِ الْفَضَائِلُ كُلُّهَا، فَتَعَدَّدَتْ لَكَ إِثْرَهَا الْأَسْمَاءُ وَالْأَلْقَابُ^(٥)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨٩٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤).

(٢) «شَرْحُ دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّي، لِلْوَاحِدِيِّ» (٣٠٨/١) وَأَغْرُ اللَّقَبِ، أَي: مَشْهُورُهُ، وَالْأَغْرُ مِنَ الْخَيْلِ: الْأَبْيَضُ الْجَبْهَةِ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ وَاضِحٍ، وَالْجَرِشَى: النَّفْسُ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢١٢٠)، وَمُسْلِمٌ (٢١٣١).

(٤) وَالْغُورُ: كُلُّ مَا انْحَدَرَ مُغْرَبًا عَنْ تَهَامَةٍ.

(٥) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

نَسَبُهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نَسَبٌ بِأَجْنَحَةِ الْمَلَائِكَةِ ارْتَقَى شَأْوًا إِلَيْهِ الْوَهْمُ لَيْسَ بِوَاصِلٍ^(١) مَنْ تَأَمَّلَ نَسَبَ النَّبِيِّ ﷺ الشَّرِيفَ، وَطِيبَ أَصْلِهِ الْمُنِيفِ - عَرَفَ اصْطِفَاءَ اللَّهِ لَهُ، وَكَمَالَ عِنَايَتِهِ بِهِ، وَقَدْ أَقَرَّ بِنَسَبِهِ الشَّرِيفِ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ؛ فَهَذَا أَبُو سُفْيَانَ يُقَرُّ أَمَامَ هِرْقَلٍ بِعُلُوِّ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ: «كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟»، فَأَجَابَ أَبُو سُفْيَانَ - وَهُوَ حِينِيذٌ عَلَى الْكُفْرِ -: «هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ».

قَالَ هِرْقَلُ: «فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا»^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلِنَسَبِهِ مِنَ الشَّرَفِ أَعْلَى ذِرْوَةٍ، وَأَعْدَاؤُهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا شَهِدَ لَهُ بِهِ عَدُوُّهُ إِذْ ذَاكَ أَبُو سُفْيَانَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَشْرَفَ الْقَوْمَ قَوْمَهُ، وَأَشْرَفَ الْقَبَائِلَ قَبِيلَتَهُ، وَأَشْرَفَ الْأَفْخَاذِ فَخِذَهُ»^(٣) «(٤)».

شَهِدَ الْأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى الْعِدَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ

(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٧/٢٥٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٨٢).

(٣) الْفَخِذُ فِي الْعَشَائِرِ: أَقْلٌ مِنَ الْبَطْنِ، أَوَّلُهَا الشَّعْبُ، ثُمَّ الْقَبِيلَةُ، ثُمَّ الْفَصِيلَةُ، ثُمَّ الْعِمَارَةُ، ثُمَّ الْبَطْنُ، ثُمَّ الْفَخِذُ. انْظُرْ: «الصَّحَاحُ» (٥٦٨/٢).

(٤) «رَأْدُ الْمَعَادِ» (١/٧٠).

وَقَالَ أَسْتَادُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

يَا أَنْبَلَ الْخَلْقِ أَضْلًا وَأَعْرَقَ النَّاسِ عِرْقًا
وَأَطْهَرَ الْخَلْقِ نَفْسًا وَأَكْمَلَ الْخَلْقِ خَلْقًا
نَفْسِي فِدَاكَ، وَرُوحِي فِدَى لِعِرْضِكَ زَهْقِي
قُلُوبُنَا ذَائِبَاتٌ إِلَى لِقَائِكَ شَوْقًا
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهِي مَا لَا حَتَّ الشَّمْسُ شَرْقًا

١- نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ:

قَدْ أَخْطَأَ النَّجْمُ مَا نَالَتْ أُبُوَّتُهُ مِنْ سُودْدٍ بَاذِخٍ فِي مَظْهَرِ سَنَمٍ
نُمُوا إِلَيْهِ فَزَادُوا فِي الْوَرَى شَرْفًا وَرَبَّ أَصْلٍ لَفَرَعَ فِي الْفَخَارِ نَمِي^(١)
نَسَبُهُ ﷺ كَمَا يَسُوقُهُ عُلَمَاءُ النَّسَبِ هُوَ:

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ
قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فَهْرٍ بْنِ مَالِكٍ
بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مَدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ
مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ سَاقَ النَّسَبَ: «إِلَى هَاهُنَا مَعْلُومُ الصَّحَّةِ،
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّسَابِينَ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ، وَمَا فَوْقَ عَدْنَانَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ،
وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(٣).

(١) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (٤ / ٥٦٠).

(٢) انْظُرْ: «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٤ / ٢٣٨)، بَابُ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، «زَادُ الْمِعَادِ» (١ / ٧٠).

(٣) «زَادُ الْمِعَادِ» (١ / ٧٠).

سَمَاهِ النَّسَبِ الْوَضَاحُ، فَاجْتَمَعَتْ فِيهِ الْمَحَامِدُ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا^(١)
وَقَالَ آخَرُ:

نَبِيٌّ حَبَا عَدَنَانَ فَضْلًا وَسُودَدًا فَعَمَّتْ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ مَوَاهِبُهُ
أَخُوهُمْ لَا يُدْرِكُ الدَّهْرُ شَأُوهَا وَيَجْهَلُهَا أَعْدَاؤُهُ وَأَقَارِبُهُ^(٢)
٢- نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ:

فَأَقْسِمُ مَا أَتَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبْتُ وَلَا وَلَدْتُ أَتَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَهُ
كَمَا وَلَدْتُ زُهْرَةَ ذَاتُ مَفْخَرٍ مُجَنَّبَةٌ لَوْمَ الْقَبَائِلِ مَا جَدَهُ^(٣)
أُمُّهُ ﷺ هِيَ: أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ
مُرَّةَ^(٤)، فَيُصْبِحُ زُهْرَةُ الَّذِي تَنْسَبُ إِلَيْهِ أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ أَخَا لِقْصِيٍّ جَدِّ النَّبِيِّ
ﷺ الرَّابِعِ، فَرُحْرُهُ وَقُصْيٍ أَخَوَانِ، فَيَلْتَقِي نَسَبُ أَبِيهِ ﷺ مَعَ نَسَبِ أُمِّهِ فِي
كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ.

وَكَانَ أَبُوهَا وَهْبٌ سَيِّدَ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا.
نَسَبٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورًا، وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عُمُودًا^(٥)
وَقَالَ آخَرُ:

نَسَبٌ لِبَادِخٍ مَجْدِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ فَكَمْ هُنَالِكَ مِنْ مَلِيكِ مَائِلٍ

(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٥٩/٣٥).

(٢) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ» (٣٨).

(٣) «سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ» (١/٣٥٢).

(٤) «الرَّوْضُ الْأَنْفُ» (١/٢٦٩).

(٥) «أَخْبَارُ أَبِي تَمَامٍ» (٩).

شَرَفٌ إِلَى الْعَرْشِ انْتَهَى فَأَمَامَهُ تَقِفُ الثَّوَابُتُ وَقَفَّةَ الْمُتَضَائِلِ^(١)
وَقَالَ آخِرُ:

وَاخْتَارَ أَمَنَةَ الْعَذْرَاءَ صَاحِبَةً لِفَضْلِهَا بَيْنَ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ
كِلَاهُمَا فِي الْعُلَا كُفَاءٌ لِصَاحِبِهِ وَالْكُفَاءُ فِي الْمَجْدِ لَا يُسْتَأْمُ بِالْقِيَمِ
فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ شِيدَتْ دَعَائِمُهُ فِي مَنْصِبِ سَنِمِ^(٢)
فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرُهُ الْخَيْرِ مِنْ كِلَا طَرَفِيهِ.

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بَابِنِ ذُرَى شَرَفٍ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ^(٣)



(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٥٦ / ٨٧).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٦٠٦ / ٣).

(٣) «أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ» (١٦).

حَفِظَ اللَّهُ لَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ

تسلَّلَ في الأصلابِ من عهدِ آدمَ فَسَارَ مسيرَ الشمسِ في طالعِ النطحِ
مِنْ حَفِظِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ حَفِظَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ، فَلَمْ يُصِبْهُ مِنْ سِفَاحِ
الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ مِنْ لَدُنْ آدَمَ.

قَالَ ﷺ: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى
أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، وَلَمْ يُصِبنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ»^(١).

نُورٌ تَقَلَّ فِي الْأَكْوَانِ سَاطِعُهُ تَنْقُلُ الْبَدْرَ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ
حَتَّى اسْتَقَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ فَأَنْبَلَجَتْ أَنْوَارُ عُزَّتِهِ كَالْبَدْرِ فِي الْبُهِمِ^(٢)^(٣)
وقال آخر:

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَكْرَمَ مُنْجَبٍ جَرَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ الْمَنَاجِبِ
مُقَابَلَةً أَبَاؤُهُ أُمَهَاتِهِ مُبْرَأَةٌ مِنْ فَاضِحَاتِ الْمَثَالِبِ
وَقَالَ أَسْتَادُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

مِنْ صُلْبِ آدَمَ ثُمَّ فِي الْأَرْحَامِ قَدْ حَفِظَتْكَ عَيْنُ اللَّهِ دُونَ سِفَاحٍ
وَأَتَى بِكَ الرَّحْمَنُ طَهْرًا خَالِصًا حَتَّى تَكُونَ مُطَهَّرَ الْأَرْوَاحِ



(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٤٧٢٨)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»
(٣٢٢٥) مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الْبُهِمُ: اللَّيَالِي الثَّلَاثُ الَّتِي لَا يَبْدُو فِيهَا الْقَمَرُ، وَاحْدَتُهَا بُهْمَةٌ - بِالضَّمِّ -.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٦٠٦/٣).

اصْطِفَاءُ اللَّهِ لَهُ

١- اصْطِفَاءُ النَّبُوءَةِ:

وَكَفَى اصْطِفَاءً كَوْنَنَا مِنْ أُمَّةٍ وَسَطٍ أَجَابَتْ مُصْطَفَاهَا أَحْمَدًا^(١)

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾

[الحج: ٧٥].

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥].

فَعَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَهْلٌ لِلرَّسَالَةِ؛ فَخَصَّهُ بِهَا، وَأَنَّ الْأَمْرَ لَا يُجَارِي
أَهْوَاءَ النَّاسِ فَيَمْنُ يُرَشِّحُونَهُ لِذَلِكَ مِنْ كِبَرَائِهِمْ!.

كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ

عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

فَالَاِصْطِفَاءُ حَقٌّ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ أَحَدٌ؛ فَالْمُرْسَلُ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ
الرَّسُولَ، وَهُوَ ﷺ لَا يَخْتَارُ إِلَّا أَزْكَى الْخَلْقِ قَلْبًا، وَأَشْرَفَهُمْ بَيْتًا، وَأَطْهَرَهُمْ
أَصْلًا، وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا.

عَلِمَ الْإِلَهُ بِأَنَّ أَحْمَدَ أَهْلَهَا جَعَلَ الرِّسَالَةَ فِيهِ دُونَ سِوَاهُ
فَاتَّاهُ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ بِوَحْيِهِ وَاللَّهُ أَيَّدَ دِينَهُ وَحَمَاهُ

(١) «الْوَسِيطُ فِي تَرَاجُمِ أَدْبَاءِ شَنْقِيط» (٢٧٢).

فَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ أَمْرَهُ مَهْمَا تَرَأَتْ حَوْلَكَ الْأَشْبَاهُ^(١)

٢- اصْطَفَاءُ النَّسَبِ:

لَهُ النَّسَبُ الْوَضَّاحُ فِي جَبْهَةِ الْعُلَى مَعَ الْحَسَبِ السَّامِيِّ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ^(٢)
اصْطَفَى اللَّهُ ﷺ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْبُيُوتِ وَأَشْرَفِهَا وَأَعْرَقَهَا.

دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ،
وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى
مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٣).

يُعَدُّ رَسُولُ اللَّهِ فَخْرًا لِمَجْدِهِ وَحَسْبُكَ مَجْدًا فِي الدُّرَى وَالشَّوَاهِقِ^(٤)
وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

يَا أَرْفَعَ النَّاسِ نُبْلًا وَأَعْرَقَ النَّاسِ أَضْلًا
قَدْ زَادَكَ اللَّهُ مَجْدًا فَكُنْتُ لِلْوَحْيِ أَهْلًا
فَأَشْرَقَ الْحَقُّ نُورًا يَمْحُو ظِلَامًا وَجَهْلًا

٣- اصْطِفَاءُ الْمَكَانِ:

هُنَا بِمَكَّةَ آيُ اللَّهِ قَدْ نَزَلَتْ هُنَا تَرَبَّى رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ بَنِي
هُنَا الصَّحَابَةُ عَاشُوا يَصْنَعُونَ لَنَا مَجْدًا فَرِيدًا عَلَى الْآيَامِ لَمْ يَشِبْ
اصْطَفَى اللَّهُ ﷺ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَحَبِّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ.

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-.

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٥٣/٢٥).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٠٠٢).

(٤) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٥٣/٢٥).

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْلَا قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»^(١).

دَارُ التَّقَى، وَمُحَمَّدٌ مِنْهَا أَتَى وَالْمَنْبَعُ الْقُدْسِيُّ مِنْهَا يَطْلُعُ
وَكِتَابُ رَبِّي أَشْرَقَتْ آيَاتُهُ فِي مَكَّةَ الْأَمْجَادِ نُورٌ يَلْمَعُ
بَلَدٌ إِلَيْهَا كُلُّ خَيْرٍ يَنْتَمِي وَالْحَاكِمُ الْجَبَّارُ عَنْهَا يُنْمَعُ
وَالْمَاءُ زَمْزَمٌ، وَالْحَطِيمُ مُبَارَكٌ وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ آيٌ تَسْطَعُ
وَالْكَعْبَةُ السَّمَاءُ فِيهَا قِبْلَةٌ رَمَزُ الْهُدَى لِلْعَالَمِينَ وَمَنْبَعُ

٤- اصْطِفَاءُ الزَّمَانِ:

سَجَدْتُ لِطَيْبِ زَمَانِكَ الْأَزْمَانُ وَتَضَاءَلْتُ فِي وَزْنِكَ الْأَوْزَانُ^(٢)
اصْطَفَى اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قُرْنَا فَقُرْنَا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»^(٣).

سَبَقَ الْبُرْدَ طَيْبُهُ فَهُوَ مَقْرُوءٌ، وَمَا فُضَّ عَنْ كِتَابِ خِتَامُ
وَرَأَى النَّاسُ مِنْ زَمَانِكَ فِي الْيَقَظَةِ مَا لَا تُرِيهِمُ الْأَحْلَامُ
جَلَّ عَنْ سَائِرِ الْعُصُورِ فَقَدْ قِيلَ: مَنَامٌ فَدَامَ هَذَا الْمَنَامُ^(٤)

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٩٢٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٧٠٨٩)، وَحَسَنُهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (٧١٠).

(٢) «حِمَاسَةُ الظُّرَفَاءِ» (٣٨).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «دَوَائِيقُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٦١/٣٥).

وَقَالَ أَسْتَأْذِنُ - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

يَا سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ الْغُرِّ أَجْمَعِهِمْ حَتَّى زَمَانِكَ أَضْحَى سَيِّدَ الزَّمَنِ
لَوْ أَنَّ لِلدَّهْرِ أَفْوَاهًا وَالْسِّنَةِ لَا عَجَزَ الدَّهْرَ مَا أُولِيَتْ مِنْ مَنْ

٥- اصْطَفَاءُ النَّاسِ:

النَّاسُ - مَا لَمْ يَرَوْكَ - أَشْبَاهُ وَالِدَّهْرِ لَفْظٌ، وَأَنْتَ مَعْنَاهُ^(١)
بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا...»^(٢).

فَقَوْلُهُ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» أَي: أَهْلُ قَرْنِي، ثُمَّ أَهْلُ الْقَرْنِ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ، ثُمَّ أَهْلُ الْقَرْنِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، الْأَوَّلُ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ أَتْبَاعُهُمْ، ثُمَّ أَتْبَاعُ
أَتْبَاعِهِمْ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ،
فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ وَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي
قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ؛
فَجَعَلَهُمْ وَزَرَءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ»^(٣).

قَالَ الْعَبَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - : «فَهَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ،

(١) «دِيَوَانُ أَبِي الطَّيِّبِ» (٣٨).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٥٢) وَمُسْلِمٌ (٢٥٣٣).

(٣) (حَسَنٌ مُوقُوفًا) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١/٣٧٩)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الصَّعِيفَةِ» (٥٣٣)،

وَشَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ» (٤١٤).

وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَهُمْ أَفْضَلُ مَنْ مَشَى عَلَى
الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى رُسُلِهِ،
وَرَضِيَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ^(١).
هُمُ النَّاسُ نَاسِي وَالزَّمَانُ زَمَانُهُمْ رِبِيعِي وَكَسْبِي مِنْ رِضَاهُمْ هُوَ الْكَسْبُ^(٢)



(١) «شَرْحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (١٩ / ٤).

(٢) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٧٨ / ٨١).

صفاته الخَلْقِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمٍ^(١)
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْمَلَ النَّاسِ، لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ
- قَطْ - إِلَّا شَبَّهُهُ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، بَلْ أَجْمَلُ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةِ إِضْحِيانٍ
- أَيِ: مُضِيئَةٍ مُقَمَّرَةٍ - وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَمَرِ،
فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ»^(٢).

وَعَنْ رِبْعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ رُبْعَةً»^(٣) مِنَ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ،
أَزْهَرُ^(٤) اللَّوْنِ، لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ، وَلَا آدَمَ^(٥)، لَيْسَ بِجَعْدٍ^(٦) قَطَطٍ^(٧).

(١) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّة» (٦٠٦/٣).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨١١)، وَالدَّارِمِيُّ (٣٣/١)، وَالحَاكِمُ (١٨٦/٤)، وَالبَيْهَقِيُّ

(١٩٦/١)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّامِلِ» (٢٧).

(٣) رُبْعَةً: أَيِ: مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ.

(٤) أَزْهَرَ اللَّوْنِ: هُوَ الْأَبْيَضُ الْمُسْتَنِيرُ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْأَلْوَانِ، وَالزُّهْرَةُ: الْبَيَاضُ النَّيِّرُ.

(٥) وَلَا آدَمَ: الْأَدَمَةُ فِي النَّاسِ السُّمْرَةُ الشَّدِيدَةُ.

(٦) لَيْسَ بِجَعْدٍ: الْجَعْدُ - يَفْتَحُ وَسُكُونٍ - : الشَّعْرُ فِيهِ التَّوَاءُ وَانْقِبَاضُ.

(٧) الشَّعْرُ الْقَطَطُ: الشَّدِيدُ الْجُعُودَةُ.

وَلَا سَبْطٌ^(١) رَجُلٍ^(٢).

عَنْ الْجَرِيرِيِّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ رَجُلٌ رَأَاهُ غَيْرِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟، قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصِّدًا^(٣) «^(٤)».

فَمَا طَلَعَهُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ مُضِيئَةً كَطَلَعَتِهِ الْغَرَاءُ فِي كُلِّ غَاسِقٍ مَهِيْبٌ فَلَوْلَا مَا بِهِ مِنْ تَكْرُمٍ لَمَا لَمَحَتْهُ هَيْبَةٌ عَيْنُ رَامِقٍ^(٥)

١ - صِفَةُ وَجْهِهِ وَأَعْضَائِهِ:

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرٌ دُجَى يُضِيءُ مُلْتَثِمًا أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمٍ^(٦)
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، فَكَانَ وَجْهُهُ كَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ مُسْتَدِيرًا، وَكَانَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ^(٧)، مُشَرَّبَ الْعَيْنَيْنِ حُمْرَةً، أَشْكَلَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ أَدْعَجَ^(٨)، أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ^(٩)، دَقِيقَ

(١) وَلَا سَبْطٌ رَجُلٌ: الشَّعْرُ الْمُسْتَرَسِّلُ، فَالْحَاصِلُ أَنَّ شَعْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ الْجُعُودَةِ، وَلَا شَدِيدَ السُّبُوطَةِ، بَلْ بَيْنَهُمَا.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٤٧) وَمُسْلِمٌ (٢٣٤٧).

(٣) مُقَصِّدًا: هُوَ الَّذِي لَيْسَ بِجَسِيمٍ وَلَا نَحِيفٍ، وَلَا طَوِيلٍ وَلَا قَصِيرٍ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٠).

(٥) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّ» (٥٤ / ٢٥).

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّ» (٥٧٠ / ٥).

(٧) أَهْدَبَ الْأَشْفَارَ: أَيُّ: طَوِيلَ الْأَشْفَارِ، وَهُوَ الَّذِي شَعْرُ أَجْفَانِهِ كَثِيرٌ مُسْتَطِيلٌ، وَأَشْفَارُ الْعَيْنِ: هِيَ مَنَابِتُ الشَّعْرِ الْمُحِيطِ بِالْعَيْنِ، انْظُرْ: «جَامِعُ الْأُصُولِ» (٢٢٦ / ١١)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» (٤١٨ / ٤-٤١٩).

(٨) أَدْعَجَ الْعَيْنِ: الشَّدِيدُ سَوَادِ الْعَيْنَيْنِ. انْظُرْ: «لِسَانُ الْعَرَبِ» (٢٧١ / ٢).

(٩) الْكَحْلُ - بِالْتَّحْرِيكِ - سَوَادٌ يَكُونُ فِي مَغَارِزِ الْأَجْفَانِ خِلْقَةً، قَالَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ، انْظُرْ: «جَامِعُ =

الْحَاجِبِينَ سَابِعُهُمَا، أَرْجَ^(١)، أَقْرَنَ^(٢)، أَبْلَجَ^(٣)، وَاسِعَ الْجَبِينَ، أَعْرَأَجَلَى كَأَنَّهُ يَتَلَأَلُ، وَكَانَ الْعَرَقُ فِي وَجْهِهِ كَاللُّؤْلُؤِ، وَكَانَ أَسِيلَ الْخَدَّيْنِ^(٤) سَهْلُهُمَا، أَقْنَى الْأَنْفِ^(٥)، ضَلِيعَ الْفَمِ، حَسَنَ الثَّغْرِ، بَرَّاقَ الثَّنَائِيَا، إِذَا ضَحِكَ كَانَ يَتَلَأَلُ. وَفِيمَا يَلِي بَاقَةَ عَطَرَةٍ مِنْ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِمَّنْ حَضَرَهُ وَشَاهَدَهُ تَدْلُلٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ^(٦).

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ^(٧). وَسُئِلَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟^(٨)

= «الْأُصُولُ» (١١/٢٣٣)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» (١١/٥٨٤).

(١) أَرْجَ: الزَّجَجُ - يَفْتَحَتَيْنِ - رِقَّةٌ مَحَطَّ الْحَاجِبِينَ وَدِقَّتُهُمَا وَطُولُهُمَا وَسُبُوغُهَا وَاسْتِقْوَامُهَا. انْظُرْ: «لِسَانُ الْعَرَبِ» (٦/٢٠).

(٢) أَقْرَنَ: الْقَرْنُ - بِالْتَحْرِيكِ - أَقْبَرَانُ الْحَاجِبِينَ بِحَيْثُ يَلْتَقِي طَرَفَاهُمَا. «النِّهَايَةُ» (٤/٥٤).

(٣) الْأَبْلَجُ: الْأَبْيَضُ الْحَسَنُ الْوَاسِعُ الْوَجْهَ، وَالْمَعْنَى: مُشْرِقُ الْوَجْهِ مُضِيئُهُ، وَالْبَلَجُ - أَيضًا - عَدَمُ التَّقَاءِ الْحَاجِبِينَ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ وَصْفِهِ بِالْبَلَجِ وَالْقَرْنِ: هُوَ أَنَّهُ ﷺ مِنْ شِدَّةِ إِضَاءَةِ وَجْهِهِ لَا يَطْهَرُ إِلَّا تَقَاءَ الَّذِي بَيْنَ حَاجِبَيْهِ لِحِفَّتِهِ «النِّهَايَةُ» (١/١٥١ - ٤/٥٤)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» (٢/٢١٥).

(٤) أَسِيلُ الْخَدَّيْنِ أَيُّ: قَلِيلُ اللَّحْمِ مِنْ غَيْرِ نُتُوٍ. «مَنَالُ الْمَطَالِبِ» (٧/٥٦٠).

(٥) الْقَنَا فِي الْأَنْفِ: طُولُهُ وَرِقَّةُ أَرْبَبَتِهِ، مَعَ حَدَبٍ فِي وَسْطِهِ، «النِّهَايَةُ» (٤/١١٦).

(٦) «نُصْرَةُ النَّعِيمِ» (١/٤٢٦).

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٤٩) وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

(٨) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: «كَأَنَّ السَّائِلَ أَرَادَ أَنَّهُ مِثْلُ السَّيْفِ فِي الطُّولِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْبَرَاءُ فَقَالَ: «بَلْ مِثْلُ الْقَمَرِ» أَيُّ فِي التَّدْوِيرِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِثْلَ السَّيْفِ فِي اللَّمَعَانِ وَالصَّقَالِ، فَقَالَ: بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ، وَعَدَلَ إِلَى الْقَمَرِ لَجَمْعِهِ الصِّفَتَيْنِ مِنَ التَّدْوِيرِ وَاللَّمَعَانِ».

قَالَ: «لا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ»^(١).

وَسَأَلَ رَجُلٌ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَهُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: «لا بَلْ مِثْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا»^(٢)^(٣).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ، مُشْرَبًا بِحُمْرَةِ»^(٤).

وَعَنْهُ - أَيْضًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... كَانَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ»^(٥).

وَفِي حَدِيثِ يَزِيدَ الْفَارِسِيِّ فِي رُؤْيَيْهِ الْمَنَامِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتِّي قَصَّهَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَقْرَهُ عَلَيْهَا، جَاءَ فِي الْوَصْفِ: «... رَأَيْتُ رَجُلًا ... حَسَنُ الْمَضْحَكِ، أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، جَمِيلُ دَوَائِرِ الْوَجْهِ ...»^(٦).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٥٢).

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: «وَلَمَّا جَرَى التَّعَارُفُ فِي أَنَّ التَّشْبِيهَ بِالشَّمْسِ إِنَّمَا يُرَادُّ بِهِ غَالِبًا الْإِشْرَاقُ، وَالتَّشْبِيهَ بِالْقَمَرِ إِنَّمَا يُرَادُّ بِهِ الْمَلَا حَةُ دُونَ غَيْرِهَا، أَتَى بِقَوْلِهِ: «وَكَانَ مُسْتَدِيرًا» إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّشْبِيهَ بِالصِّفَتَيْنِ مَعًا: الْحُسْنِ وَالِاسْتِدَارَةَ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

(٤) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» مُطَوَّلًا (٨٩ / ١)، وَقَالَ عَنْهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ»، أَنْظَرُ: «تَرْتِيبُ الْمُسْنَدِ» (٨٠-٨١) بِرَقْم (٦٤٨).

(٥) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَالِيلِ النُّبُوَّةِ» (٢١٢-٢١٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤٦٢١).

(٦) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣٦١-٣٦٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» (٤١٢)، وَالدَّارِمِيُّ (٣٣ / ١)، وَحَسَنَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٦ / ٦٥٨)، وَالْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» (٣٤٧).

وَعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ».

قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكِ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ. قَالَ: قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟ قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ^(١). قَالَ: قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ^(٢).

يقولون يحكي البدر في حسن وجهه وبدر الدجى لمن ذلك الحسن ينحطُّ

٢- صِفَةُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً، ضَخَمَ الْهَامَةِ^(٣)»^(٤).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ»^(٥).

وَعَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قُلْنَا لِحَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْنَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ قِرَاءَتَهُ؟ قَالَ: «بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ»^(٦).

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِهِ عَلَى مُسْلِمٍ»: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا وَهُمْ مِنْ سِمَاكِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَغَلَطَ ظَاهِرٌ، وَصَوَابُهُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَنَقَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْغُرَبِ أَنَّ الشُّكْلَةَ حُمْرَةً فِي بَيَاضِ الْعَيْنَيْنِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ، وَالشُّهْلَةُ - بِالْهَاءِ - حُمْرَةٌ فِي سَوَادِ الْعَيْنَيْنِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٩).

(٣) الْهَامَةُ: الرَّأْسُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٢/٦٢٤).

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/١١٦)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/٢١٦) وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي

«صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤٤٩٦).

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٦١).

٣- صِفَةُ شَعْرِ رَأْسِهِ:

فَكَانَتْهُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَأَ يَعْلُوهُ فَوْقَ الرَّأْسِ لَيْلٌ أَسْحَمُ^(١)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَدِيدَ سَوَادِ
الشَّعْرِ»^(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَنْصَافِ
أُذُنَيْهِ»^(٣).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا،
بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، عَظِيمَ الْجُمَّةِ^(٤) إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ^(٥)، عَلَيْهِ حُلَّةٌ^(٦) حُمْرَاءُ،
مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ»^(٧).

وَفِي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيِّ: «لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِلَى مَنْكِبَيْهِ».

كَمُلْتُ بِكَ الْأَخْلَاقَ وَاجْتَمَعَتْ عَلَى رَجُلٍ بِأَجْمَلِ صُورَةٍ وَنَقَاءٍ
وَتَسَاوَتْ الْأَعْضَاءُ فِيكَ تَفَاخُرًا فَلَقَدْ خُلِقْتَ مُكَمَّلَ الْأَعْضَاءِ^(٨)

(١) قَالَهُ مَازَنْ الْعَرْدِيُّ.

(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢٧٥) وَحَسَنَهُ وَالْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤٥٠٩).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٨).

(٤) الْجُمَّةُ - بِالضَّمِّ -: الشَّعْرُ الَّذِي نَزَلَ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ.

(٥) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ» (٩١/ ١٥): «وَأَمَّا شَحْمَةُ الْأُذُنِ فَهُوَ اللَّيْنُ مِنْهَا فِي أَسْفَلِهَا، وَهُوَ مُعَلَّقُ الْقُرْطِ مِنْهَا».

(٦) الْحُلَّةُ - بِالضَّمِّ - الثَّوبُ الْجَدِيدُ، وَكَانَتْ عِنْدَ الْعَرَبِ تَتَكَوَّنُ مِنْ قِمِيصٍ، وَإِرَارٍ، وَرِدَاءٍ.

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٥١) وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

(٨) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

٤- صفة الشيب في رأسه ولحيته:

إِنَّمَا الشَّيْبُ لِابْنِ آدَمَ نَاعٍ قَامَ فِي عَارِضِيهِ^(١) ثُمَّ نَعَاهُ^(٢) (٣)
كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ قَلِيلٌ مِنَ الشَّيْبِ، وَكَانَ أَكْثَرُ
شَيْبٍ فِي فَوْدِي رَأْسِهِ^(٤)، وَكَانَ أَكْثَرُ شَيْبٍ لِحْيَتِهِ فِي عَنَقَتِهِ^(٥) فَوْقَ الذَّقَنِ،
وَكَانَ شَيْبُهُ كَأَنَّهُ خُيُوطُ الْفِصَّةِ يَتَلَأَلُ بَيْنَ ظَهْرِي سَوَادِ الشَّعْرِ الَّذِي مَعَهُ، وَإِذَا
مَسَّ ذَلِكَ الشَّيْبُ الصُّفْرَةَ - وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ - صَارَ كَأَنَّهُ خُيُوطُ الذَّهَبِ
يَتَلَأَلُ بَيْنَ ظَهْرِي سَوَادِ الشَّعْرِ الَّذِي مَعَهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ^(٦).

وَبَنَحُو ذَلِكَ وَرَدَّتِ الْأَحَادِيثُ وَالْأَخْبَارُ، فَمِنْ ذَلِكَ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ
عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ».

قَالَ رِبِيعَةُ: «فَرَأَيْتُ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ،
فَسَأَلْتُ، فَقِيلَ: مِنَ الطَّيِّبِ»^(٧).

مَا شَانَ خَيْرُ الْخَلْقِ شَيْبٌ إِنَّمَا هِيَ أَنْجَمٌ تَحْتَ الْغَمَامِ بَوَادٍ
فَاحْرِصْ إِذَا وَافَاكَ شَيْنُ الشَّيْبِ أَنْ لَا تَخْضِبَنَّ بَيَاضَهُ بِسَوَادٍ

(١) العارضان: جانبا الوجه.

(٢) نَعَاهُ: أَخْبَرَ بِمَوْتِهِ.

(٣) «دِيَوَانُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ» (١٨١).

(٤) الْفُودَانُ: جَانِبَا الْفَرْقِ وَحَرْفَاهُ.

(٥) الْعَنَقَةُ - بِالْفَتْحِ - الشَّعْرُ الَّذِي فِي الشَّفَةِ السُّفْلَى، وَقِيلَ: الشَّعْرُ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ الذَّقَنِ، وَأَصْلُ
الْعَنَقَةِ: خِفَةُ الشَّيْءِ وَقِلَّتُهُ. «النَّهَائَةُ» (٣/ ٣٠٩).

(٦) انْظُرْ: «نَضْرَةُ النَّعِيمِ» (١/ ٤٣٢).

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٤٧) وَمُسْلِمٌ (٢٣٤٧) عَدَا قَوْلَ رِبِيعَةَ.

٥- صفة منكبیه:

مَا تَذُلُّكَ الشَّمْسُ إِلَّا حَذْوَ مَنْكِبِهِ فِي حَوْمَةٍ حَوْلَهَا الْهَامَاتُ تَبْتَدِرُ^(١)
عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ
الْمَنْكِبَيْنِ»^(٢).

حَمَلَ الْمَكَارِمَ عَنْهُمْ فَوَفَى بِهَا عَبْدَ الذَّرَّاعِ^(٣) مَتْنَنَ حَبْلِ الْكَاهِلِ^(٤)
٦- صفة ذراعیه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ شَبَحُ الذَّرَاعَيْنِ»^(٥) ^(٦).
صفة الكفین:

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ وَنَدِيُّ الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلٌّ^(٧)
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخَمَ الْيَدَيْنِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، لَمْ
أَر -بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ- مِثْلَهُ، وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ»^(٨) ^(٩).

(١) «البصائر والذخائر» (٤/ ٢٠٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٥١)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

(٣) عَبْدُ الذَّرَّاعِ: ضَخَمَ الذَّرَّاعِ، وَامْرَأَةٌ عَبْلَةٌ تَامَّةُ الْخَلْقِ. «المصباح المُنِير» (٢/ ٣٩٠).

(٤) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢/ ٣٩٠).

(٥) شَبَحَ الذَّرَاعَيْنِ: أَيُّ: طَوِيلَهُمَا، وَقِيلَ: عَرِضُوهمَا. «النَّهْيَةُ» (٢/ ٤٣٩).

(٦) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٣٢٨-٤٤٨)، وَابَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢٤٤)، وَحَسَنَهُ وَالْأَلْبَانِيُّ

رَضِيَ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤٦٩٢).

(٧) «دِيَوَانُ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ» (٢٥).

(٨) بَسِطَ الْكَفَّيْنِ: الزِّيَادَةُ وَالسَّعَةُ «لِسَانَ الْعَرَبِ» (٧/ ٢٦٠).

(٩) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٠٧).

٧- صفة القدمين:

مَا الْعِزُّ إِلَّا فِي ثَرَى الْقَدَمِ الَّتِي حَسَدَتْ عَلَيْهَا النَّيِّرَاتُ ثَرَاكَ^(١)
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخَمَ الْقَدَمَيْنِ».
وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَنَّ الْقَدَمَيْنِ^(٢)»^(٣).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُوسَ^(٤) الْعَقِيَيْنِ»^(٥).

وَأَحْسَنَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ^(٦)
وَقَالَ شَوْقِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَمَّا الْجَمَالُ فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ وَمَلَا حَهُ الصَّدِيقِ مِنْكَ أَيَّاءُ^(٧)
وَالْحُسْنُ مِنْ كَرَمِ الْوُجُوهِ وَخَيْرُهُ مَا أُوتِيَ الْقَوَادُ وَالزُّعَمَاءُ^(٨)

٨- خاتم النبوة:

أَغْرُ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يُلُوحُ وَيُشْهَدُ^(٩)

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ شَوْقِي» (٧٨٢).

(٢) شَنَّ الْقَدَمَيْنِ - بِالْفَتْحِ - أَيُّ: غَلِيظُهُمَا.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩١٠).

(٤) مِنْهُوسَ الْعَقِيَيْنِ أَيُّ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِيَيْنِ، وَالْعَقِبُ: هُوَ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ تَعْقِيًّا عَلَى أَنَّهُ قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ: «هَذَا أَنْسَبُ وَأَحْسَنُ فِي حَقِّ الرِّجَالِ» انْظُرْ: «الشَّمَائِلُ» لابْنِ كَثِيرٍ (٤٤).

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٩).

(٦) «دِيَوَانُ حَسَّانَ» (١٠)، دَارُ صَادِر.

(٧) أَيَّاءُ الشَّمْسِ - بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ -: نُورُهَا وَحُسْنُهَا.

(٨) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ شَوْقِي» (٦).

(٩) «دِيَوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ» (٤٢).

عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا - أَوْ قَالَ ثَرِيدًا - قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟، قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ، «فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عِنْدَ نَاقِصِ كَتِفِهِ^(١) الْيُسْرَى جُمْعًا^(٢)، عَلَيْهِ خِيَلَانٌ^(٣)، كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ^(٤)»^(٥).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «... كَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَدِيرًا، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ^(٦) يُشْبِهُ جَسَدَهُ»^(٧).
أَكْرَمَ بِخُلُقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٌ كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ، وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ، وَالدَّهْرِ فِي هِمَمٍ!^(٨)

٩- طِيبُ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

الطِّيبُ - أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ - طِيبُهُ والماءُ أَنْتَ - إِذَا اغْتَسَلْتَ - الغَاسِلُ^(٩)

(١) نَاقِصِ كَتِفِهِ: قَالَ الْجُمْهُورُ: هُوَ أَعْلَى الْكَتِفِ، وَقِيلَ: هُوَ الْعَظْمُ الرَّقِيقُ الَّذِي عَلَى طَرْفِهِ، وَقِيلَ: مَا يَظْهَرُ مِنْهُ عِنْدَ التَّحَرُّكِ، سُمِّيَ نَاقِصًا لِتَحَرُّكِهِ.

(٢) جُمْعًا: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ كَجَمْعِ الْكَفِّ، وَهُوَ صُورَتُهُ بَعْدَ أَنْ تَجْمَعَ الْأَصَابِعَ وَتَضُمَّهَا.

(٣) الْخِيَلَانُ: جَمْعُ خَالٍ، وَهُوَ الشَّامَةُ فِي الْجَسَدِ.

(٤) الثَّالِيلُ: جَمْعُ ثُلُوٍّ، وَهُوَ حُبَيِّاتٌ تَعْلُو الْجَسَدَ. قَالَ الْقَاضِي: «وَهَذِهِ الرُّوَايَاتُ مُتَقَارِبَةٌ مُتَّفَقَةٌ عَلَى أَنَّهَا شَاحِصٌ فِي جَسَدِهِ قَدَرُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ».

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٦).

(٦) بَيْضَةُ الْحَمَامَةِ: هِيَ بَيْضَتُهَا الْمَعْرُوفَةُ.

(٧) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

(٨) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧١ / ٩).

(٩) «تَمَةِ الْيَتِيمَةِ» (١ / ١٨٩).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عِنْدَنَا^(١)، فَجَاءَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعِرْقَ^(٢) فِيهَا، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟».

قَالَتْ: هَذَا عِرْقُكَ نَجَعْلُهُ فِي طِينِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ^(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا مَسَسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيْبَاجًا^(٤) أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا شَمَمْتُ رِيحًا - قَطُّ - أَوْ عَرَفًا - قَطُّ - أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ^(٥).

إِنْ قَامَ قَامَ أَرِيحُ الْمِسْكِ يَلْحَقُهُ نَوَاشِرُ الطِّيبِ مِنْ جَنِيهِ تُنْتَسَمُ^(٦)



(١) فقال عِنْدَنَا أَيُّ: نَامَ لِلْقِيلُولَةِ.

(٢) تَسْلُتُ الْعِرْقَ أَيُّ: تَمْسَحُهُ وَتَتَّبَعُهُ بِالْمَسْحِ.

(٣) رواه مسلم (٢٣٣١).

(٤) الدِّيْبَاجُ - بِكَسْرِ الدَّالِ وَقَدْ تَفْتَحُ -: الثِّيَابُ الْمُتَّخَذَةُ مِنَ الْإِبْرَيْسَمِ، وَهُوَ الْحَرِيرُ الْخَالِصُ، فَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٦١).

(٦) «موسوعة الشعر الإسلامي» (٥٦٠ / ٧١).

مَوْلِدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وُلِدَ الْهُدَى فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ^(١)
وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ^(٢).

وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، فَقَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ
- أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ - فِيهِ»^(٣).

وَكَانَ مَوْلِدُهُ ﷺ لِثِنْتِي عَشْرَةٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ
السِّيَرَةِ^(٤).

وَقِيلَ: ثَامِنُهُ^(٥)، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ، وَذَلِكَ عَامَ الْفَيْلِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ^(٦).

(١) «الشُّوْقِيَّاتُ» (١ / ١).

(٢) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١ / ٣٧٤).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) سِيرَةُ أَبِي إِسْحَاقَ (١ / ١٥٩)، وَ«تَارِيخُ ابْنِ جَرِيرٍ» (٢ / ١٦٢)، وَ«دَلَالَةُ النُّبُوَّةِ» (١ / ١٧٤)،
وَ«الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٢ / ٢٤٢).

(٥) أَمَّا الثَّامِنُ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَرَوَى ذَلِكَ الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ
بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ؛ وَلِذَلِكَ صَحَّحَ هَذَا الْقَوْلَ أَصْحَابُ التَّارِيخِ وَاعْتَمَدُوهُ: كَابْنُ فَارِسٍ فِي «أَوْجَزِ
السِّيَرِ» (٧)، وَالْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ فِي «خُلَاصَةِ سِيرَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ» (١ / ٢١١)، وَحَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي
«الْإِسْتِعَابِ» (١٨ - ١٩)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الْخَوَارَزْمِيِّ، وَنَقَلَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ»
(٢ / ٢٤٢) عَنِ الْخَوَارَزْمِيِّ: أَنَّهُ قَطَعَ بِهِ، وَرَجَّحَهُ الْحَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دُحْيَةَ فِي كِتَابِهِ «التَّنْوِيرُ فِي
مَوْلِدِ الْبَشِيرِ»، أَنْظَرُ: «حَاشِيَةُ الْفُصُولِ» (٤٢) لِلْهَلَالِيِّ.

(٦) أَنْظَرُ: «الصَّحِيحَةُ» (٧ / ٤٣٤) لِلْأَلْبَانِيِّ، وَنَقَلَ خَلِيفَةُ فِي «تَارِيخِهِ» (٥٣): الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ.

ضَاءَتْ بِهِ غُرَّةُ الْإِثْنَيْنِ وَابْتَسَمَتْ
عَنْ حُسْنِهِ فِي رَبِيعِ رَوْضَةِ الْحَرَمِ^(١)
وَقَالَ آخِرُ:

قَلْبِي «لَا مَنَةَ» هَلْ أَنْجَبْتُ وَلَدًا
أَمْ أَهْدَتِ الْأَرْضَ مِيزَانًا لِسِتْرَانَا
وَقَالَ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَجَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِي وَعَمَّتْ
بَشَائِرُهُ الْبَوَادِي وَالْقِصَابَا^(٢)
وَأَسَدَتْ لِلْبَرِيَّةِ بِنْتُ وَهْبٍ
يَدًا بِيضَاءَ طَوَّاتِ الرِّقَابَا
لَقَدْ وَضَعْتُهُ وَهَّاجًا مُنِيرًا
كَمَا تَلِدُ السَّمَوَاتُ الشَّهَابَا
فَقَامَ عَلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ نُورًا
يُضِيءُ جِبَالَ مَكَّةَ وَالنَّقَابَا^(٣)
وَضَاعَتْ^(٤) يَثْرُبُ^(٥) الْفَيْحَاءُ^(٦) مِسْكًَا
وَقَالَ آخِرُ:

بُشِّرَى النَّبُوءَةِ طَافَتْ كَالشَّدَى سَحْرًا
وَأَعْلَنْتُ فِي الرَّبَى^(٨) مِيلَادَ أَنْوَارٍ
وَشَقَّتِ الصَّمْتَ وَالْأَنْسَامُ تَحْمِلُهَا
تَحْتَ السَّكِينَةِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

(٢) الْقِصَاب: جَمْعُ قَصَبَةٍ، وَقَصَبَةُ الْبَلَدِ مَدِينَتُهُ.

(٣) النَّقَاب: جَمْعُ نَقَبٍ - بِالْفَتْحِ - وَهُوَ الطَّرِيقُ، وَقِيلَ: الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ فِي الْجَبَلِ.

(٤) ضَاعَتْ: نَفَحَتْ وَفَاحَتْ.

(٥) يَثْرُبُ: مَدِينَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٦) الْفَيْحَاء: الْوَاسِعَةُ.

(٧) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٣/ ١٢٠٢).

(٨) الرَّبَى: جَمْعُ رَبْوَةٍ - بِثَلَاثِ الرَّاءِ -: وَهِيَ كُلُّ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ.

وَهَذِهِدَتْ «مَكَّةَ» الْوَسْنَى ^(١) أَنَامِلُهَا قَاقْبَلِ الْفَجْرُ مِنْ خَلْفِ التَّلَالِ وَفِي
عَيْنِهِ أَسْرَارُ عُشَاقٍ وَسُمَارِ كَأَنَّ فَيْضَ السَّنَى ^(٢) فِي كُلِّ رَابِيَةٍ
مَوْجٌ، وَفِي كُلِّ سَفْحٍ ^(٣) جَدُولٌ ^(٤) جَارِي تَدَافَعِ الْفَجْرُ فِي الدُّنْيَا يَزُفُ إِلَى
تَارِيخِهَا فَجَرَ أَجْيَالٍ وَأَذْهَارِ وَاسْتَقْبَلَ طِفْلاً فِي تَبَسُّمِهِ
وقال لسان الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ:

بمولدك اهتز الوجود وأشرقت قصور بصرى ضاءت الهضب والوهدا ^(٥)



(١) الْوَسْنَى: النَّاعِسَةُ النَّائِمَةُ.

(٢) إِذَا نَأَى أَيُّ: إِعْلَامًا.

(٣) أَسْفَرَ الصُّبْحُ إِسْفَارًا أَيُّ: أَضَاءَ وَأَشْرَقَ.

(٤) السَّنَى - بِالْفَتْحِ -: الضَّوَاءُ السَّاطِعُ.

(٥) السَّفْحُ - بِالْفَتْحِ -: عُرْضُ الْجَبَلِ حَيْثُ يَسْفَحُ فِيهِ الْمَاءُ، وَقِيلَ: أَصْلُ الْجَبَلِ، وَقِيلَ: الْحَضِيضُ الْأَسْفَلُ، وَالْجَمْعُ سُفُوحٌ.

(٦) الْجَدُولُ - بَفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا -: النَّهْرُ الصَّغِيرُ.

(٧) «دَوَائِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٥٥ / ٢٥٧).

(٨) دِيوان لسان الدين الخطيب (٤٠١).

مَا حَصَلَ يَوْمَ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْآيَاتِ

إِنَّ النَّبِيَّ هُوَ النُّورُ الَّذِي كُشِفَتْ بِهِ عَمَائَاتُ بَاقِيْنَا وَمَاضِيْنَا^(١)
١- رَأَتْ أُمُّهُ فِي الْمَنَامِ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا؛

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي: أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ، أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»^(٢).

مِنْ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَرْضِي وَمِنْ بَلَدِي تَأَلَّقَ النُّورُ نُورَ الْحَقِّ وَالرَّشَدِ جَرَى فَأَخْصَبَتِ الدُّنْيَا نَدَى وَهُدًى تَمَازَجَا كَامِتَزَاجِ الرُّوحِ بِالْجَسَدِ^(٣) وَقَالَ مَحْمُودُ الْبَارُودِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَدْ أَبْلَغَ الْوَحْيُ عَنْهُ قَبْلَ بَعْثِهِ مَسَامِعَ الرُّسُلِ قَوْلًا غَيْرَ مُنْكَتَمٍ فَذَلِكَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ خَالِقِهِ^(٤) وَسِرٌّ مَا قَالَهُ عِيسَى مِنَ الْقَدَمِ^{(٥)(٦)}

(١) «الْجَلِيسُ الصَّالِحُ الْكَافِي» لِلْجُرَيْرِيِّ (١١١).

(٢) (صَحِيحٌ) أَوْ رَدُّهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٢/ ٢٧٥)، وَقَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةٌ...» وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٥٤٥).

(٣) «الْمَذَاهِبُ الْأَدَبِيَّةُ» (٨٣).

(٤) حَيْثُ دَعَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ بِأَنْ يَبْعَثَ فِي الْعَرَبِ رَسُولًا مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(٥) بَشَّرَ نَبِيْنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَبَشِّرَا رَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦].

(٦) «مَوْسُوْعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (٢/ ٦٠٦).

إِلَى أَنْ قَالَ:

وَحِينَمَا حَمَلْتُ بِالْمُصْطَفَى وَضَعْتُ يَدَ الْمَشِيئَةِ عَنْهَا كُفْلَةَ الْوَجَمِ^(١)
وَلَا حَ مِنْ جِسْمِهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بُصْرَى بِأَرْضِ الشَّامِ مِنْ أُمِّ^(٢)
٢- طُلُوعُ نَجْمِهِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ ﷺ:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَيُطْفِئَ نَارَ الْفَاسِقِينَ فَتَحْمَدًا^(٣)
عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَغُلَامٌ يَفْعَةُ، ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ
أَوْ ثَمَانٍ، أَغْقَلَ كُلَّ مَا سَمِعْتُ، إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى
أَطْمَةٍ^(٤) يَيْتَرِبُ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا
لَكَ؟ قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمٌ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ»^(٥).

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ: قَالَ لِي حَبْرٌ
مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: «قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ - أَوْ هُوَ خَارِجٌ - قَدْ خَرَجَ نَجْمُهُ،
فَارْجِعْ فَصَدِّقْهُ، وَاتَّبِعْهُ»^(٦).

نَبِيٌّ أَنَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأُمْسِي سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهْنَدُ^(٧)

(١) كُفْلَةُ الْوَجَمِ أَيُّ: مَسْقَةُ الْوَضْعِ وَالْوِلَادَةِ، فَمَا وَجَدَتْ لَهُ مَسْقَةً حَمْلٍ، وَلَا مَسْقَةً وَضَعٍ.

(٢) «الْمَرْجِعُ السَّابِقُ» (٦٠٦/٣).

(٣) «الْبَيْتُ لِلْأَعْشَى، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ «الْأَغَانِي» (٦٩/٦).

(٤) الْأَطْمَةُ - يَفْتَحَتَيْنِ -: الْبِنَاءُ الْمَرْتَفِعُ كَالْحِصْنِ.

(٥) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» (١٢٤/١)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِ السِّيَرَةِ» (١٤).

(٦) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٢١٦/٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٧/٥)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فِي «صَحِيحِ السِّيَرَةِ» (١٤).

(٧) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤٢).

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

نَجْمُ السَّمَاءِ بِنَجْمِ الْأَرْضِ بَشَّرَنَا فَفَاقَ بِالنُّورِ مَا بِالْكَوْنِ مِنْ نُجْمٍ
فَسَارَ مُتَّشِحًا بِالصِّدْقِ مُتَّزِرًا بِالْعَدْلِ، مُمْتَطِيًا لِلْخَيْرِ وَالنَّعَمِ



مَرْضَعَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِلَّهِ دُرُّ الْأَلَى أَرْضَعْنَهُ لَبَنًا فَصَرَنَ بِاللَّبَنِ السَّامِي مِنَ الرَّحِمِ^(١)
أَرْضَعَ النَّبِيُّ ﷺ اثْنَتَانِ بَعْدَ أُمِّهِ أَمِنَةَ بِنْتُ وَهَبٍ، وَهُمَا:

١- ثَوَيْبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ:

وَكَمْ حَوَتْ ثَوَيْبَةُ مِنْ بَرَكَةٍ لَمَّا غَدَتْ ظُئْرًا^(٢) لَهُ وَبَرَكَه^(٣)
عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْكِحْ
أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: «أَوْتَجِبِينَ ذَلِكَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ
بِمُخْلِيَةٍ^(٤)، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرِ أُخْتِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ
ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي».

قُلْتُ: فَإِنَّا نَحَدِّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ. قَالَ: «بِنْتُ أُمِّ
سَلَمَةَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي، مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا
لَابْنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثَوَيْبَةُ، فَلَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ بَنَاتُكُنَّ،
وَلَا أَخَوَاتُكُنَّ»^(٥).

(١) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادُ.

(٢) الظُّئْرُ - بالكسر - : العاطفةُ على ولدٍ غيرها، المَرْضَعَةُ لَهُ.

(٣) «موسوعة الشعر الإسلامي» (٣/ ٥٥٤).

(٤) لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ: أَيُّ: لَسْتُ بِمُنْفَرِدَةٍ مَعَكَ، وَلَا مَتْرُوكَةٍ لِدَوَامِ الْخُلُوةِ بِكَ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥١٠١) وَمُسْلِمٌ (١٤٤٩).

٢- امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ^(١) :

بُنُو سَعْدٍ حَارُوا كُلَّ مَجْدٍ وَسُودُوا فَهُمْ خَيْرُ أَخْوَالٍ لِأَعْظَمِ مُرْسَلٍ^(٢) وَأَقَامَ عِنْدَهَا فِي بَنِي سَعْدٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَشَقَّ عَنْ فُؤَادِهِ هُنَاكَ، فَرَدَّتهُ إِلَى أُمِّهِ، وَعُمُرُهُ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ^(٣).

دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ عْتَبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ حَاضِئَتِي مِنْ بَنِي سَعْدٍ بَنُ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنُ لَهَا فِي بُهْمٍ لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا، فَقُلْتُ: يَا أَخِي، اذْهَبْ فَائْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمَّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي، وَمَكَّثْتُ عِنْدَ الْبُهْمِ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ طَائِرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهْوَ هُوَ؟، قَالَ الْآخَرُ: نَعَمْ، فَأَقْبَلَا يَبْتَذِرَانِي، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا، فَشَقَّ بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنِي بِمَاءٍ تُلْجُ. فَغَسَلَا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءٍ بَرْدٍ. فَغَسَلَا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ. فَذَرَّهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حُصِّهِ^(٤). فَحَاصَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يَخْرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ.

(١) الصَّوَابُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ: أَنَّ مَرْضِعَتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، وَلَمْ يَصِلْنَا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ اسْمَهَا حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - «.

(٣) أَنْظُرُ: «الْفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٤٥).

(٤) الْحَوْصُ: الْخِيَاطَةُ، وَبَابُهُ قَالَ.

فَقَالَ: لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ. ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا^(١)، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ التَّبَسَّ بِي، فَقَالَتْ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ، فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَحَمَلْتَنِي عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبْتُ خَلْفِي حَتَّى بَلَّغْنَا إِلَى أُمِّي. فَقَالَتْ: أَذَيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي، وَحَدَّثْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يُرْغَهَا ذَلِكَ، وَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي - يَعْنِي نُورًا - أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ^(٢).

فَبَيْنَمَا هُوَ يَرْعَى الْبَهْمَ طَافَ بِهِ فَاضْجَعَاهُ وَشَقَّ صَدْرَهُ بِيَدٍ وَبَعْدَ مَا قَضَى مِنْ قَلْبِهِ وَطَرًا مَا عَالَجَا قَلْبَهُ إِلَّا لِيُخْلَصَ مِنْ وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

وَشَقَّ عَنِ صَدْرِهِ وَالْبَدْرُ شَقَّ لَهُ وَشَقَّ بِالنُّورِ دَرْبًا حَالِكَ الظُّلَمِ وَكُلُّ شَقٍّ رَأَى فِي النَّاسِ يَرُدُّهُ وَلَمْ يَشَقَّ عَلَى صَحْبٍ وَلَا خَدَمٍ وَفَاةٌ وَالِدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وَدَعَاكَ فِي الذِّكْرِ الْيَتِيمَ، وَإِنَّمَا أَسْنَى الْجَوَاهِرِ مَا يُقَالُ: يَتِيمٌ^(٥)

(١) الْفَرَقُ: الْخَوْفُ، وَبَابُهُ فَرَحَ.

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٨٤)، وَالْدَّرَامِيُّ (١/ ٨-٩)، الْحَاكِمُ (٢/ ٦١٦-٦١٧)، مِنْ طَرِيقِ بَقِيَّةِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ كَمَا فِي «الْمَجْمَعِ» (٨/ ٢٢٢)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٧٣).

(٣) السَّيِّمُ - يُوَزَّنُ كَتِفٍ -: الْبَارِدُ.

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٤/ ٦٠٦).

(٥) «دِيَوَانُ ابْنِ نُبَاتَةَ الْمِصْرِيِّ» (١٧٠٤).

لَمْ يَرِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَاهُ؛ فَقَدْ مَاتَ فِي الْمَدِينَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَارِ، قَوْلِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتِيمَ الْأَبِ، وَقَدْ صَحَّتِ الرَّوَايَةُ فِي ذَلِكَ^(١).

وَذُكِرَ يَتِيمُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦].
وَلَى أَبُوكَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَرَهُ وَأَنْتَ مُرْتَهَنٌ لَا زِلْتَ فِي الرَّحِمِ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ:

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْيِيبِ فِي الْيَتِيمِ^(٣)
وَقَالَ آخَرُ:

هَزَّ الْوُجُودَ بِكَفِّهِ فِي مَهْدِهِ طِفْلٌ يَتِيمٌ مِنْ كِنَانَةِ عَافٍ^(٤)
وَقَالَ أَسْتَادُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

مَا ضَرَّهُ الْيَتِيمُ، وَالْأَيْتَامُ فِي خَطَرٍ مَنْ يُؤْوِهِ اللَّهُ لَا يَخْشَى مِنَ الْيَتِيمِ
رَعَاهُ رَبَّاهُ، بِالْأَخْلَاقِ أَدَّبَهُ حَتَّى عَدَا أَسْوَةَ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيمِ

وَفَاةُ أُمِّهِ أَمِنَةَ بِنْتُ وَهَبٍ

وَمَاتَتِ الْأُمُّ لَمَّا أَنْ أَنْسَتَ بِهَا وَلَمْ تَكُنْ حِينَ وَلَّتْ بَالِغَ الْحُلُمِ^(٥)
بَعْدَ أَنْ رَدَّتِ السَّعْدِيَّةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ عِنْدَ أُمِّهِ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ تَزُورُ أَخْوَالَهُ.

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٣/ ١٣٩٢).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

(٣) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٩/ ٧٥).

(٤) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الْأَشْعَارِ» (٤٣).

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، قَالَ: قَدِمْتُ أَمِنَةَ بِنْتُ وَهْبٍ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِالْأَبْوَاءِ هَلَكْتَ بِهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ^(١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ، وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ»^(٢). وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْأَبْوَاءِ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فَأُذِنَ لَهُ، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفٌ مُقَنَّعٍ (أَيُّ بِالْحَدِيدِ)^(٣).

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَهَى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَسْمِ قَبْرِ، فَجَلَسَ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ كَثِيرٌ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ كَالْمُخَاطَبِ ثُمَّ بَكَى، فَاسْتَقْبَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «هَذَا قَبْرُ أَمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لَهَا فَأَبَى عَلَيَّ، وَأَدْرَكَنِي رِقَّتُهَا فَبَكَيتُ» قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ سَاعَةً أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ^(٤).

بَنَيْتُ بِالصَّبْرِ مَجْدًا لَا يُمَاتِلُهُ مَجْدٌ وَغَيْرُكَ عَنْ نَهْجِ الرَّشَادِ عَمِي^(٥)

(١) رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» لِابْنِ هِشَامٍ (١/ ١٨٨).

(٢) انْظُرْ: «الْفُصُولُ» (٤٧-٤٨)، وَبِهِ قَطَعَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» لِابْنِ هِشَامٍ (١/ ١٦٨)، وَالذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ (١/ ٥٠).

(٣) «رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٥٦٥)، وَصَحَّحَهُ وَالْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السِّيَرَةِ» (٢٣).

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

وقال أستاذنا:

عزاء كل ييم في تيمه أن ييم الله خير الخلق كلهم
فأحمد الصبر ألاماً قد اشتعلت وفاقد الصبر لا يقوى على الألم
خير اليتامى ييم اليوم قد كبرت وآلمه، وتعدت حرقه اليتيم
بلهجة الصمت يستجدي تعاطفنا من حيث لم يفلح التصريح بالكلم
يا ليتنا حيث لم نحسن إليه يدا جُدنا بمسحة رأسٍ وابتسامٍ فم

عودة النبي إلى مكة ﷺ

لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقاً^(١)
كانت أمنة بنت وهب أم النبي ﷺ قد خرجت إلى المدينة، ومعها أم
أيمَن، فأرجعت النبي ﷺ إلى مكة وهي مولاته، ورثها من أبيه، واسمها بركة بنت
ثعلبة بن حصن.

وكانت حاضنة رسول الله ﷺ، فلما تزوج خديجة (رضي الله عنها) اعتقها وزوجها
زيد بن حارثة، فولدت له أسامة (رضي الله عنه)^(٢).

قاسى فطام حنان الأم في صغرٍ وقلبه من هواها غير منقطم
ولم تزل أمه الأخرى على لهفٍ فبكة من لهيب الشوق في ضرم
فسار يخطو وخطو القلب يسبقه شتان بين مسير القلب والقدم!^(٣)

(١) «دواوين الشعر العربي» (٤٩/٣٠).

(٢) «رواه مسلم» (١٧٧١) من كلام الزهري، تلميذ أنس بن مالك (رضي الله عنه).

(٣) قاله أستاذنا - حفظه الله -.

كَفَالَةُ جَدِّهِ لَهُ ﷺ

ذُو مَحْتَدٍ^(١) سَنِمَ رَفِيعٍ سَمَكُهُ تُغْلِي دَعَائِمَ مَجْدِهِ عَدْنَانُ^(٢)
 ظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَحْنُو عَلَيْهِ وَيَرْعَاهُ أَتَمَّ
 رِعَايَةٍ، وَيُوَلِّيه جُلَّ اهْتِمَامِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِي سِنِينَ، تُوفِّي جَدُّهُ^(٣)،
 وَأَوْصَى بِهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، لِأَنَّهُ كَانَ شَقِيقَ عَبْدِ اللَّهِ، وَالِدِ النَّبِيِّ ﷺ.
 وَمَاتَ جَدُّكَ مِنْ بَعْدِ الْوُلُوعِ بِهِ فَكُنْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي ذِرْوَةِ الْيُسْمِ
 وَقَالَ أَسْتَادُنَا -حَفَظَهُ اللَّهُ-:

أَبُ وَأُمُّ وَجَدُّ كُلُّهُمْ رَحَلُوا كَمَا تَفْتَقَتِ الْأَصْدَافُ عَنْ نُومٍ^(٤)
 ضَبَّتْ عَلَيْكَ الْبَلَايَا فَارْتَوَيْتَ بِهَا كَمَا يُرَوَّى نَبَاتُ الْأَرْضِ بِالْدَّيْمِ^(٥)
 لَا زِلْتَ طِفْلاً وَأَخْنَى الْأَقْرَبِينَ مَضَوْا وَلَمْ تُوَازِ الْبَلَايَا مُسْتَوَى الْعِظَمِ
 جَاوَزْتَ نِيرَانَهَا مِنْ فَوْقِهَا عَلِمَا فَصُرْتَ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ^(٦)

كَفَالَةُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَهُ ﷺ

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
 فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةً وَأَبْشِرْ بِذَاكَ، وَقَرَّ فِيهِ عُيُونًا

(١) وَالْمَحْتَدُ - بَوْرَنَ الْمَجْلِسِ - الْأَصْلُ.

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٤٨/٣١).

(٣) قَطَعَ بِذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» لِابْنِ هِشَامٍ (٨٩/١)، وَتَابَعَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْمَوَاهِبِ» (١٨٩/١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١٦٨/١).

(٤) التَّوَمُ: جَمْعُ تَوْمَةٍ - بِالضَّمِّ -، وَهِيَ اللَّوْلُؤَةُ.

(٥) الدَّيْمُ: جَمْعُ دَيْمَةٍ - بِالْكَسْرِ -، وَهِيَ الْمَطَرُ يَدُومُ فِي سُكُونٍ بِلَا رَعْدٍ وَبَرْقٍ.

(٦) الْعِلْمُ - يَفْتَحَتَيْنِ -: الْجَبَلُ الطَّوْبِلُ.

انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى كَفَالَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ حِينَئِذٍ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، وَقَدْ أَحَاطَهُ أَتَمُّ حِيَاطَةٍ، وَنَصَرَهُ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ أَعَزَّ نَصْرٍ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَمِرًّا عَلَى شِرْكِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِهِ.

فَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بَشْيٌ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحَضَاحٍ^(١) مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ^(٢) الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمَّ دِمَاحِهِ»^(٤).

ثُمَّ انْبَرَى^(٥) عَمُّهُ: وَاللَّهِ لَنْ يَصْلُوا حَتَّى أُوسِدَ تَحْتَ التُّرْبِ فِي الرَّجَمِ^(٦) حِمَاهُ وَهُوَ مُقِيمٌ فِي ضَلَاكِهِ فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُ وَطَأَةً الْحَمَمِ سُبْحَانَ مَنْ سَحَّرَ الْكُفَّارَ تَحْرُسُهُ مِنْ بَعْضِهَا مِثْلَ شِبْلٍ^(٧) لَإِذَا^(٨) بِالْأَجَمِ!^(٩)

(١) الضَّحَضَاحُ: مَا رَقَّ مِنَ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى نَحْوِ الْكَعْبَيْنِ، وَاسْتُعِيرَ فِي النَّارِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ فِي نَارٍ تَحْتَ رِجْلَيْهِ - فَقَطْ - تَخْفِيفًا لِعَذَابِهِ.

(٢) الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ - بَفَتْحِ الرَّاءِ وَإِسْكَانِهَا -: قَعْرُ جَهَنَّمَ، وَأَقْصَى أَسْفَلِهَا، وَلِجَهَنَّمَ أَدْرَاكٌ، فَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ أَطْبَاقِهَا تُسَمَّى دَرَكًا.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٣) وَمُسْلِمٌ (٢٠٩).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٦٤) وَمُسْلِمٌ (٢١٠).

(٥) يُقَالُ: انْبَرَى لَهُ أَيْ: اعْتَرَضَ لِلدَّفَاعِ

(٦) الرَّجَمُ - بَفَتْحَتَيْنِ - الْقَبْرُ.

(٧) شِبْلٌ - بِالْكَسْرِ - وَلَدُ الْأَسَدِ.

(٨) لَإِذَا بِالشَّيْءِ: التَّجَاؤُ إِلَيْهِ وَتَحَصَّنَ بِهِ.

(٩) الْأَجَمُ: بَفَتْحَتَيْنِ -: جَمْعُ أَجَمَةٍ، وَهِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُتَلَفُّ.

هَذَا أَبُو طَالِبٍ، هَذَا أَبُو لَهَبٍ
لَوْلَا عِنَايَةُ رَبِّي فِي خَلَائِقِهِ
وَمِمَّا يُنْسَبُ لِأَبِي طَالِبٍ قَوْلُهُ:

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ بُنَى مُحَمَّدًا^(٢) وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنُتَاضِلُ^(٣)
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنَّا أَبْنَانَنَا وَالْحَلَائِلُ^(٤)
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ^(٥) الْيَتَامَى عِصْمَةٌ^(٦) لِلْأَرَامِلِ^(٧) (٨)

سَفَرُهُ إِلَى الشَّامِ

وَتَوَجَّحْتُ ثَغَرَ الشَّامِ مِنْكَ جَلَالَةً تَمَنَّتْ لَهَا بَغْدَادُ لَوْ أَنَّهَا ثَغْرُ^(٩)
خَرَجَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَهُوَ ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً؛
وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ لُطْفِ أَبِي طَالِبٍ بِهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ بِهِ إِذَا تَرَكَهُ فِي مَكَّةَ، فَمَاذَا
رَأَى أَبُو طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْآيَاتِ؟!.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ

(١) قاله أستاذنا.

(٢) بُنَى مُحَمَّدًا - بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ - أَيُّ: نُسَلِبُهُ وَنُغْلِبُ عَلَيْهِ.

(٣) النُّضَالُ: التَّرَامِي بِالسَّهَامِ.

(٤) الْحَلَائِلُ: الزَّوْجَاتِ.

(٥) الثَّمَالُ - بِالْكَسْرِ - هُوَ الْعِمَادُ، وَالْمَلْجَأُ، وَالْمُطْعِمُ، وَالْمُعِينُ، وَالْمُعِثُّ، وَالْكَافِي.

(٦) عِصْمَةٌ أَيُّ: يَمْنَعُهُمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ.

(٧) الْأَرَامِلُ: الْمَسَاكِينُ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَهُوَ بِالنِّسَاءِ أَخْصُ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا.

(٨) «دَوَائِئُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٥ / ١٥١).

(٩) «دَوَائِئُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٦ / ٣٢).

مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ -يَعْنِي بَحِيرًا - هَبَطُوا، فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ، فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ.

قَالَ: فَنَزَلَ وَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ. (وَفِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ زِيَادَةٌ: هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: وَمَا عِلْمُكَ؟

فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيِّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضُرُوفِ كَتِفِهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ - وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ - قَالَ: أَرْسَلُوا إِلَيْهِ.

فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فِيءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ؛ فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟

قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأَنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا.

فَقَالَ: فَهَلْ خَلَفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟. قَالُوا: لَا، إِنَّمَا أَخْبَرْنَا خَبْرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذِهِ.

قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدُّهُ؟. قَالُوا: لَا. قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟.

قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ^(١).

لَمَّا رَأَاهُ بَحِيرًا قَالَ نَعْرِفُهُ بِمَا حَفِظْنَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالسِّيمِ^(٢)
وَوَظَلَّلَتْهُ فَصَارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ غَمَامَةٌ جَذَبَتْهَا خَيْرَةُ الدَّيْمِ^(٣)
مَحَبَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ أَشْرَبَهَا قَعَائِدُ الدَّيْرِ^(٤) وَالرُّهْبَانُ فِي الْقِمَمِ^(٥)
وَقَالَ آخَرُ:

وَقَالَ عَنْهُ بَحِيرًا حِينَ أَبْصَرَهُ بِأَرْضِ بُصْرَى مَقَالًا غَيْرَ مُتَّهِمٍ

(١) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٦٢٠)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (١٨٣٩٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٣٧٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السَّيَرَةِ» (٢٩-٣٠). عَدَا ذِكْرَ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ فَهِيَ مُدْرَجَةٌ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الإِصَابَةِ»: هَذِهِ اللَّفْظَةُ مُدْرَجَةٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُقْتَطَعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ... وَبِالْجُمْلَةِ فَهِيَ وَهُمْ مِنْ أَحَدِ رَوَاتِهِ، انْظُرْ: «الإِصَابَةُ» (١/ ١٧٧). وَحَسَنُهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (٨٢٠)، وَقَالَ ذَكَرَ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ فِي الْحَدِيثِ وَهُمْ. كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي «الإِصَابَةِ» فِي «تَرْجَمَةِ بَحِيرِ الرَّاهِبِ» كَمَا قَالَ «الْجَزْرِيُّ» فِي «تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ».

(٢) السِّيمُ: جَمْعُ سِيمَةٍ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ الْعَلَامَةُ.

(٣) الدَّيْمُ: جَمْعُ دَيْمَةٍ، وَهِيَ الْمَطَرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَعْدٌ وَلَا بَرْقٌ.

(٤) قَعَائِدُ الدَّيْرِ: رَاهِبَاتُهُ، وَالدَّيْرُ - بِالْفَتْحِ -: دَارُ النِّصَارَى وَخَائِنُهُمْ، وَالْجَمْعُ: أَدْيَارٌ، وَدُيُورَةٌ.

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشُّعَرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (٣/ ٥٩٢).

إِذْ ظَلَلَتْهُ الْغَمَامُ الْغُرُّ وَانْهَصَرَتْ^(١) عَطْفًا عَلَيْهِ فُرُوعُ الضَّالِ^(٢) وَالسَّلَمِ^(٣)
هَذَا نَبِيٍّ وَلَمْ يَنْزِلْ بِسَاحَتِهَا إِلَّا نَبِيٌّ كَرِيمٌ النَّفْسِ وَالشَّيْمِ^(٤)
وَقَالَ أَسْتَادُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

يَكْفِي قُرَيْشًا بَحِيرًا فِي شَهَادَتِهِ مِنْ الدَّلَائِلِ مَا يُغْنِي عَنِ التُّهَمِ
لَكِنَّهَا أَعْيُنُ عُمَيٍّ وَأَفْئِدَةٌ غُلْفٌ، وَلَمْ يُغْنِ نُورُ الشَّمْسِ عَيْنَ عُمَيٍّ



(١) انْهَصَرَتْ: مَالَتْ وَانْعَطَفَتْ.

(٢) الضَّال: مَا كَانَ مِنَ السَّدْرِ بَرِّيًّا، وَاحِدَتُهُ ضَالَةٌ -بِالتَّخْفِيفِ-.

(٣) السَّلَم - بِفَتْحَتَيْنِ -: شَجَرَةُ الْقَرِظِ.

(٤) الشَّيْم: جَمْعُ شَيْمَةٍ -بِالْكَسْرِ-، وَهِيَ الطَّبِيعَةُ وَالْخُلُقُ.

حَيَاتُهُ قَبْلَ الْبَعْثَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١- التَّحَلَّى بِالْمَكَارِمِ:

بِسْوَى الْأَمَانَةِ فِي الصَّبَا وَالصِّدْقِ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْأَمْنَاءِ^(١)
كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ حَيَاةً فَاضِلَةً شَرِيفَةً، لَمْ تُعْرِفْ فِيهِ هَفْوَةٌ،
وَلَمْ تُحْصَ عَلَيْهِ فِيهَا زِلَّةٌ، فَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ أَقْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ لِمَا يُرِيدُهُ لَهُ
مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى صَارَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَعْظَمَهُمْ
جَوَارًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، حَتَّى عُرِفَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ.
قَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ:-

يَاوَيْحَهُمْ عَرَفُوهُ قَبْلَ بَعْثِهِ بِأَنَّهُ غَايَةُ فِي الصِّدْقِ وَالْكَرَمِ!
لَمْ يَعْرِفُوا خُلُقًا، لَمْ يَسْمَعُوا صِفَةً مِنَ الشَّمَائِلِ إِلَّا كَانَ فِي الْقِمَمِ
وَأَعْجَزَ النَّاسَ كُلَّ الْعَالَمِينَ إِذَا جَاءُوا عَلَى قَلْبٍ فَرَدَّ حَادِقٍ فَهَمِ
أَنْ يَحْضُرُوا مَا حَوَى الْمُخْتَارُ مِنْ قِيمٍ أَوْ يَجْمَعُوا بَعْضَ مَا فِيهِ مِنَ الشِّيمِ
وَقَالَ -أَيْضًا:-

مَنْ مِثْلُ أَحْمَدَ فِي الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَكَانَةِ؟!
مَنْ مِثْلُ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ وَفِي الْأَمَانَةِ؟!

خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ خُلُقًا، وَأَحْسَنُهُمْ دِيَانَةً
جَمَعَ الْمَكَارِمَ رَبُّهُ فِيهِ، وَآيَدَهُ وَصَانَهُ
٢ - رَعَى الْغَنَمَ:

تَوَاضَعَ إِذْ نَالَ اللَّيْلِي لَيْسَ فَوْقَهَا مَنَالٌ، وَهَلْ فَوْقَ اللَّيْلِي نَالَ مَضْعُدٌ؟^(١)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا
رَعَى الْغَنَمَ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ»^(٢)
لِأَهْلِ مَكَّةَ^(٣).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجْنِي الْكَبَاثَ -
أَي: النَّضِيجُ مِنْ ثَمَرِ الْأَرَاكِ - فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ»،
قَالَ: قُلْنَا: وَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا
وَقَدْ رَعَاهَا»^(٤).

تَوَاضَعَ مِنْهُ أَنْ يَرَعَى لَهُمْ غَنَمًا وَقَدْ أُعِدَّ لِيرَعَى أَكْرَمَ الْأُمَمِ
غَدَتْ خِمَاصًا^(٥) عَلَى جَذَبَاءٍ قَاحِلَةٍ فَبَارَكَ اللَّهُ بِالْمَرْعَى وَبِالْغَنَمِ
فِي قَلْبِهِ النُّورُ مُحَرَابٌ لَهُ أَبَدًا وَالْخَيْرُ مَرْعَاهُ أَنَّى سَامَهُ يَسْمُ^(٦)

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ الرُّمِّيِّ» (١٢٦٠).

(٢) الْقَرَارِيطُ: جَمْعُ قِرَاطٍ، وَهُوَ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّينَارِ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٦٢).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٠٦) وَمُسْلِمٌ (٢٠٥٠).

(٥) خِمَاصًا - بِالْكَسْرِ - أَي: جِيَاعًا.

(٦) قَالَهُ أَسْتَادُنَا - حَفَظَهُ اللَّهُ - .

٣- لَمْ يَعْمَلْ أَعْمَالَ الْجَاهِلِيَّةِ:

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيَوْمِ^(١)
أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ عَنِ الْكُفْرِ قَبْلَ الْوَحْيِ وَبَعْدَهُ،
فَلَمْ يَتَقَرَّبْ لِصَنْمٍ، وَلَمْ يَتَمَسَّحْ بِهِ.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ صَنْمٌ مِنْ نُحَاسٍ، يُقَالُ لَهُ: إِسَافٌ،
أَوْ نَائِلَةٌ، يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا -أَيَّ بِالْبَيْتِ-، فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ، وَطُفْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمَسَّهُ».
قَالَ زَيْدٌ فَطُفْتُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا مَسَنَةً حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ، فَمَسَحْتُهُ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تُنْهَ؟».

قَالَ زَيْدٌ: فَوَالَّذِي هُوَ أَكْرَمُهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنْمًا -قَطُّ-
حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ^(٢).

بَلْ إِنَّهُ ﷺ كَانَ يُخَالِفُ قَوْمَهُ، حَتَّى فِي بَعْضِ الْعِبَادَةِ الَّتِي خَالَفُوا فِيهَا
مِلَّةَ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ.

فَعَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَا تَدْفَعُ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ،
وَيَقُولُونَ نَحْنُ (الْحُمْسُ)^(٣)، فَلَا نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، وَقَدْ تَرَكُوا الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ.
قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقِفُ مَعَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ عَلَى جَمَلٍ
لَهُ، ثُمَّ يُصْبِحُ مَعَ قَوْمِهِ بِالْمُزْدَلِفَةِ، فَيَقِفُ مَعَهُمْ، وَيَدْفَعُ إِذَا دَفَعُوا»^(٤).

(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧٥ / ٩).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (٤٦٦٥)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السَّيَرَةِ» (٣٢).

(٣) الْحُمْسُ: جَمْعُ أَحْمَسَ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الصُّلْبُ، وَسُمُّوا حُمْسًا؛ لِأَنَّهُمْ تَشَدَّدُوا وَاتَّصَلُوا فِي دِينِهِمْ،
وَكَانُوا لَا يَسْتَظِلُّونَ بِمَنْىَ.

(٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (١ / ٤٦٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السَّيَرَةِ» (٣٤).

قَالَ أُسْتَاذُنَا:

لَمْ يُغْرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْهُمْ عَمَلٌ يُخَالِفُ دِينَ إِبْرَاهِيمَا
بَلْ كَانَ مَعْصُومًا بِتَقْوَى رَبِّهِ أَبَدًا، وَدِينُ الْحَقِّ فِيهِ مُقِيمَا
وَقَالَ أَيْضًا:

مَا هَمَّ يَوْمًا وَلَمْ يَخْطُرْ بِخَاطِرِهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرْكِ مِنْ قَبْرِ وَمِنْ صَنِمٍ
وَكَيْفَ يَجْرُؤُ شِرْكُ أَنْ يَمُرَّ عَلَى قَلْبٍ عَلَى قِمَّةِ التَّوْحِيدِ مُسْتَتِمٌ^(١)
وَطَهَّرَ اللَّهُ مَبْدَاهُ وَمَخْتَمَهُ وَمَنْ يَقُومُ بِعَيْنِ اللَّهِ يَسْتَقِمُ
٤- شَهِدَ حَلْفَ الْفُضُولِ مَعَ عُمُومَتِهِ:

شَهِدَ (الْفُضُولُ) بِأَرْضِ مَكَّةَ يَافِعًا كَيْ لَا يَرَى مِنْ حَوْلِهِ مَظْلُومًا^(٢)
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَهِدْتُ
مَعَ عُمُومَتِي حَلْفَ الْمُطَيِّبِينَ^(٣)، وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ^(٤)
وَأَنِّي أَنْكُتُهُ»^(٥).

(١) مُسْتَتِمٌ أَيُّ: مُعْتَلٍ.

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

(٣) قَالَ فِي «الْنِّهَايَةِ» (٣/ ١٤٩): «اجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو زُهْرَةَ وَتَبَيَّنَ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَجَعَلُوا طَبِيبًا فِي جَفْنَةٍ، وَغَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، وَتَحَالَفُوا عَلَى التَّنَاصُرِ وَالْأَخْذِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛ فَسُمُّوا الْمُطَيِّبِينَ».

(٤) حُمْرُ النَّعَمِ: الْحُمْرُ - بِضَمِّ فَسْكَوْنٍ - جَمْعُ أَحْمَرٍ، وَالنَّعَمِ - بِفَتْحَتَيْنِ -: الْأَنْعَامُ وَالذَّوَابُّ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْإِبِلُ، وَالْحُمْرُ مِنْهَا أَحْسَنُ أَنْوَاعِهَا.

(٥) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٢/ ٣٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهُ السَّيْرَةِ» (٧٥).

وَحَلَفَ الْفُضُولُ كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «تَدَاعَتْ قَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حَلَفٍ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ؛ لِشَرَفِهِ وَسِنِّهِ، فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا عَلَى أَنْ لَا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مِنْ أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا قَامُوا مَعَهُ، وَكَانُوا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ حَتَّى تُرَدَّ عَلَيْهِ مَظْلَمَتُهُ، فَسَمَّتْ قُرَيْشُ ذَلِكَ الْحَلْفَ حَلْفَ الْفُضُولِ»^(١).

عَشِقَ الْعَدَالَةَ مِنْ طُفُولَتِهِ فَلَمْ يَظْلِمْ ضَعِيفًا، أَوْ يَصُدَّ يَتِيمًا^(٢)
٥- زَوَاجُهُ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

كَتَبَتْ حُرُوفًا مِنْ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَصْبَحَتْ فِي أَعْلَى صَحَائِفِهَا سَطْرًا!
 لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ مِنَ الْعُمُرِ، تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَكَانَتْ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا؛ كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا، لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ^(٣).

فَوَالِدُهَا هُوَ خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَجْتَمِعُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُصَيٍّ، وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ نِسَائِهِ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قُصَيٍّ غَيْرَهَا إِلَّا أُمُّ حَبِيبَةَ»^(٤).

وَتَزَوَّجَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَتِيقَ بْنَ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيِّ، فَوَلَدَتْ لَهُ جَارِيَةً اسْمُهَا هِنْدٌ، ثُمَّ هَلَكَ عَتِيقٌ عَنْهَا، فَخَلَفَ عَلَيْهَا أَبُو هَالَةَ

(١) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ١٣٤-١٣٥).

(٢) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٣) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ١٤٢).

(٤) «الْفَتْحُ» (٧/ ١٦٧).

التَّمِيمِي، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامَيْنِ: هِنْدًا، وَهَالَةَ الصَّحَابِيِّينَ، ثُمَّ هَلَكَ أَبُو هَالَةَ عَنْهَا، فَقَضَتْ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ وَهِيَ تَرْفُضُ الْكَثِيرِينَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، حَتَّى خَلَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَنَى بِهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ فِي قَوْلِ الْجُمُهورِ، وَكَانَتْ أَسَنَ مِنْهُ بِقَلِيلٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ: الْقَاسِمُ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى ﷺ، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ رُقِيَّةٌ، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ، ثُمَّ فَاطِمَةُ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الطَّيِّبُ، وَالطَّاهِرُ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ.

وَقَدْ مَاتَ الذَّكَرَانِ صَغِيرَيْنِ، وَأَمَّا الْبَنَاتُ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكَنَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَ، وَهَاجَرْنَ مَعَهُ، إِلَّا أَنَّهُنَّ أَدْرَكْتُهُنَّ الْوَفَاةُ فِي حَيَاتِهِ سَوَى فَاطِمَةَ، فَقَدْ تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ كَانَتْ أَوَّلَ أَهْلِهِ لِحُوقًا بِهِ^(١).

الْمَجْدُ يَشْرُقُ فِي ثَلَاثِ مَطَالِعٍ فِي مَهْدِ فَاطِمَةَ فَمَا أَعْلَاهَا
هِيَ بِنْتُ مَنْ؟ هِيَ زَوْجُ مَنْ؟ هِيَ أُمُّ مَنْ؟
هِيَ وَمُضَّةٌ مِنْ نُورِ عَيْنِ الْمُصْطَفَى هَادِي الشُّعُوبِ إِذَا تَرَوْمُ هُدَاهَا
هُوَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ وَكَعْبَةٌ إِلَّا مَالٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي أُخْرَاهَا

وَأَمَّا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْهُ^(٢)، سَنَةَ عَشْرِ مِنْ الْبَعْثَةِ، قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ^(٣)، وَدُفِنَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالْحَجُونِ^(٤)، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَبْرِهَا، وَحَزَنَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْهِ الْمِحْنُ بَعْدَ مَوْتِهَا.

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٤٢)، و«الفتح» (٧/ ٥٠٧)، و«البداية والنهائية» (٥/ ٣٣١).

(٢) ثَبِتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٣٨٩٦).

(٣) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ» لِلدَّمَشْقِيِّ (٦٥).

(٤) «السِّيَر» (١/ ١١١).

لَقَدْ شَكَرَ الْمَوْلَى صَنِيعَكَ إِنَّهُ الشَّدَّ
فَأَهْدَاكَ مَوْلَاكَ السَّلَامَ سَلَامَةً
مَرَاتِبُ لَا يُعْلَى عَلَيْهَا وَرِفْعَةٌ
وَقَالَ أَسْتَادُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

إِذَا هَدَى اللَّهُ قَلْبًا لَمْ يَخِبْ أَبَدًا
خَدِيجَةُ الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ قَدْ غَنِمْتَ
تَخَيَّرْتُهُ وَلَمْ تَقْبَلْ بِهِ بَدَلًا
كَمْ حَامٍ مِنْ حَوْلِهَا الْأَشْرَافُ تَخْطُبُهَا
رَأَتْهُ بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ الْحَكِيمِ، وَمَنْ
فَكَانَ فَوْقَ الَّذِي ظَنَنْتَ وَمَا أَمَلْتَ
أَوْفَتْ لَهُ الْحُبَّ وَالْإِيمَانَ دَاعِمَةً
طُوبَى لَهَا؛ فَهِيَ فِي الدُّنْيَا مُكْرَمَةٌ

وَإِنْ أَضَلَّ فَمَا فِي الْكَوْنِ مِنْ عَصَمٍ
وَمَنْ يَجِدُ فُرْصَةً لِلنُّورِ يَغْتَنِمِ
مِنَ الرِّجَالِ، فَلَمْ تُعْذَلْ وَلَمْ تُلَمِ
لَوْلَا مَكَانَتُهَا فِي الْقَوْمِ لَمْ تَحْمِ
تَقْصُرُ رِضَاهَا عَلَى مَظْنُونِهَا تُضَمُّ^(١)
وَمَا رَأَتْ مِنْ جَمَالِ الْخَلْقِ وَالشَّيْمِ
بِالْمَالِ وَالرَّأْيِ وَالتَّشْيِيتِ فِي اللَّمَمِ
وَعِنْدَ بَارِئِهَا فِي أَطْيَبِ النَّعَمِ!

٦- مُشَارَكَتُهُ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ:

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ^(٢)
بَعْدَ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا - لِلْكَعْبَةِ
الْمُعَظَّمَةِ، تَعَرَّضَتْ -بَعْدَ أَنْ مَضَتْ قُرُونٌ مِنْ بِنَائِهَا- لِلْعَوَادِي الَّتِي أَوْهَتْ
بِنَاءَهَا، وَصَدَّعَتْ جُذْرَانَهَا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْعَوَادِي سَيْلٌ عَرِمٌ، جَرَفَ مَكَّةَ

(١) الضَّيْمُ: الظُّلْمُ وَالْإِذْلَالُ.

(٢) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٥ / ٥٣).

قَبْلَ الْبُعْثَةِ بِسَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ، حَيْثُ زَادَ ذَلِكَ مِنْ تَصُدُّعِ جُدْرَانِهَا، وَضَعْفِ بُيَانِهَا، فَلَمْ تَجِدْ قُرَيْشٌ بُدًّا مِنْ إِعَادَةِ تَشْيِيدِ الْكَعْبَةِ؛ حِرْصًا عَلَى مَا لِهَذَا الْبِنَاءِ مِنْ حُرْمَةٍ وَقَدَاسَةٍ خَالِدَةٍ.

وَلَقَدْ ظَلَّ احْتِرَامُ الْكَعْبَةِ وَتَعْظِيمُهَا بَقِيَّةً مِمَّا ظَلَّ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَيْنَ الْعَرَبِ، وَقَدْ شَارَكَ ﷺ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا بُنِيَ الْكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْعَبَّاسُ يُنْقِلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ بِالْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: «أَرِنِي إِزَارِي، فَشَدَّهُ عَلَيْهِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَذَكَرَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - قَالَ: «فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَى رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ^(٢)، وَعَلَيْهِ نَمْرَةٌ^(٣)، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمْرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمْرَةَ عَلَى عَاتِقِهِ، فَتَرَى عَوْرَتَهُ مِنْ صِغَرِ النَّمْرَةِ، فَنُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ، خَمَّرْ عَوْرَتَكَ - وَفِي رِوَايَةٍ: لَا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ -، فَلَمْ يَرْ غُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ»^(٤).

٧- وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ:

تَعُودُ بِرَأْيِهِ الظُّلُمَاءُ صُبْحًا وَيُسْتَسْقَى بِحُكْمَتِهِ الْغَمَامُ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٥٨٢)، وَمُسْلِمٌ (٣٤٠).

(٢) أَجْيَاد: جَبَلٌ بِمَكَّةَ.

(٣) نَمْرَةٌ: كِسَاءٌ أَسْوَدُ.

(٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٥٥/٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٣٧٨).

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا انْهَدَمَ الْبَيْتُ بَعْدَ جُرْهُمِ بَنَتِهِ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَرَادُوا وَضَعَ الْحَجَرِ تَشَاجَرُوا مَنْ يَضَعُهُ؟، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَضَعَهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَوْبٍ، فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسْطِهِ، وَأَمَرَ كُلَّ فَخِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، فَرَفَعُوهُ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ»^(١).

يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ حُزَّتْ مَكَانَةٌ وَمَقَامٌ عَزَّ فِي النُّفُوسِ عَظِيمًا وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ مَوْلَاهُ - وَهُوَ السَّائِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: «وَكَانَ لِي حَجَرٌ أَنَا نَحْتُهُ [بِيَدِي]، أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، قَالَ: وَكُنْتُ أَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَائِرِ^(٢)، الَّذِي أَنْفُسُهُ عَلَى نَفْسِي - أَيِ أُوتِرُهُ عَلَى نَفْسِي - فَأَصْبُهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْعَرُ^(٣)، فَيَبُولُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا حَتَّى بَلَّغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ أَحْجَارِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ، يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ؟.

فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلُ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بَطُونَهُمْ، فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ [مَعَهُ]، فَوَضَعَهُ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤).

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِيسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (٨٦/٢)، وَالْحَاكِمُ (٤٥٨-٤٥٩) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السَّيَرَةِ» (٤٥).

(٢) الْخَائِرُ أَيِ: الرَّائِبُ.

(٣) شَعَرَ الْكَلْبُ: رَفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ لِيَبُولَ.

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٥٠٤)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «فِقْهِ السَّيَرَةِ» (٨٤).

بِنَايَةِ الْبَيْتِ ذِي الْحُجَابِ وَالْخَدَمِ
بِنَاءَهُ عَنْ تَرَاضٍ خَيْرٍ مُقْتَسَمٍ
مِنْ مَوْضِعِ الرُّكْنِ بَعْدَ الْكَدِّ وَالْجُشَمِ^(١)
فِيَمَنْ يَشُدُّ بِنَاهُ كُلُّ مُخْتَصِمٍ
بِالْحَزَمِ، فَهُوَ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْحَزَمِ^(٢)
يَأْتِي، فَيَقْسِطُ فِينَا قِسْطَ مُحْتَكِمٍ
عِلْمٍ، فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ عَادِلٍ حَكَمٍ!
مُحَمَّدٌ، وَهُوَ فِي الْخَيْرَاتِ ذُو قَدَمٍ
إِلَيْهِ فِي حَلٍّ هَذَا الْمُشْكِلِ الْعَمَمِ
مِنْهُ، وَقَالَ: إِرْفَعُوهُ جَانِبَ الرِّضَمِ^(٣)
مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ وَالِدَّعَمِ
بَنَتْهُ فِي صَدَفٍ مِنْ بَاذِخٍ سَنِمِ^(٤)

وَحِينَمَا أَجْمَعْتَ أَمْرًا قَرِيشُ عَلَى
تَجَمَّعَتْ فِرْقُ الْأَحْلَافِ وَاقْتَسَمَتْ
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْبُنْيَانُ غَايَتَهُ
تَسَابَقُوا طَلَبًا لِلْأَجْرِ وَاخْتَصَمُوا
فَقَالَ ذُو رَأْيِهِمْ لَا تَعَجَلُوا وَخُذُوا
لِيَرْضَى كُلُّ امْرِئٍ مِّنَّا بِأَوَّلٍ مِّنْ
فَقَالَ كُلُّ رَاضٍ بِالْأَمِينِ عَلَى
فَكَانَ أَوَّلَ آتٍ بَعْدَمَا اتَّفَقُوا
فَأَعْلَمُوهُ بِمَا قَدْ كَانَ وَاحْتَكَمُوا
فَمَدَّ ثَوْبًا وَحَطَّ الرُّكْنَ فِي وَسْطِ
حَتَّى إِذَا اقْتَرَبُوا تَلْقَاءَ مَوْضِعِهِ
مَدَّ الرَّسُولُ يَدًا مِنْهُ مُبَارَكَةً



(١) الْجُشَمُ: الثَّقُلُ وَالْمَشَقَّةُ.

(٢) الْحَزَمُ: الْعُصَّةُ فِي الصَّدْرِ، وَبَابُهُ فَرَحَ.

(٣) الرِّضَمُ: حِجَارَةٌ مَرْضُومَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فِي الْأَبْنِيَةِ.

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٦٠٦ / ٥ - ٦).

الْبَشَارَاتُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١- بَشَارَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَاتِّبَاعِهِمْ:

فِي الْكُتُبِ مَسْطُورٌ مُجْلَى بِاسْمِهِ وَبِعْتِهِ فَاسْأَلْ بِهِ الْأَخْبَارَا
لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ ﷻ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيَنْصُرُوهُ
إِذَا بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا أَقْوَامَهُمْ بِذَلِكَ؛ لِيُشِيعَ خَبْرُهُ بَيْنَ جَمِيعِ الْأُمَمِ.
قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾
[آلِ عِمْرَانَ: ٨١].

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي كُلِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ صِفَاتُ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَامَاتُهُ.
قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ
لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٥٧].

وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ تَلَقَّوْا ذَلِكَ
عَنْ كُتُبِهِمْ وَعَنْ أَنْبِيَائِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].
 وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ١٤٦].
 وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].
 وَكَانَ آخِرُ مَنْ بَشَّرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ -.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
 التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ٦].
 فَالْبِشَارَاتُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْكِتَابِ السَّابِقَةِ مُبَيَّنَةٌ اسْمُهُ، وَصِفَاتِهِ الْبَدَنِيَّةُ
 وَالْمَعْنَوِيَّةُ، وَنَسَبُهُ، وَمَكَانُ مَبْعَثِهِ، وَصِفَةُ أَصْحَابِهِ، وَصِفَةُ أَعْدَائِهِ عِنْدَ ظُهُورِهِ،
 وَانْطِبَاقُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ عَلَيْهِ، وَهِيَ أَوْصَافٌ وَبِشَارَاتٌ تَلَقَّاهَا أَهْلُ تِلْكَ الْأَدْيَانِ
 نَفْلًا عَنْ رُهْبَانِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ قَبْلَ وَلَادَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِقُرُونٍ كَثِيرَةٍ.
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا جَحَدُوا ذَلِكَ وَكَفَرُوا، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ
 قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ
 عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وَمِمَّا جَاءَ فِي أَسْبَابِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: «إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ - مَعَ
 رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَدَاهُ لَنَا - لِمَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكِ

أَصْحَابِ أُوثَانَ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَرَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نَلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا لَنَا: إِنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَجَبْنَاهُ، حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَمَّنَّا بِهِ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَبَيْنَمَا وَبَيْنَهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١٨٩) ﴿١﴾.

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ - وَكَانَ سَلَمَةُ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ - قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ يَهُودِيٌّ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسِيرٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ - قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحَدُ مَنْ فِيهِ سِنَاءٌ، عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفَنَاءِ أَهْلِي - فَذَكَرَ الْبُعْثَ وَالْقِيَامَةَ، وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ.

قَالَ: فَقَالَ ذَلِكَ لِقَوْمِ أَهْلِ شَرِكٍ أَصْحَابِ أُوثَانَ، لَا يَرُونَ أَنَّ بَعْثًا كَانَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ - يَا فُلَانُ - أَوْتَرَى هَذَا كَانَتْ أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ، يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟!.

فَقَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُخْلَفُ بِهِ، يَوَدُّ أَنْ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَتَوَرَّ فِي الدُّنْيَا يَحْمُونَهُ، ثُمَّ يَدْخُلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطَيَّنُونَهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْجُو مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا.

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» ابْنُ هِشَامٍ (١/ ٢٢٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي

قَالُوا لَهُ: وَيَحَكَ يَا فُلَان وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيِّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ - .

قَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحَدِثِهِمْ سِنًا، فَقَالَ: إِنْ يَسْتَتَفِدُّ هَذَا الْغَلَامُ عُمَرَهُ يُدْرِكُهُ.

قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللَّهِ، مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ ﷺ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهَرِنَا^(١)، فَأَمَّنَّا بِهِ، وَكَفَرَ بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا لَهُ: وَيَحَكَ - يَا فُلَانُ - أَلَسْتَ الَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ بِهِ^(٢).

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ قَالَ لِي: هَلْ تَدْرِي عَمَّ كَانَ إِسْلَامُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعِيَةَ، وَأَسِيدِ بْنِ سَعِيَةَ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ؟ - نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَذِلٍ إِخْوَةَ بَنِي قُرَيْظَةَ، كَانُوا مَعَهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، ثُمَّ كَانُوا سَادَتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ - .

قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ؛ قَالَ: فَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْهَيَّانِ، قَدِمَ عَلَيْنَا قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِسِنِينَ، فَحَلَّ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، لَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا رَجُلًا - قَطُّ - لَا يُصَلِّي الْخُمْسَ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا، فَكُنَّا إِذَا قَحِطَ عَنَّا الْمَطَرُ، قُلْنَا لَهُ: أَخْرِجْ - يَا ابْنَ الْهَيَّانِ - فَاسْتَسْقِ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً. فَنَقُولُ لَهُ: كَمْ؟ فَيَقُولُ: صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ.

(١) أي: اليهودي الذي أخبرهم عن البعث والحساب وبعثه النبي ﷺ.

(٢) (صحيح) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» ابن هشام (١/ ٢٢٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح السيرة» (٥٩).

قَالَ: فَخَرَجُهَا، ثُمَّ يَخْرُجُ بِنَا إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا، فَيَسْتَسْقِي اللَّهَ لَنَا، فَوَاللَّهِ، مَا يَبْرُحُ مَجْلِسُهُ حَتَّى يَمُرَّ السَّحَابُ وَنُسْقَى، قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ. قَالَ: ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ عِنْدَنَا.

فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَى أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ قَالَ: قُلْنَا: إِنَّكَ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنِّي إِنَّمَا قَدِمْتُ هَذِهِ الْبَلَدَةَ أَتَوَكَّفُ - أَيْ أَنتَظِرُ - خُرُوجَ نَبِيِّ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ؛ وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مُهَاجِرُهُ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ فَاتَّبِعَهُ، وَقَدْ أَظْلَكُمُ زَمَانُهُ، فَلَا تُسَبِّحَنَّ إِلَيْهِ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَلَا يَمْنَعُكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ.

فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ هُوَ لَا إِفْتِيَةَ - وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَاثًا -: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، وَاللَّهِ، إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كَانَ عَهْدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ ابْنُ الْهَيْبَانِ. قَالُوا: لَيْسَ بِهِ. قَالُوا: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَهُوَ بِصِفَتِهِ، فَزَلُّوا وَأَسْلَمُوا، وَأَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ^(١).

أَتَاكُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى
وَعَلَّمَكُمْ دَرْبَ النِّجَاحِ مُبِينًا لِمَا
ضَلَلْتُمْ وَحَرَّفْتُمْ كِتَابَ هِدَايَةِ
وَأَمَنَ مِنْكُمْ بِالنَّبِيِّ أُولُوا النُّهَى
وَكَمْ شَهِدَتْ مِنْكُمْ رِجَالٌ بِنُبْلِهِ
وَأَنْذَرَ مَنْ يَعْصِيهِ بِالْوَيْلِ فِي الْحَشْرِ
جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ سَطْرًا عَلَى سَطْرٍ
وَمِلْتُمْ وَأَسْرَعْتُمْ عِنَادًا إِلَى الشَّرِّ
أُولُوا الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْفَهْمِ وَالْفِكْرِ
وَأَخْلَاقِهِ الْعُلَيَاءُ عَاطِرَةِ النَّشْرِ^(٢)

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، أَنْظَرُ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» لابْنِ هِشَامٍ (١/٢٢٦-٢٢٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السِّيَرَةِ» (٦٠).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١-٢/١٠٠٢).

٢- قِصَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ:

نُورٌ بَدَأَ فَأَبَانَ عَنْ فَلَقِ الْهُدَى وَجَلَا الضَّلَالَةَ فِي سَنَى بُرْهَانِهِ^(١)
مَنْ مَنَّا يَجْهَلُ حَالَ الْيَهُودِ وَعَدَاوَتَهُمْ الشَّدِيدَةَ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَبَيَّهَا
مُحَمَّدٌ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

وَلِشِدَّةِ عَدَاوَةِ الْيَهُودِ وَحِقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ،
يُعَدُّونَ بِالْأَصَابِعِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنْ
الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ»^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «لَوْ تَابَعَنِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا
يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ».

فَالْيَهُودُ أَهْلُ عِنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقْصُدُ مَنْ حَوْلَهُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ
رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنََّّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا حِينَئِذٍ رُؤَسَاءَ
فِي الْيَهُودِ وَمَنْ عَدَاهُمْ كَانَ تَبَعًا لَهُمْ، فَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
سَلَامٍ وَكَانَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالرِّيَاسَةِ فِي الْيَهُودِ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ»^(٣).

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ مَعْتُوقٍ» (٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١/ ٣٩٤) وَمُسْلِمٌ (٢٧٩٣).

(٣) «فَتْحُ الْبَارِي» (٧/ ٢٧٥).

وَهَا هُوَ عَالِمُ الْيَهُودِ وَسَيِّدُهُمْ يَشْهَدُ بِنبُوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَعَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَبِي أَوْفَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ثَلَاثًا)، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ؛ لَأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِي وَجْهُهُ، عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ^(١).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي سَأُثَلِّكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟

قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جَبْرِيلُ أَنْفًا» قَالَ: جَبْرِيلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبِيبٍ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ.

وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ». قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَّتْ^(٢)، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي.

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥٦٩).

(٢) بُهَّتْ - بِسُكُونِ الْهَاءِ وَتَضَمُّ - جَمْعُ بَهْتٍ، وَهُوَ الَّذِي تَبَهَّتِ الْعُقُولُ لَهُ؛ بِمَا يَفْتَرِيهِ مِنَ الْكَذِبِ، أَيْ: كَذَّابُونَ مُمَارُونَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ.

فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ؟».

قَالُوا: خَيْرُنَا، وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا.

قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟».

فَقَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ.

قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(١).

بُشْرَاكَ - يَا ابْنَ سَلَامٍ - بِالَّذِي ظَفَرْتَ بِهِ يَدَاكَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالشَّرَفِ! أَظْهَرْتَ مِنْ وَصَفِ خَيْرِ النَّاسِ قَاطِبَةً وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى قَوْلِ الْيَهُودِ^(٢) وَمَا وَقَالَ آخِرُ:

أَزُومُ امْتِدَاحَ الْمُصْطَفَى، فَيَرُدُّنِي وَمَنْ لِي بِحَضَرِ الْبَحْرِ، وَالْبَحْرُ زَاخِرٌ؟! وَلَوْ أَنَّ أَعْضَائِي غَدَتْ أَلْسُنًا إِذَا وَلَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ تَأَلَّفُوا^(٤) فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَأَدُّبًا

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١٠).

(٢) عَرَّجَ عَلَى الشَّيْءِ أَيُّ: أَقَامَ.

(٣) الْجَنَفُ: الْمَيْلُ وَالْعُدُولُ عَنِ الْحَقِّ، وَبَابُهُ فَرَحَ.

(٤) تَأَلَّفُوا أَيُّ: اجْتَمَعُوا.

وَرُبَّ سُكُوتٍ كَانَ فِيهِ بِلَاغَةٌ وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَتَبٌ لِعَاتِبٍ^(١)

٣- قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لِلَّهِ هِمَّتُكَ الَّتِي رَجَعْتَ بِهَا هِمُّ الْمُلُوكِ الصَّاعِدَاتِ هُمُومًا^(٢)
تَأْمَلُ إِلَى قِصَّةِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ مَلِيًّا، تَجِدُ عِظَةً وَبِشَارَةً، وَمَوْضِعُ الشَّاهِدِ
مِنْهَا هِيَ بَشَارَةٌ أَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي زَمَانِهِ، إِذْ بَشَّرَ بِهِ سَلْمَانُ، وَدَلَّهُ عَلَى
مَكَانِهِ، وَذَكَرَ لَهُ عِلَامَاتٍ قَادَتْ سَلْمَانَ إِلَى تَصَدِيقِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، كَمَا جَاءَ فِي
حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ:

كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا: جَبِّي،
وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ^(٣) قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ
حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ (أَي: مُلَازِمَ النَّارِ) كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي
الْمَجُوسِيَّةِ، حَتَّى كُنْتُ قَطْنَ النَّارِ^(٤) الَّذِي يُوقِدُهَا، لَا أَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً. قَالَ:
فَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلْتُ فِي بُيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ،
إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَادْهَبْ فَاطْلِعْهَا، وَأَمْرَنِي
فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ.

فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ
أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ؛ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي

(١) «نَفْحُ الطَّيِّبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدُلُسِ الرَّطِيبِ» (٥/٥١٦).

(٢) «التَّذَكُّرَةُ الْفَخْرِيَّةُ» (١٠٠).

(٣) الدَّهْقَانُ - بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ -: كَبِيرُ الْقَرْيَةِ وَرَعِيئُهَا، الْعَارِفُ بِالْفَلَاحَةِ وَمَا يَصْلَحُ بِالْأَرْضِ مِنَ
الشَّجَرِ، وَيُلْجَأُ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

(٤) قَطْنَ النَّارِ أَي: خَازِنُهَا وَخَادِمُهَا الَّذِي يَخْدُمُهَا مِنْ أَنْ تُطْفَأَ لِتَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهَا.

بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبْتَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا - وَاللَّهِ - خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلِيٍّ، وَقَدْ شَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَاهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهِدْتُ؟! قُلْتُ: يَا أَبَتِي، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ، فَأَعَجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللَّهِ، مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

قَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا - وَاللَّهِ - إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا. قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قِيدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.

قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى، وَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تَجَارُّ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تَجَارُّ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ.

قَالَ: فَقُلْتُ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَأَذِنُونِي بِهِمْ. قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبِرُونِي بِهِمْ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ، حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأُسْقُفُ^(١) فِي الْكَنِيسَةِ. قَالَ: فَجِئْتُه، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي كَنِيسَتِكَ، أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، وَأُصَلِّيَ مَعَكَ.

(١) الْأُسْقُفُ - بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا - : عَالِمُ النَّصَارَى الَّذِي يُقِيمُ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ.

قَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ. قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ سَوْءٍ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيَرْغَبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا مِنْهَا شَيْئًا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ^(١) مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ^(٢).

قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بَعْضًا شَدِيدًا؛ لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلٌ سَوْءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيَرْغَبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعْتُمْ لَهُ مِنْهَا أَشْيَاءَ جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا. قَالُوا: وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ؟ قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ قَالُوا: فَدَلَّلْنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ، لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا قَالَ: فَصَلَّبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ.

قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّيَ الْخُمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَلَا أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَذَابُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ. قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ أَحَدًا قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، وَاللَّهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانُ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقُّ بِهِ.

(١) قِلَالٌ: جَمْعُ قَلَّةٍ، وَهِيَ إِنَاءٌ كَبِيرٌ لِلْعَرَبِ كَالْجَرَّةِ الْكَبِيرَةِ، وَسُمِّيَتْ قَلَّةً لِأَنَّهَا تُقَلُّ بِالْيَدِ (أَيُّ تُحْمَلُ).

(٢) الْوَرِقُ: الْفِصَّةُ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ. قَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي إِلَيْكَ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِاللَّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، وَاللَّهِ، مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بَنَصِيِّنَ، وَهُوَ فُلَانُ، فَالْحَقْ بِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيِّنَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي قَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِيهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ، مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حُضِرَ قُلْتُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟. قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، وَاللَّهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا أَمْرَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بَعْمُورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ أَمْرِنَا.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُورِيَّةَ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ أَصْحَابِهِ وَهَدِيهِمْ، وَاکْتَسَبْتُ حَتَّى صَارَتْ لِي بُقَيْرَاتٌ وَغَنِيمَةٌ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ ﷻ.

قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، وَإِنَّهُ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟.

قَالَ: فَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أَمْرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنْ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيِّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرُهُ إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كِتْفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَارٌ، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأَعْطِيكُمْ بُغَيْرَاتِي هَذِهِ وَغَنِيمَتِي هَذِهِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْوَهَا فَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي، فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ، وَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحَقِّ فِي نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَحَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرَّقِّ^(١)، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذَقٍ^(٢) لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فَلَانُ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللَّهِ، إِنَّهُمْ الْآنَ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذْتَنِي الْعُرَوَاءُ^(٣)، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي.

(١) الرَّقُّ - بِالْكَسْرِ - الْعُبُودِيَّةُ.

(٢) الْعَذَقُ - بِفَتْحِ الْعَيْنِ -: النَّخْلَةُ، وَالْعَذَقُ - بِكَسْرِ الْعَيْنِ -: عُقُودُ النَّخْلَةِ.

(٣) أَخَذْتَنِي الْعُرَوَاءُ أَيُّ: أَصَابْتَنِي الرِّعْدَةُ.

قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟، مَاذَا تَقُولُ؟، فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟، أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُسْتَبْتَهُ عَمَّا قَالَ.

وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقَبَاءٍ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا». وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ اثْنَتَانِ.

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، وَقَدْ تَبَعَ جِنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شِمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أُسْتَبْتُ فِي شَيْءٍ قَدْ وُصِفَ لِي. قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ وَعَرَفْتُهُ، فَاَنْكَبْتُ عَلَيْهِ أُقْبِلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَوَّلْ». فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي - كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقِّيَّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِدُرٍّ وَأُحْدٌ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ».

فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ نَخْلَةٍ، أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ^(١)، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَعِينُوا أَحَاكُم».

فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يُعِينُ الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ إِلَيَّ ثَلَاثِمِائَةِ وَدِيَّةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذهَبْ - يَا سَلْمَانُ - فَعَفِّرْ لَهَا^(٢)، فَإِذَا فَرَعْتَ فَاتِنِي فَأَكُونُ أَنَا أَضْعُهَا بِيَدِي».

قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْهَا جِثَّتْ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِيَ إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّ^(٣)، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِبُ؟». قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ فَأَدِّبْهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ».

قَالَ: قُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - مِمَّا عَلَيَّ؟، قَالَ: «خُذْهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ».

قَالَ: فَأَخَذْتُهَا، فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا - وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ - أَرْبَعِينَ

(١) بِالْفَقِيرِ أَيُّ: بِالْحَفْرِ وَبِالْعَرَسِ.

(٢) فَفَقَّرْتُ لَهَا أَيُّ: اخْفِرْ لَهَا.

(٣) الْوَدِيَّ: فِرَاحُ النَّخْلِ الصَّغَارِ، وَاحِدَتُهَا وَدِيَّةٌ.

أَوْفِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِّقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ^(١).

من (فارس) طَلَبَ الْهُدَى سَلْمَانُ فَعَدَا بِجِدٍّ إِنَّهُ الْإِيمَانُ
لَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي الثَّرِيَّا عَالِقًا لَسَمَا إِلَيْهِ وَنَالَهُ سَلْمَانُ
رَغَمَ الْمَتَاعِبِ ظَلَّ يَسْعَى جَاهِدًا يَهْفُو بِشَوْقٍ حَبْدًا الْعُنْوَانُ
سَلْمَانُ قَدْ قَطَعَ الْفِيَا فِي رَغْبَةٍ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ
وَلَكُمْ تَنْقَلُ بَاحِثًا عَنْ نُورِهِ فِي رِحْلَةٍ دَوَّتْ بِهَا الْأَزْمَانُ
حَتَّى رَأَى وَجْهَ الْهُدَى فَاسْتَبَشَّرَتْ عَيْنَاهُ بَلْ وَتَحَرَّرَ الْإِنْسَانُ^(٢)

٤- قِصَّةُ هِرْقَلِ مَلِكِ الرُّومِ:

شَهِدْتُ مِنْ تَارِيخِهِ قِصَّةَ رَوَائِعِ التَّمَثِيلِ فِيهَا ضُرُوبُ^(٣)
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرْقَلَ
أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ - وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ - فِي الْمُدَّةِ^(٤) الَّتِي
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكَفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ،
فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَتَرَجُمَانِهِ، فَقَالَ:
أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ:
أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا.

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٥/ ٣٥٤)، وَحَسَنَهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»

(٢٥١٩)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٨٩٤).

(٢) قَالَهُ أَخُونَا عُمَرُ بْنُ صَبِيحٍ الْحَضْرَمِيُّ - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

(٣) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٣/ ٢٧١).

(٤) فِي الْمُدَّةِ: يَعْنِي مُدَّةَ الصُّلْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَتْ الْحُدَيْبِيَّةُ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَتْ مُدَّتُهَا عَشَرَ سِنِينَ.

فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ^(١). ثُمَّ قَالَ لِرَجْمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

فَوَاللَّهِ، لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ - قَطُّ - قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ^(٢)، يَنَالُ مِنَّا، وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَةِ.

(١) أَيُّ: لِيَنَالُوا يَسْتَحْيُوا أَنْ يُوَاجِهُوا بِالتَّكْذِيبِ إِنْ كَذَبَ.

(٢) سِجَالٌ أَيُّ: نُوبٌ، نُوبَةٌ لَنَا، وَنُوبَةٌ لَهُ، وَأَصْلُهُ: أَنَّ الْمُسْتَقِينَ بِالسَّجْلِ (وَهِيَ الدَّلْوُ الْمَلَأَى) يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَجْلٌ.

فَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشَرَّافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ: بِمِ يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ.

فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمْتُ أَنِّي أَخْلَصُ^(١) إِلَيْهِ لَتَجَشَّسْتُ

(١) أَخْلَصُ أَيُّ: أَصِلُ.

لِقَاءَهُ^(١)، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةً إِلَى عَظِيمٍ بُصْرِي^(٢)، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ^(٣)، وَ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٦٤].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ^(٤)، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ^(٥) أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ^(٦)، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٧). فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا

(١) لَتَجَسَّسْتُ لِقَاءَهُ أَيُّ: تَكَلَّفْتُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

(٢) عَظِيمٍ بُصْرِي أَيُّ: أَمِيرُهَا.

(٣) الْأَرِيسِيِّينَ: اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِهِ هُنَا: وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ: أَنَّهُمُ الْأَكَارُونَ (أَيُّ: الْفَلَاحُونَ وَالزَّرَّاعُونَ)، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ رَعَايَاكَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ وَيَتَّقِدُونَ لِأَمْرِكَ، وَتَبَّهَ بِالْأَكَارِينَ عَلَى جَمِيعِ الرِّعَايَا؛ لِأَنَّهُمُ الْأَغْلَبُ، وَلَئِنَّهُمْ أَسْرَعُ انْقِيَادًا.

(٤) الصَّخَبُ - بِالتَّخْرِيكِ - الصَّوْتُ الْمُخْتَلِطُ الْمُرتَفِعُ.

(٥) أَمَرَ - بِكُسْرِ الْمِيمِ - عَظَّمَ.

(٦) ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ: أَرَادَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّ أَبَا كَبْشَةَ أَحَدَ أَجْدَادِهِ، وَعَادَةُ الْعَرَبِ إِذَا انْتَقَصَتْ نَسَبَتْ إِلَى جَدٍّ غَامِضٍ. وَقِيلَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ خِزَاعَةَ كَانَ يَعْبُدُ الشَّعْرَى، وَلَمْ يَوَافِقْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي عِبَادَتِهَا، فَسَبَّهُوا النَّبِيَّ ﷺ بِهِ لِمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي دِينِهِمْ، كَمَا خَالَفَهُمْ أَبُو كَبْشَةَ.

(٧) بَنِي الْأَصْفَرِ: هُمُ الرُّومُ.

أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ^(١) وَهَرَقْلَ سُقْفًا^(٢) عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هَرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِثَ النَّفْسِ^(٣)، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ^(٤): قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هَرَقْلُ حَزَاءً^(٥) يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ^(٦)، فَمَنْ يَخْتَنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَنُ إِلَّا الْيَهُودُ، فَلَا يَهْمَنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَتَى هَرَقْلَ بَرَجُلٌ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ^(٧)، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هَرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمْخَتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا. فَانْظُرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَنُونَ. فَقَالَ هَرَقْلُ: هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هَرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بُرُومِيَّةَ، وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هَرَقْلُ إِلَى حِمَصَ، فَلَمْ يَرَمْ حِمَصَ^(٨) حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هَرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ

(١) إِيلِيَاءَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ.

(٢) السُّقْفُ: الرَّئِيسُ الدِّينِي عِنْدَ النَّصَارَى.

(٣) خَبِثَ النَّفْسِ أَيُّ: مَهْمُومًا.

(٤) بَطَارِقَةُ: رِجَالُ الْكَنِيسَةِ، وَاحِدُهُمْ بَطْرِيْقٌ.

(٥) حَزَاءٌ أَيُّ: كَاهِنًا.

(٦) ظَهَرَ أَيُّ: غَلَبَ.

(٧) مَلِكُ غَسَّانَ: هُوَ صَاحِبُ بُصْرَى.

(٨) لَمْ يَرَمْ حِمَصَ أَيُّ: لَمْ يُعَادِرْهَا.

نَبِيِّ، فَأَذِنَ هِرَقْلٌ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسَكْرَةِ^(١) لَهُ بِحِمَصٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا
فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ
مُلْكُكُمْ فُتَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا^(٢) حَيْصَةَ حُمِرِ الْوَحْشِ^(٣) إِلَى الْأَبْوَابِ،
فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ.

فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلٌ نَفَرَتَهُمْ، وَأَيَسَ مِنَ الْإِيْمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ.
وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِفًا^(٤) أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ.
فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلٍ^(٥).

٥- قِصَّةُ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

مَلِكٌ مُقْسِطٌ^(٦) وَأَفْضَلُ مَنْ يَمُ — شَيْ وَمِنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ^(٧) (٨)
عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: «لَمَّا
نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيِّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا

(١) الدَّسَكْرَةُ - بَفَتْحٍ فَسُكُونٍ - : الْقَصْرُ الَّذِي حَوْلَهُ بَيْوتٌ.

(٢) فَحَاصُوا أَيُّ: نَفَرُوا.

(٣) حُمِرِ الْوَحْشِ: شَبَّهَهُم بِالْوَحْشِ؛ لِأَنَّ نَفَرَتَهَا أَشَدُّ مِنْ نَفَرَةِ الْبَهَائِمِ الْإِنْسِيَّةِ. وَشَبَّهَهُم بِالْحُمِرِ
دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْوَحْشِ لِمُنَاسَبَةِ الْجَهْلِ وَعَدَمِ الْفِطْنَةِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ.

(٤) أَنِفًا أَيُّ: قَرِيبًا.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٦).

(٦) الْمُقْسِطُ: الْعَادِلُ.

(٧) وَمَعْنَى: (وَمِنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ) أَيُّ: الثَّنَاءُ مِنَّا عَلَيْهِ أَقْلُ مِمَّا فِيهِ، وَعِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ
أَكْثَرُ مِمَّا نَصِفُ وَنُثْنِي.

(٨) «شَرْحُ الْمُعْلَقَاتِ» لِلزَّوْزَنِيِّ (٢٧٧).

اللَّهُ لَا تُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، اتَّخَمُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ^(١)، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا الْأَدَمُ^(٢)، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرَكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: اذْفَعَا إِلَى كُلِّ بِطَرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطَرِيقٍ مِنْهُمَا: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ؛ لِيُرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ، وَعَشَائِرِهِمْ؛ لِيُرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى

(١) جَلْدَيْنِ أَيُّ: شَدِيدَيْنِ قَوِيَّيْنِ.

(٢) الْأَدَمُ - بِالتَّحْرِيكِ -: الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ.

بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ، وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلَيَّرَدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللَّهُ^(١) أَيْمُ اللَّهِ^(٢) - إِذَا - لَا أَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوِرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ، أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمْنَا وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِينَا ﷺ، كَائِنْ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنْ. فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ

(١) لَا هَا اللَّهُ أَيُّ: لَا وَاللَّهِ، اسْتَغْنَى عَنْ وَآوِ الْقَسَمِ بِحَرْفِ التَّنْبِيهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مَعَ اللَّهِ.

(٢) أَيْمُ اللَّهِ: كَانُوا يَحْلِفُونَ بِأَيْمَنِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ يَمِينُ اللَّهِ لَا أَفْعَلُ، ثُمَّ جَمَعُوا الْيَمِينَ عَلَى أَيْمَنِ، ثُمَّ حَلَفُوا بِهِ، فَقَالُوا: أَيْمَنُ اللَّهِ لِأَفْعَلَنَّ كَذَا، ثُمَّ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ وَخَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ حَتَّى حَدَفُوا مِنْهُ النُّونَ، فَقَالُوا: أَيْمُ اللَّهِ، وَأَلْفَهُ أَلْفٌ وَصَلَّ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّحْوِيِّينَ.

الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِمَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِمَّنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْجِبَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّيَامِ.

قَالَتْ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيُرِدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نُسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نُسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا - خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جَوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟
قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كَهْيَعَصَ﴾ [مَرْيَم: ١].

قَالَتْ: فَبَكَى - وَاللَّهِ - النَّجَاشِيُّ، حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ^(١)، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ^(٢) حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ

(١) أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ: أَبْلَاهَا بِالدُّمُوعِ.

(٢) مَصَاحِفَهُمْ: أَنَاجِيَهُمْ.

هَذَا - وَاللَّهِ - وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةٍ^(١) وَاحِدَةٍ، انْطَلَقَا
فَوَاللَّهِ، لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أَكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ،
لَأُبَيِّنَنَّ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضِرَاءَهُمْ^(٢). قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ - وَكَانَ أَتَقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا -: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا،
وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدُ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ.

قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ
الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟، قَالُوا:
نَقُولُ - وَاللَّهِ - فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِينًا، كَأَنَّا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ
كَائِنْ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ
جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِينًا، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ،
وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ^(٣).

قَالَتْ: فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا

(١) الْمِشْكَاةُ - بِالْكَسْرِ - الْكُوَّةُ الَّتِي لَيْسَتْ بِنَافِذَةٍ، وَهِيَ مَحْطُّ الْمَصَابِيحِ غَالِبًا، وَالْمُرَادُ: أَنَّ الْقُرْآنَ
وَالْإِنْجِيلَ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ.

(٢) خَضِرَاءُهُمْ أَيُّ: سَوَادُهُمْ وَمُعْظَمُهُمْ.

(٣) أَصْلُ الْبَتُولِ: الْقَطْعُ، وَسُمِّيَتْ الْبَتُولُ؛ لِانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا فَضْلًا وَدِينًا وَحَسَبًا، وَقِيلَ:
لَا نَقِطَعُهَا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -. وَقِيلَ: الْمُنْقَطِعَةُ عَنِ الرَّجَالِ، لَا شَهْوَةَ لَهَا فِيهِمْ.

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاحَرَتْ بِطَارِقَتُهُ^(١) حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بَارِضِي - وَالسُّيُومُ: الْأَمْنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرْمٌ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرْمٌ، فَمَا أَحِبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي أَذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالذَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ، مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودَا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ، يَعْني مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا - قَطُّ - كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِ حَزْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ.

قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَتَفَخَّوْا لَهُ قَرَبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا، حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ.

قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمَكُّينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْتَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنَزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى

(١) فَتَنَاحَرَتْ بِطَارِقَتُهُ أَيُّ: تَكَلَّمْتُ، وَكَانَتْهُ كَلَامٌ مَعَ غَضَبٍ وَنَقُورٍ.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ^(١).

قُضِيَ الزَّمَانُ وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ بِكُلِّ كِتَابٍ
أَخْبَارُهُ مَعَ سَائِرِ الْأَخْبَارِ، وَالرُّهْبَانِ، وَالْكُهَّانِ، وَالْحُسَّابِ
عَرَفُوهُ قَبْلَ شُهُودِهِ بِدَلَالٍ عُنْوَانُهُنَّ مَنَاصِبُ الْأَنْسَابِ^(٢)

٦- إخبار الكهان والجان ببعثته ﷺ:

أَصْغَتْ إِلَيْكَ الْجِنَّ وَأَنْبَهَرَتْ بِمَا تَتْلُو، وَعَمَّ قُلُوبَهَا اسْتِشْشَارُ^(٣)
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لشيءٍ - قَطُّ - يَقُولُ: إِنِّي
لَأُظَنُّهُ كَذَا. إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ، بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ، فَقَالَ:
لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَوْ أَنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنُهُمْ، عَلَيَّ
الرَّجُلَ^(٤)، فَدَعَيْ لَه، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتَقْبَلَ بِهِ رَجُلٌ
مُسْلِمٌ، قَالَ: فَإِنِّي أَعِزُّمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي.

قَالَ: كُنْتُ كَاهِنُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ

جَنَّتِكَ؟

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٤٠)، وَحَسَنَهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»
(٢١٧٨)، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣١٩٠). وَالشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ
أَوَّلَهُ، وَقَالَ: الْحَدِيثُ بِطَوِيلِهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ»
تَحْتَ رَقْمِ (٣١٩٠) (٥٧٧/٧).

(٢) «دَوَائِئُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٦٢ / ٨٣).

(٣) «مِنْ عَيُونِ الشُّعْرِ» (١ / ٦٧٠).

(٤) عَلَيَّ - بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ - الرَّجُلُ أَيُّ: أَحْضَرُوهُ، أَوْ قَرَّبُوهُ مِنِّي.

قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ، جَاءَتْنِي أَعْرَفُ فِيهَا الْفَزَعُ، فَقَالَتْ:
أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبْلَاسَهَا^(١) وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا^(٢)
وَلُحُوقِهَا بِالْقِلَاصِ^(٣) وَأَحْلَاسَهَا^(٤)

قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعَجَلٍ فَذَبَحَهُ،
فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ - لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ - يَقُولُ: يَا جَلِيحٌ^(٥)،
أَمْرٌ نَجِيحٌ، رَجُلٌ فَصِيحٌ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَوَثَبَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: لَا أَبْرَحُ
حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا، ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيحٌ، أَمْرٌ نَجِيحٌ رَجُلٌ فَصِيحٌ، يَقُولُ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقُمْتُ، فَمَا نَشَبْنَا^(٦) أَنْ قِيلَ هَذَا نَبِيٌّ^(٧).

وَصَرَّحَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الرَّجُلَ هُوَ: سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ، كَمَا جَاءَ فِي
بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ.

وَكَانَ مِنْ عِلَامَةِ نُبُوَّتِهِ ﷺ أَنْ مُنِعَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ^(٨).

(١) وَإِبْلَاسُهَا أَيُّ: وَخَوْفُهَا.

(٢) مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا أَيُّ: مِنْ بَعْدِ انْقِلَابِهَا عَلَى رَأْسِهَا، مَعْنَاهُ: يَبْسُتُ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ
أَلْفَتَهُ، فَانْقَلَبَتْ عَنِ الْاسْتِرَاقِ.

(٣) الْقِلَاصُ - بِكَسْرِ الْقَافِ -: جَمْعُ قُلُوصٍ، وَهِيَ النَّاقَةُ الشَّابَّةُ.

(٤) وَأَحْلَاسُهَا: جَمْعُ حِلْسٍ - بِالْكَسْرِ - وَهُوَ كِسَاءٌ يُجْعَلُ تَحْتَ رَحْلِ الْإِبِلِ عَلَى ظُهُورِهَا تَلَازِمُهُ، وَالْمَرَادُ:
بَيَانُ ظُهُورِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ ﷺ، وَمُتَابَعَةُ الْجَنِّ لِلْعَرَبِ، وَلُحُوقِهِمْ بِهِمْ فِي الدِّينِ؛ إِذْ هُوَ رَسُولُ الثَّقَلَيْنِ.

(٥) يَا جَلِيحٌ - بَفَتْحِ الْجِيمِ - أَيُّ: يَا وَقِحْ، وَمَعْنَاهُ: الْمَكَافِحُ الْمَكَاشِفُ بِالْعِدَاوَةِ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ
نَادَى رَجُلًا بِعَيْنِهِ، أَوْ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

(٦) فَمَا نَشَبْنَا أَيُّ: فَمَا لَبِثْنَا.

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٦٦).

(٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩٢١).

وَمِنْ هَوَاتِفِ الْجَانِّ - أَيْضًا - مَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
أَنَّ أَوَّلَ خَبَرٍ كَانَ بِالْمَدِينَةِ بِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً بِالْمَدِينَةِ كَانَتْ لَهَا
تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ، فَجَاءَ فِي صُورَةِ طَائِرٍ أَيْضَ، فَوَقَعَ عَلَى حَائِطٍ لَهُمْ، فَقَالَتْ
لَهُ: أَلَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا، وَتُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُكَ، وَتُخْبِرُنَا وَنُخْبِرُكَ؟

فَقَالَ لَهَا: إِنَّهُ قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ بِمَكَّةَ حَرَّمَ الزَّنا، وَوَضَعَ مِنَّا الْقَرَارَ^(١).

وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ
عَمُّوا وَصَمُّوا فَأَعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ يُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ لَمْ تُشَمَّ^(٢)
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بَأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمْ



(١) (حسن) أخرجه أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» (٢٩)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ السَّيْرَةِ» (٨٣).

(٢) لَمْ تُشَمَّ أَيُّ: لَمْ تُرَ وَلَمْ تُشَاهَدْ.

الْبَعْثَةُ النَّبَوِيَّةُ

الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ^(١)
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ رَحْمَةً عِبَادِهِ وَإِكْرَامَهُمْ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى
حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ؛ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ
وَهُوَ فِي سِنِّ الْأَرْبَعِينَ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ،
فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ»^(٢).
أَطْلَ فَجْرُهُدَاهُ وَالْدُّجَى^(٣) عَمَمٌ^(٤) بَاتَ الْأَنَامُ وَظَلُّوا فِيهِ عُمَيَانَا
هَذَا يُصَوِّرُ تَمَثُّلًا وَيَعْبُدُهُ وَذَلِكَ يَعْبُدُ أَحْبَارًا وَكُفَّاهَا^(٥)

١- نَزُولُ الْوَحْيِ:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾ فِي حِرَاءٍ تَحَرَّرَتْ وَالْدَّهْرُ غَافٍ فِي عَمِيقِ سُبَاتِهِ^(٦)
جَاءَهُ الْوَحْيُ وَهُوَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ حِرَاءٍ، وَهُوَ الْغَارُ الَّذِي فِي أَعْلَى الْجَبَلِ
الْمُسَمَّى جَبَلِ النُّورِ، شَرْقِيَّ شِمَالِ مَكَّةَ عَلَى يَمِينِ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا.

(١) «الشُّوْقِيَّاتُ» (١ / ١).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٥١)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥١).

(٣) الدُّجَى - بَزِيَّةُ الْهُدَى - الظُّلْمَةُ.

(٤) عَمَمٌ أَيُّ: تَامَ عَامٌ.

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧ / ١٥٠).

(٦) المرجع السابق (٧٣ / ٥٦٠).

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ^(١)، ثُمَّ حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِدَلِكِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ^(٢)، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ^(٣)، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ. فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ^(٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ [الْعَلَقُ: ١-٣].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي ^(٤) زَمِّلُونِي»، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ ^(٥)، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ - وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ - : «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا - وَاللَّهِ - مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ^(٦)، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ^(٧)،

- (١) فَلَقِ الصُّبْحِ - بِالتَّحْرِيكِ - صَوُّهُ وَإِنَارَتُهُ، وَالْمَعْنَى: تَأْتِي رُؤْيَاهُ مَبِينَةً مِثْلَ مَجِيءِ الصُّبْحِ.
- (٢) الْغَطُّ: الْعَصْرُ الشَّدِيدُ وَالْكَبْسُ، قِيلَ: إِنَّمَا غَطَّهُ؛ لِيُخْتَبِرَهُ هَلْ يَقُولُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ شَيْئًا.
- (٣) حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ أَيُّ: بَلَغَ الْغَطُّ مِنِّي غَايَةَ وَسَعِي.
- (٤) زَمِّلُونِي أَيُّ: لَفُونِي فِي الثِّيَابِ، وَدَثِّرُونِي بِهَا؛ لَيْسَكُنَّ مَا حَصَلَ لِي مِنَ الرَّعْدَةِ.
- (٥) الرُّوعُ: الْإِفْرَاقُ وَالْخَوْفُ.
- (٦) الْكَلُّ - بِالْفَتْحِ - الثَّقُلُ، وَيَدْخُلُ فِي حَمْلِ الْكَلِّ الْإِنْفَاقُ عَلَى الضَّعِيفِ، وَالْيَتِيمِ، وَالْعِيَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.
- (٧) تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ: تُكْسِبُ غَيْرَكَ الْمَالَ الْمَعْدُومَ (أَيُّ تُعْطِيهِ إِيَّاهُ تَبَرُّعًا)، وَقِيلَ مَعْنَاهُ تُعْطِي النَّاسَ مَا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَعْدُومَاتِ الْفَوَائِدِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَتَقْرِي الصَّيْفَ^(١)، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٢).

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ، حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ^(٣) الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا^(٤) جَذَعٌ^(٥)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْمُخْرِجِي هُمْ». قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ - قَطُّ - بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ^(٦) وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ^{(٧)(٨)}.

(١) تَقْرِي الصَّيْفَ - يَفْتَحِ النَّاءَ - تَضْفِئُهُ.

(٢) النَوَائِبُ: جَمْعُ نَائِبَةٍ، وَهِيَ الْحَادِثَةُ وَالْمُصِيبَةُ، إِنَّمَا قَالَتْ: «نَوَائِبِ الْحَقِّ» لِأَنَّ النَّائِبَةَ تَكُونُ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

(٣) النَّامُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا جِبْرِيلُ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - خَصَّهُ بِالْغَيْبِ وَالْوَحْيِ الَّذِي لَا يُطْلَعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

(٤) فِيهَا: الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى أَيَّامِ النُّبُوَّةِ وَمُدَّتِهَا.

(٥) جَذَعٌ - بِالتَّخْرِيكِ - أَيُّ: شَابٌّ قَوِيٌّ؛ حَتَّى أَبَالِغَ فِي نُصْرَتِكَ.

(٦) لَمْ يَنْشَبْ: لَمْ يَلْبَثْ.

(٧) فَتَرَ الْوَحْيَ: احْتَبَسَ بَعْدَ مُتَابَعَتِهِ وَتَوَالِيهِ فِي النُّزُولِ، وَلَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي إِبْطَائِهِ ذَهَابُ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الرُّوعِ، وَالتَّشَوُّفُ إِلَى عَوْدِهِ.

(٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٣)، وَمُسْلِمٌ^(٢٥٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمَّا قَالَ لَهَا: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَهُ: أَبَشِّرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا» ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يُخْزَى أَبَدًا، فَعَلِمَتْ بِكَمَالِ عَقْلِهَا وَفِطْرَتِهَا أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ وَالشِّيمَ الشَّرِيفَةَ تُنَاسِبُ أَشْكَالَهَا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَتَأْيِيدِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَا تُنَاسِبُ الْخِزْيَ وَالْخِذْلَانَ، وَإِنَّمَا يُنَاسِبُهُ أَضْدَادُهَا، فَمَنْ رَكَّبَهُ اللهُ عَلَى أَحْسَنِ الصِّفَاتِ، وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَلِيقُ بِهِ كَرَامَتُهُ وَإِتْمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ رَكَّبَهُ عَلَى أَقْبَحِ الصِّفَاتِ وَأَسْوَأِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَلِيقُ بِهِ مَا يُنَاسِبُهَا، وَبِهَذَا الْعَقْلِ وَالصَّديْقِيَّةِ اسْتَحَقَّتْ أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهَا رَبُّهَا بِالسَّلَامِ مِنْهُ مَعَ رَسُولِيهِ جَبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ ﷺ^(١).

إِنَّ الْبَرِيَّةَ يَوْمَ مَبْعَثِ أَحْمَدٍ نَظَرَ إِلَيْهِ لَهَا، فَبَدَّلَ حَالَهَا بَلْ كَرَّمَ الْإِنْسَانَ حِينَ اخْتَارَ مِنْ وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفِتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ، وَالْأَوْتَانُ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ فَأَمْسَى سَرَجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ^(٣) الْمُهَنْدُ^(٤) وَأَنْذَرَنَا نَارًا، وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ، فَالَلَهُ نَحْمَدُ^(٥)

(١) زاد المعاد (٣/ ١٧).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعَرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (٣/ ١٥٠).

(٣) الصَّقِيلُ: السَّيْفُ الْمَجْلُو الْمُتَجَرِّدُ الْمَاضِي فِي الضَّرِيَّةِ. وَالْمُهَنْدُ: الْمَطْبُوعُ مِنْ حَدِيدِ الْهِنْدِ.

(٤) الْمُهَنْدُ: الْمَطْبُوعُ مِنْ حَدِيدِ الْهِنْدِ.

(٥) «دِيْوَانُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٤٢).

وَقَالَ أَسْتَادُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

وَأَفَيْتَ وَالْأَرْضَ ظُمَاً وَالْأَنَامَ عَلَى
فَكُنْتَ غَيْثًا وَنَوَارًا^(١) فَارْتَوَتْ، وَرَأَوْا
فَجَاءَ عَصْرُكَ أَنْوَارٌ صَحَائِفُهُ
وَقَالَ آخَرُ:

سَطَعَتْ وَلَيْلُ الْغَيِّ^(٣) مُلْقٍ جِرَانَهُ^(٤)
فَجِئْتُ بِقُرْآنٍ حَوَى كُلَّ حِكْمَةٍ
عَلَى الْكَوْنِ تَهْمِي^(٥) بِالرَّزَايَا^(٦) سَحَائِبُهُ
أَنَارَتْ دِيَاجِي^(٧) الْكَائِنَاتِ كَوَاكِبُهُ^(٨)
٢- فِتْرَةُ الْوَحْيِ:

وَلَأَنْتَ أَسْمَى الْمُرْسَلِينَ مَكَانَةً بِجَلَالِ قَدْرِ أَوْ عُلُوِّ رِكَابٍ^(٩)
الْمُرَادُ بِفِتْرَةِ الْوَحْيِ: احْتِبَاسِهِ، وَعَدَمُ تَتَابُعِهِ وَتَوَالِيهِ فِي النَّزُولِ، وَالصَّحِيحُ:
أَنَّ هَذِهِ الْفِتْرَةَ لَمْ تَتَعَدَّ شَهْرًا، جَاءَ ذَلِكَ مُصَرَّحًا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَاوَزْتُ بِحِرَاءِ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي، نَزَلْتُ

(١) النَّوَارُ: الْأَزْهَارُ، وَاحِدُهَا نَوَّارَةٌ.

(٢) الْحَرْفُ الْمُنْعَجِمُ: الْمُرَالُ إِبْهَامُهُ بِالنَّقْطِ وَالشَّكْلِ.

(٣) الْغَيِّ: خِلَافُ الرُّشْدِ وَالْهِدَايَةِ.

(٤) الْجِرَانُ - بِالْكَسْرِ - بَاطِنُ عُنُقِ الْبَعِيرِ، وَقَدْ اسْتَعَارَهُ لِلَّيْلِ.

(٥) تَهْمِي: تَسِيلُ.

(٦) الرَّزَايَا: جَمْعُ رَزِيَّةٍ، وَهِيَ الْمُصِيبَةُ.

(٧) الدِّيَاجِي: الطُّلُمَاتُ، وَاحِدُهَا دَيْجَاةٌ.

(٨) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ» (٨٣).

(٩) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٨/٣٦٣).

فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ، فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا.

ثُمَّ نُودِيتُ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذْتَنِي رَجْفَةً شَدِيدَةً، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي. فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكْذِرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ١-٤] ^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرَعَبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ١-٢] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ٥] فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَنَابَعَ ^(٢).

أَتَى الْهُدَى نُورًا وَنِعْمَةً وَقَدْ كَانَ وَجْهُ الْكُونِ بِالشَّرِكِ مُظْلِمًا فَجَلَّى بِأَنْوَارِ الْهُدَى كُلَّ ظُلْمَةٍ وَأَطْلَعَ فِي الْآفَاقِ لِلدِّينِ أَنْجَمًا وَقَالَ عِمَادُ بْنُ عَلِيٍّ - حَفَظَهُ اللَّهُ -:

كَانَ الزَّمَانُ لَيَالٍ لَا بَيَاضَ بِهَا حَتَّى أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ بِالْفَجْرِ مُحَمَّدٌ مِّنْ هَدَى الْإِنْسَانِ فِطْرَتَهُ وَكَانَ فِي دُجْنَةٍ ^(٣) الْأَفْكَارِ كَالْبَدْرِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٧) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٣٢٥).

(٣) الدُّجْنَةُ: الظُّلْمَةُ، وَالْجَمْعُ: دُجْنٌ.

٣- كَيْفَ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ؟

سَارَ مِنَ الْوَحْيِ مَنْ يُنْكِرُ جَلَالَتَهُ يَكْشِفُ لَهُ اللَّهُ عَنْ رَوْعَاتِ جِبْرِيلَ^(١) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً^(٢)، وَكَانَ جَبِينُهُ يَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَغَيَّرُ وَيَكْرُبُ^(٣)، وَجِسْمُهُ يَثْقُلُ، يَقُولُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذَهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَ فَخِذِي»^(٤).

وَكَانَ ﷺ يَرْكُزُ ذَهْنَهُ بِشِدَّةٍ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ، فَيَحْرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَتَزَلُّ الْآيَةُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١٦) إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ^(١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنْبِئْ قُرْآنَهُ^(١٨) ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانُهُ^(١٩) ﴿[الْقِيَامَةُ: ١٦-١٧]»^(٥).

وَكَانَ حِرْصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَبْلِيغِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَدْفَعُهُ إِلَى التَّعَجُّلِ فِي تَلْقِيهِ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ ذَلِكَ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١١٤) [طه: ١١٤].

وَقَدْ أَوْضَحَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ، قَالَ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتِمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي، فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»^(٦).

(١) «ذِيوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٤٣٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٣).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٤).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٧٧).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥)، وَمُسْلِمٌ (٤٤٨).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٣).

وَكَانَ الْوَحْيُ يَأْتِيهِ فِي الْيَقَظَةِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ^(١).
 وَقَدْ اسْتَغْرَقَ نُزُولُ الْوَحْيِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، مِنْهَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ عَامًا
 بِمَكَّةَ، وَهَذَا الْمَشْهُورُ^(٢)، وَعِشْرُ سِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَهَذَا هُوَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ^(٣).
 لَا يَبْلُغُ الْبُلْغَاءُ وَصَفَ مَنَاقِبِ أَتْنَى عَلَى إِحْسَانِهَا التَّنْزِيلُ
 شَيْئٌ لَكُمْ غُرٌّ أَتَى بِمَدِيحِهَا الْفُرْقَانُ، وَالتَّوْرَةُ، وَالْإِنْجِيلُ^(٤)
 وَقَالَ أُسْتَاذُنَا:

أَتَى بِهَا الْوَحْيُ آيَاتٍ مُنَزَّلَةً
 لَكِنَّهَا أَعْجَزَتْهُمْ فِي بِلَاغَتِهَا
 فَصَحَى عَلَى وَفْقِ مَا اعْتَادُوا مِنَ الْكَلِمِ
 وَسَحَرُ أَسْلُوبِهَا أَعْيَا ذَوِي الْحِكَمِ!!
 وَقَالَ آخِرُ:

أَتَى بَكْتَابٍ أَعْجَزَ الْخُلُقَ لَفْظُهُ
 تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ كُلَّهُمْ
 فَكُلُّ بَلِيغٍ عَذْرُهُ صَارَ أَبْكَمَا
 فَلَمْ يَفْتَحُوا فِيمَا يُعَارِضُهُ فَمَا
 وَيَعْرِفُ هَذَا كُلُّ مَنْ كَانَ أَفْهَمَا
 حَوَى كُلُّ بَرْهَانٍ عَلَى كُلِّ مَطْلَبٍ



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١-٢-٣)، وَمُسْلِمٌ (١٨١٧).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤/٢٣٨)، وَمُسْلِمٌ (١٨٢٦).

(٣) انْظُرْ «عِيُونُ الْأَثَرِ» لابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ (١/٨٩)، وَ«نُصْرَةُ النَّعِيمِ» (١/٢٠٧).

(٤) «النُّكْتُ الْعَصْرِيَّةُ» (٣٠٦).

نَبِيٌّ بَاقِرًا، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِرِ

دِينٌ يُشِيدُ آيَةً فِي آيَةٍ لِبَنَاتِهِ السُّورَاتُ^(١) وَ الْأَضْوَاءُ^(٢)
كَانَ بَدْءُ نُبُوَّتِهِ ﷺ بِنزولِ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ [العلق: ١]،
وَبَدَأَتْ رِسَالَتُهُ ﷺ بِنزولِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ﴾ ﴿١﴾ ﴿فُتَاذِرْ﴾ ﴿٢﴾ [المدثر: ١-٢].

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَبِيٌّ بَاقِرًا، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِرِ»^(٣).

أَيُّ: نَبِيٌّ بِخَمْسِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْعَلَقِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَلَا تَرَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، ثُمَّ
كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا»^(٤).

رَأَيْتُكَ يَا - خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا - نَشَرْتَ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلِمًا

وَنَوَّرْتَ بِالْبُرْهَانِ أَمْرًا مُدْمَسًا^(٥) وَأَطْفَأْتَ بِالْبُرْهَانِ نَارًا مُضَرَّمًا^{(٦)(٧)}

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

وَحَدَّثَ رَبِّكَ ثُمَّ اخْتَرْتَ خَاتِمَةً لِلنَّبِيَّاءِ وَرُسُلِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

(١) اللَّبَنَاتُ: جَمْعُ لَبَنَةٍ - بوزنِ كَلِمَةٍ -، وَهِيَ الَّتِي تُتَّخَذُ مِنْ طِينٍ، وَيُنْبَى بِهَا.

(٢) «الشَّوْقِيَّاتُ» (١١ / ١).

(٣) «الأصول الثلاثة» (١١).

(٤) «الجامع لفقه القرطبي» (١١٦ / ١).

(٥) الْأَمْرُ الْمُدْمَسُ: هُوَ الْمَسْتُور.

(٦) نَارًا مُضَرَّمًا، أَيُّ: مُوقَدَةٌ مُشْعَلَةٌ.

(٧) «دَوَائِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣١ / ١٣٤).

نُبِّئْتُ بِـ (اقْرَأْ) وَبِالْمُدَّثِّرِ ابْتَدَأْتُ بُشِّرَى رِسَالَتِكَ الْغَرَاءَ لِلْأُمَمِ
فَسِرْتُ بِالْوَحْيِ تَدْعُو غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا تُلَاقِيهِ مِنْ صَدٍّ وَمِنْ نِقَمِ
سَقَيْتَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْآيِ أَفْئِدَةً ظُمَأَى، وَكَانَتْ عَلَى الْكُفَّارِ كَالْحَمَمِ
الدَّعْوَةُ السَّرِيَّةُ:

سَرَيْتَ سِرًّا، فَسَارَ النُّورُ مُسْتَتِرًا أَنَّى تَوَجَّهْتَ فِي لُطْفٍ وَفِي كَتَمٍ^(١)
بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَذِّبْ ۝٣ وَيُنَازِقُ
فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ١-٧].

قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَتَمَّ قِيَامٍ، فَكَانَ مِنَ
الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَبْدَأَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ﷺ مِنَ
النِّسَاءِ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بَلْ هِيَ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ إِطْلَاقًا.

وَأَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ عُمُرُهُ -
حِينَئِذٍ - عَشْرَ سِنِينَ.

وَأَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْ هُوَ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ مِنَ الْأَحْرَارِ مُطْلَقًا، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ^(٢).

وَأَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُؤُلَاءِ هُمْ أَوَّلُ
النَّاسِ إِسْلَامًا بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ، حَكَى الْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ
أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣).

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادِ.

(٢) «سِيرَةُ ابْنِ كَثِيرٍ» (١/ ٤٣٥)، وَ«فَتْحُ الْبَارِي» (٧/ ٢٤).

(٣) «صَحِيحُ السَّيِّرَةِ» (١٢٣).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ حَدِيثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَبْلَ الرِّجَالِ - أَيْضًا - وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْعِلْمَانِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا دُونَ الْبُلُوغِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا - إِذْ ذَاكَ - أَهْلَ الْبَيْتِ.

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَخْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِسْلَامُهُ كَانَ أَنْفَعَ مِنْ إِسْلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ؛ إِذْ كَانَ صَدْرًا مُعْظَمًا، وَرَئِيسًا فِي قُرَيْشٍ مُكْرَمًا، وَصَاحِبَ مَالٍ، وَدَاعِيَةً إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مُحِبًّا مُتَأَلِّفًا، يَبْذُلُ الْمَالَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١).

مِنْ ثَمَارِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سَلَامٌ عَلَى الصِّدِّيقِ إِذْ هُوَ لَمْ يَزَلْ لَخَيْرِ الْبَرَايَا فِي الْحَيَاتَيْنِ يَصْحَبُ فَثَانِيَهُ فِي الْغَارِ، الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ لِأُمَّتِهِ، نِعَمَ الْحَبِيبِ الْمُقَرَّبِ!^(٢) بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْطَلَقَ يَدْعُو غَيْرَهُ إِلَى هَذَا الدِّينِ، وَالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَاسْتَجَابَ لَهُ كَوَكْبَةٌ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، وَهُمْ:

١ - عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣ - سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤ - الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥ - طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (١١٩).

(٢) «دَوَائِيقُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧٧/٤٥٧).

لِلَّهِ كَوَكَبَةٌ قَدْ آمَنْتَ رَغَبًا وَيَا لَهُ رَغَبًا مَا مِثْلُهُ رَغْبًا!
الصَّدْقُ إِنْ عَاهَدُوا يَزْهَى، وَإِنْ بَذَلُوا حَسِبْتُ أَنَّ أَيَادِيَهُمْ هِيَ السُّحْبُ
بُورِكْتَ قَائِدَهُمْ، بُورِكْتَ صَاحِبَهُمْ وَبُورِكُوا صُحْبَةً وَفَوَالِمَ صَحِبُوا! (١)

هُؤْلَاءِ هُمْ ثَمَارٌ مِنْ ثَمَارِ الصِّدِّيقِ ﷺ، دَعَاهُمْ فَاسْتَجَابُوا، وَجَاءَ بِهِمْ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَادَى، فَاسْلَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَانُوا هُمْ الدَّعَامَةُ الْأُولَى
الَّتِي قَامَ بِهَا صَرْحُ الدَّعْوَةِ، وَالْعُدَّةُ الْأُولَى فِي تَقْوِيَةِ جَانِبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهِمْ
أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَيَّدَهُ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، رِجَالًا وَنِسَاءً.

فَأَخَذَهُمْ سُفَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْأَذَى وَالْعُقُوبَةِ، وَصَانَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ،
وَحَمَاهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِيفًا مُطَاعًا فِيهِمْ، نَبِيلًا بَيْنَهُمْ، لَا يَتَجَاسَرُونَ
عَلَى مُفَاجَأَتِهِ بِشَيْءٍ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لَهُ، وَكَانَ مِنْ
حِكْمَةِ اللَّهِ بَقَاؤُهُ عَلَى دِينِهِمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ (٢).

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَخِي ثِقَةً فَإِذَا تَذَكَّرْتَ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
التَّالِيِ الثَّانِيِ الْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ طُرًّا (٣) صَدَّقَ الرُّسُلَا
وَالثَّانِيِ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُئِنِّفِ، طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَا
وَكَانَ حَبَّ رَسُولِ اللَّهِ - قَدْ عَلِمُوا - مِنْ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَرَأَفُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ، وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا (٤)

(١) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ» (٨٢-٨٣).

(٢) «الْفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ»، لابنِ كَثِيرٍ (٥٧).

(٣) طُرًّا أَي: جَمِيعًا.

(٤) «دِيَوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ» (١٦٢).

الدَّعْوَةُ الْجَهْرِيَّةُ:

فَدَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ ضَلَّالَ الْوَرَى جَهْرًا، وَلَوْلَا مَنْعُهُمْ لَمْ يَجْهَرِ^(١)
لَقَدْ اسْتَمَرَّتِ الدَّعْوَةُ السَّرِيَّةُ الَّتِي أَغْقَبَتْ نُزُولَ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا
الْمُذْتَرِ^(٢)﴾ [المُذْتَرِ: ١]، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى نُزُولِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤].

حِينَهَا جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَعْوَتِهِ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤]، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ الصَّفَا، فَصَعِدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَادَى: «يَا صَبَاحَاهُ». فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَمِنْ رَجُلٍ يَجِيءُ، وَمِنْ آخَرَ يَبْعَثُ رَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي لُؤَيٍّ، أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَصَدَّقْتُمُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي ﴿نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سَبَأُ: ٤٦].

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكُمْ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَمَا دَعَوْتَنَا إِلَّا لِهَذَا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤].

وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ

(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣١/٩٠).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٩٤)، وَمُسْلِمٌ (٣٥٥)، وَأَحْمَدُ (٢٨/١-٣٠) وَابْنُ جَرِيرٍ (٣١٩/٢).

بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا
أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي،
لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

وَجَاءَكَ الْأَمْرُ (فَاصْدَعْ)، فَانْطَلَقَتْ بِهَا جُنَّتْ قُرَيْشُ جُنُونَ الْوَحْشِ، وَانْتَفَضَتْ
جَهْرًا، تُنَادِي بِلَا خَوْفٍ وَلَا سَأَمٍ كَأَنَّمَا فُجِعَتْ بِالْحَادِثِ الْعَمَمِ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ:

نَادَى الرَّسُولُ نِدَاءَ الْعَدْلِ فَاحْتَشَدَتْ كَتَائِبُ الْجَوْرِ تُنْضِي^(٣) كُلَّ بَتَّارٍ^(٤)
كَأَنَّهَا خَلْفَهُ نَارٌ مُجَنِّحَةٌ تَعْدُو قُدَّامَهُ أَفْوَاجٌ إِغْصَارِ
فَضَجَّ بِالْحَقِّ وَالْدُّنْيَا بِمَا رَجَبَتْ تَهْوِي عَلَيْهِ بِأَشْدَاقٍ وَأَظْفَارِ



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٥٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٢٤).

(٢) قَالَهُ أَسْتَأْذِنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

(٣) تُنْضِي: تُتَعَبُّ.

(٤) الْبَتَّارُ: السَّيْفُ الْقَاطِعُ.

أَذَى الْمُشْرِكِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١- مُحَاوَلَةُ صَدِّهِ عَنِ طَرِيقِ عَمِّهِ:

لَمَّا أَضَاءَ اللَّهُ مُهْجَةَ قَلْبِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ الرُّوحُ فِي مَرْضَاتِهِ^(١)
بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷺ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٩٤﴾
[الحَجَرُ: ٩٤].

قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ أَتَمَّ قِيَامٍ، يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى لَيْلًا وَنَهَارًا،
وَسِرًّا وَجَهَارًا، لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارِفٌ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْهُ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُ عَنْهُ
صَادٌّ، يَتَّبِعُ النَّاسُ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ، وَفِي الْمَوَاسِمِ، وَمَوَاقِفِ
الْحَجِّ، يَدْعُو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ، وَضَعِيفٍ وَقَوِيٍّ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، جَمِيعُ
الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُ سَوَاءٌ.

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَحَادِ النَّاسِ مِنْ ضُعَفَائِهِمُ الْأَشْدَّاءُ
الْأَقْوِيَاءُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِالْأَذِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ.

وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ، وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَخَالَفَهُ
فِي ذَلِكَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ خَلْقٍ
لِلَّهِ إِلَيْهِ طَبْعًا، فَكَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُحَامِي، وَيُخَالِفُ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧٣ / ٥٦٠).

قَوْمُهُ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى مِلَّتِهِمْ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اِمْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّهِ حَبًّا طَبِيعِيًّا لَا شَرْعِيًّا.

وَكَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِمَّا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَا جَتَرُوا عَلَيْهِ وَلَمَدُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَقَدْ قَسَمَ خَلْقُهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا، فَهَذَانِ الْعَمَّانِ كَافِرَانِ: أَبُو طَالِبٍ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَلَكِنَّ هَذَا يَكُونُ فِي الْقِيَامَةِ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَذَلِكَ ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (٢).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا طَالِبٍ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، حَدِيثُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بَشْيٌ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضِبُ لَكَ؟!

قَالَ: «نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا (أَيُّ: شَفَاعَتُهُ) لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (١).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا لَهَبٍ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ آيَاتٍ تُتْلَى عَلَى الْمَنَابِرِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾ [المَسَدُ: ١-٥].

وَأَبُو لَهَبٍ هَذَا كَانَ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، كَمَا

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٣١).

جاءَ في حديثِ ربيعةَ بنِ عَبَّادٍ مِن بني الدَّيْل - وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا».

وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيَءُ الْوَجْهِ، أَحْوَلُ، ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ^(١)، يَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ^(٢).

أَبَا لَهَبٍ تَبَّتْ يَدَاكَ أَبَا لَهَبٍ وَتَبَّتْ يَدَاهَا تِلْكَ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ خَذَلَتْ نَيْيًّا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَكُنْتَ كَمَنْ بَاعَ السَّلَامَةَ بِالْعَطَبِ وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَكَانَ فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ وَالْحُنُوِّ الطَّبِيعِيِّ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَ عَنْهُ.

فَقَالَ: يَا عَقِيلُ، انْطَلِقْ فَأَتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَاسْتَخَرَجْتُهُ مِنْ كَنْسٍ أَوْ خَنْسٍ -بَيْتٍ صَغِيرٍ- فَجَاءَ بِهِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ، قَالَ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ، فَانْهَ عَنْ أَذَاهُمْ.

فَحَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا أَنَا بِأَقْدَرُ أَنْ أَدْعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تَشْتَعِلُوا مِنْهَا بِشُعْلَةٍ». فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ، مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي - قَطُّ - فَارْجِعُوا^(٣).

(١) الصَّابِئُ: هُوَ مَنْ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ.

(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣/ ٤٩٢ - ٣٤١)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَاشِيَةِ «فَتْهُ السَّيْرَةِ» (٣٤٢): «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ».

(٣) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الْحَاكِمُ (٣/ ٥٧٧)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَاشِيَةِ «فَتْهُ السَّيْرَةِ» (١٤٣): «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ».

وَلَمَّا لَمْ تُفْلِحْ قُرَيْشٌ فِي صَدِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ، انْتَقَلُوا إِلَى الْإِيذَاءِ النَّفْسِيِّ.

قال أبو تمامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ أَعَيْتَ عَوَانِدَهَا وَجُرْحٌ أَقْدَمُ
تَلُكُمُ قُرَيْشٌ لَمْ تَكُنْ آرَأُهَا تَهْفُو وَلَا أَحْلَامُهَا تَتَقَسَّمُ
حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فِيهِمْ غَدَتْ شَحَنَاؤُهُمْ تَتَضَرَّمُ^(١)
٢- الْإِيذَاءُ النَّفْسِيُّ:

مُتَاهَبٌ لَا يَسْتَفِزُّ جَنَانَهُ زَجَلُ الرُّعُودِ وَلَا مِعُ الْإِبْرَاقِ^(٢)
انْتَقَلَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْإِيذَاءِ النَّفْسِيِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ طَرِيقِ الْإِتِّهَامَاتِ
الْبَاطِلَةِ؛ لَصَدَّ النَّاسَ عَنْهُ وَعَنْ دَعْوَتِهِ، وَمِنْ تِلْكَ الْإِتِّهَامَاتِ:

أ - الْجُنُونُ:

لَمْ يَعْهَدُوا عَقْلًا كَعَقْلِكَ بَيْنَهُمْ فِي الْمُنْتَهَى فَتَوَهَّمُوهُ جُنُونًا^(٣)
أَتَهُمَ الْمُشْرِكُونَ الرَّسُولَ ﷺ بِالْجُنُونِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَأَيُّهَا الَّذِي
نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الْحَجَرُ: ٦].

ب - السَّحَرُ:

سَحَرَ الْبَيَانَ بَيَانَهُمْ فَتَخَبَّطُوا تُهُمًا فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ^(٤)

(١) «ديوان أبي تمام» (٢٠٧).

(٢) «مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ» (١٠٦٥/٣).

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

اتَّهَمَ الْمُشْرِكُونَ الرَّسُولَ ﷺ بِالسَّحْرِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ ﴿٤﴾ [ص: ٤].

ج - الكَذِبُ:

اتَّهَمَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْكَذِبِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿٤﴾ [الْفُرْقَان: ٤].

د - الْإِتْيَانُ بِالْأَسَاطِيرِ:

اتَّهَمَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْإِتْيَانِ بِالْأَسَاطِيرِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٥﴾ [الْفُرْقَان: ٤] ^(١).

لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَسَاطِيرَ لَمْ تَكُنْ لَتَبْلُغْ عَبْدًا لَيْسَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ فَقَالُوا - إِذَا مَا أَبْصَرُوا النُّورَ نَازِلًا - أَسَاطِيرَ قَوْمٍ يَفْتَرِيهَا وَيَكْذِبُ إِذَا أَعْلَقَ اللَّهُ الْبَصَائِرَ لَمْ تَحْدُ مِنَ الشَّمْسِ نُورًا وَهِيَ تَبْدُو وَتَغْرُبُ ^(٢)

هـ - قَوْلُهُمْ: الْقُرْآنَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ:

وَكَمْ كَذَّبُوا الْقُرْآنَ قَالُوا: كَلَامُهُ وَلَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ. وَاللَّهُ قَاهِرٌ ^(٣) اتَّهَمَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لُسَاتُ

(١) ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَخْبَارُهُمْ، وَمَا سَطَّرَ مِنْهَا وَكُتِبَ.

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣].
 كَمْ عَانِدَتْهُ قُرَيْشُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ سَفَهَا، وَكَمْ نَبَزُوهُ بِالْأَلْقَابِ!
 وَسَمَّوْهُ - مَعَ صِفَةِ الْجُنُونِ - بِكَاهِنٍ وَبِشَاعِرٍ، وَبِسَاحِرٍ، كَذَّابٍ
 فَهَنَالِكَ اِزْتَفَعَ الْحِجَابُ، وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ النُّبُوَّةِ فَوْقَ كُلِّ حِجَابٍ
 وَغَدَا مَنَارُ الدِّينِ مُتَضِحَ الْهُدَى وَالشَّرْكَ مُتَكِيصًا عَلَى الْأَعْقَابِ^(١)
 وَقَالَ أَسْتَادُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

كَانُوا خَفَافِيشَ لَيْلٍ لَا يَطِيبُ لَهُمْ حَلَاوَةُ الْعَيْشِ إِلَّا فِي الدُّجَى الْبَهْمِ
 مَنْ يُنْكِرِ الْحَقَّ لَمْ يُنْطَلِ حَقِيقَتُهُ وَمُبْغِضُ الشَّمْسِ لَمْ يُسَدِلْ يَدَ الْغَسَمِ^(٢)
 كَسَوْهُ سَيَمَاءَ صَدَقٍ قَبْلَ بَعْثِهِ وَبَعْدَهَا أَنْكَرُوا مَا فِيهِ مِنْ سِيَمٍ!
 مَا قِيَمَةُ الْقَلْبِ إِنْ أَسْلَمَتْهُ لَهْوَى وَالْعَيْنِ وَالْأُذُنِ لِلظُّلْمَاءِ وَالصَّمَمِ!
 و - الشَّعْرُ:

حَسَدُوا، فَقَالُوا: شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ وَمِنَ الْحَسُودِ يَكُونُ الْاِسْتِهْزَاءُ
 وَمِنَ التُّهَمِ الَّتِي اتَّهَمُوا بِهَا النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ الشَّعْرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:
 ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١].

ولما نَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿١﴾ أَقْبَلَتْ أُمُّ جَمِيلٍ أَرَوَى بِنْتَ حَرْبٍ،
 امْرَأَةً أَبِي لَهَبٍ وَهِيَ تُنْشِدُ: مُذَمَّمًا أَبِينَا، وَدِينَهُ قَلِينَا، وَأَمْرُهُ عَصِينَا، وَرَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
 قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنهَا لَنْ تَرَانِي» وَقَرَأَ قُرْآنًا

(١) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦٢).

(٢) الْغَسَمُ - بِالْتَّحْرِيكِ - الظُّلْمَةُ.

فَاعْتَصَمَ بِهِ، فَوَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنْ صَاحِبَكَ هَجَانِي، فَقَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ، فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ قَرِيْشُ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا^(١).

ط - تَثْبِيْتُ اللَّهِ لَهُ ﷺ:

لَكِنَّ مَوْلَاهُ وَاسَاهُ وَتَبَّتْهُ أَغْنَتْهُ عِصْمَتُهُ عَنْ كُلِّ مُعْتَصِمٍ^(٢) فِي جَوِّ تِلْكَ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ مِنَ الاتِّهَامَاتِ الْبَاطِلَةِ، يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِرَارًا مُثَبِّتًا وَمُؤَيِّدًا، وَامْرَأًا لَهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٣٣) وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمْرُسَلِينَ^(٣٤) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِطِعْتَ أَنْ تَبْنِعِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ^(٣٥) ﴿[الْأَنْعَامُ: ٣٣-٣٥].

وَقَدْ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ سَبَّهُمْ وَذَمَّهُمْ بِاسْمِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟! يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ»^(٣).

أَيُّ: كَفَى اسْمِي الَّذِي هُوَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُشْتَمَ بِالسَّبِّ^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٣٣٧٦)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ «التَّعْلِيقَاتُ الْحَسَنُ» (٦٤٧٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ السِّيَرَةِ» (١٣٨).

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٣٣).

(٤) «شَرْحُ الشُّيُوطِيِّ لِسُنَنِ النَّسَائِيِّ» (١٥٩/٦).

وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِمُعْجَزَةٍ خَالِدَةٍ، وَآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا.

نَبِيًّا تَسَامَى فِي الْمَشَارِقِ نُورُهُ
أَتَتْنا بِهِ الْأَنْبَاءُ قَبْلَ مَحِيئِهِ
وَرَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ جَنُّ فَزَيَّلَتْ^(١)
هَذَا إِلَى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ
وَجَاءَ بِآيَاتٍ تُبَيِّنُ أَنَّهَا
فَمِنْهَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ حِينَ تَعَمَّمَتْ
وَمِنْهَا نُبُوعُ الْمَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ
فَرَوَى بِهِ جَمًّا^(٢) غَفِيرًا، وَأَسْهَلَتْ
وَبَثَّرَ طَغَتْ بِالْمَاءِ مِنْ مَسِّ سَهْمِهِ
وَضَرَعُ مَرَأَةٍ^(٣) فَاسْتَدَّرَ، وَلَمْ يَكُنْ
وَنُطْقُ فَصِيحٍ مِنْ ذِرَاعِ مُبِينَةٍ
وَمِنْ تِلْكَ الْأَيَّاتِ وَحْيٌ أَتَى بِهِ
تَقَاصَرَتِ الْأَفْكَارُ عَنْهُ فَلَمْ يُطِعْ

٣- أَذَى الْمُشْرِكِينَ الْجَسَدِيُّ:

صَبَرْتُ فَلَيْتَ النَّصْرِ بِالصَّبْرِ وَالْمُنَى
وَمَا انْقَادَتْ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ^(٥)

(١) فَزَيَّلَتْ: فَفَرَّقَتْ

(٢) الْجَمُّ: الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٣) مَرَأَةٍ: مَسْحَةٍ.

(٤) «مَجْمُوعَةُ الْقَصَائِدِ الزُّهْدِيَّاتِ» (٤٧١).

(٥) «دِيَوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (١٥١).

أ - مُحَاوَلَةُ قَتْلِهِ:

حَمَاهُ إِلَهِي إِذَا أَرَادُوا اغْتِيَالَهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَرْعَاهُ مَوْلَاهُ قَاتِلٌ^(١)
لَمَّا لَمْ تُثْمَرْ أَسَالِيبُ الْأَذَى النَّفْسِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ فِي صَدِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَصْحَابِهِ عَنِ دِينِهِمْ، لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَسْلُوبِ الْإِعْتِدَاءِ الْجَسَدِيِّ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ
بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، قَالَ: فَقِيلَ نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ،
لَأَطَّانَ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّهَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى
عَقْبَيْهِ، وَيَتَّقِي يَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ
نَارٍ، وَهَوْلًا، وَأَجْنَحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي، لَاخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ
عُضْوًا عُضْوًا»^(٢).

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَشَدِّ مَا
صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ
أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [عَافِرُ: ٢٨]»^(٣).

(١) قَالَهُ أَسْتَأْذِنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (٢٧٩٧).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٥٦).

ب- إلقاء سلا الجزور^(١) على ظهره:

حَتَّى عَلَى كَتِفَيْكَ الطَّاهِرِينَ رَمَوْا سَلَا الْجَزُورِ بِكَفِّ الْمُشْرِكِ الْقَزَمِ^(٢)
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَى
قُرَيْشٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَرَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ، وَسَلَا جَزُورٍ
قَرِيبٌ مِنْهُ، فَقَالُوا: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّلَا، فَيُلْقِيهِ عَلَى ظَهْرِهِ؟

قَالَ: فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ: أَنَا. فَأَخَذَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَلَمْ يَزَلْ
سَاجِدًا، حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَعْتَهُ بَنِي رَيْبَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بَشَيْبَةَ بَنِي رَيْبَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بَنِي هِشَامٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُقْبَةَ بْنِ
أَبِي مُعَيْطٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي بَنِي خَلْفٍ - أَوْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ -» (الشَّكُّ
مِنْ شُعْبَةَ).

قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَمِيعًا، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى
الْقَلْبِ غَيْرَ أَبِي - أَوْ أُمَيَّةَ - فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَتَقَطَّعَ^(٣).

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالصَّوَابُ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ؛ فَإِنَّهُ الَّذِي قُتِلَ يَوْمَ
بَدْرٍ، وَأَخُوهُ أَبِي إِنَّمَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ. وَالسَّلَا: هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مَعَ وَلَدِ النَّاقَةِ:
كَالْمَشِيمَةِ لَوْلَدِ الْمَرْأَةِ^(٤)».

(١) الجزور: الناقة.

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٢/ ٥٧٢).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٣٤)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٤).

(٤) «صَحِيحُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ» (١٤٦).

ج- أَشَدُّ مَا لَاقَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ:

تُرْمَى وَتُؤَذَى بِأَصْنَافِ الْعَذَابِ فَمَا رُئِيتَ فِي كُوبِ جَبَّارٍ وَتُتَقِمُ^(١)
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى
عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحِدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ،
إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ،
فَانْطَلَقْتُ - وَأَنَا مَهْمُومٌ - عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا فِي قَرْنِ الشَّعَالِ،
فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي،
فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ
الْجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا
مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ
إِلَيْكَ؛ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ. إِنْ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»^(٢).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ
وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٣).

أَنْتَ الْحَرِيسُ عَلَيْهِمُ وَالرَّءُوفُ بِهِمْ وَمَا يَزَالُ رَحِيمًا قَلْبُكَ الْحَدِيبُ^(٤)
يَزْدَادُ حِلْمُكَ فِيهِمْ عِنْدَ كُلِّ أَذَى فَأَنْتَ أُمُّ لَهُمْ - رَغَمَ الْأَذَى - وَأَبُ^(٥)

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٢/ ٥٧٢).

(٢) الْأَخْشَبَانِ: جَبَلَانِ فِي مَكَّةَ، هُمَا جَبَلُ أَبِي قُبَيْسٍ، الَّذِي عَلَيْهِ الْقَصْرُ الْمَلَكِيُّ الْيَوْمَ، وَالْجَبَلُ
الْأَحْمَرُ الْمُشْرِفُ عَلَى قُعَيْقِعَانَ، وَهُمَا مُطْلَانِ عَلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَ الْمَشْرِقِ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٥٩)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥).

(٤) الْحَدِيبُ: الْعَطُوفُ الْحَنُونُ.

(٥) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ» (٨٣).

وقال آخر:

فصبرت تدعوهم وتحلم عنهم وتروض جامحهم وتلطف قِيلا
وحماك ربك من حائل كيدهم ليتَمَّ سابقُ أمرِه المفعولا

٥- إِيْذَاءُ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ:

يَزِيدُ الْآذَى مِنْهُمْ، فَيَزِدَادُ حِلْمُنَا وَيَعْظُمُ وَقْعُ الْخَطْبِ فِينَا فَنَعْظُمُ^(١)
كَمَا أُؤْذِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُؤْذِيَ أَصْحَابُهُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ.

فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنْعَهُ اللَّهُ
بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرَعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ
فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ وَاتَاهُمْ فِيمَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ﷻ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ
بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»^(٢).

ثُمَّ أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ مَنْ كَانَ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْأَحْرَارِ وَفِيهِمْ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَعَنْ قَيْسٍ قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَهُوَ مَدْفُونٌ فِي الْحَجَارَةِ بِخَمْسِ أَوَاقٍ مِنْ
ذَهَبٍ، فَقَالُوا: لَوْ أُبَيْتَ إِلَّا أَوْقِيَةً لِبِعْنَاكَه، قَالَ: لَوْ أُبَيْتُمْ إِلَّا مَائَةٌ أَوْقِيَةٍ لَأَخَذْتُهُ»^(٣).

(١) «ذِيوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (١٤).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٠٤)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِ السَّيَرَةِ» (١٢١).

(٣) سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ (٣/ ٢١٠)، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ.

فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا» وقد أمكن الله بلاً من
عدوه أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ فَاقْتَصَّ مِنْهُ كَمَا سَيَأْتِي.

أَعْتَقْتَ رَقِيَّ مِنَ الْخُطُوبِ فَمَا أَطِيبَ فِيكَ الشَّاءَ وَمَا أَعْبَقُ
لَكَ الْوَلَاءُ الْجَمِيلُ أَخْلَصْتُهُ يَا مَعْتَقِي وَالْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ
وَقَالَ آخَرُ:

أَحَدٌ هَتَفَتْ بِهَا لِكُلِّ مُعْطَلٍ أَنْتَ الْمُؤَدِّنُ لِلرَّسُولِ فَرْتَلِ
وَاهْزِمِ بِصَوْتِكَ كُلَّ طَاغٍ فَاجِرٍ وَأَسْحَقِ بِقَوْلِكَ كُلَّ زَحْفٍ بَاطِلٍ
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ
يُعَذِّبُونَ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ»^(١).

ولما أقبل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إلى مكة مؤمناً قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ارْجِعْ إِلَى
قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي» فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ
فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ، فَثَارَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ:
وَيْلَكُمْ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَّارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ، فَأَنْقَذَهُ
مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا، وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضْرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ^(٢).

وَنَالَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ رضي الله عنه مَا نَالَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَذَى، حَتَّى سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
أَلَا تَدْعُو لَنَا؟؛ لِيُخَفَّفَ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ.

(١) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٣-٣٨٨-٣٨٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رحمته الله فِي «صَحِيحِ السَّيْرَةِ» (١٥٥).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٧٣).

فَعَنْ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ
بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، أَلَا تَدْعُو لَنَا؟

فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ لَيْمَشَطُ بِمِشَاطِ
الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ
الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيَشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ
هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً
لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟

فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا،
فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا
دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ
الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ،
وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(٢).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ سُئِلَتْ عَنِ الْهَجْرَةِ: «لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ، كَانَ
الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ
عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَالْيَوْمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ»^(٣).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٣٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦١٢).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٠)، كِتَابُ: مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «... كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا قَتَلُوهُ وَإِمَّا يُعَذِّبُوهُ، حَتَّى كَثُرَ الْإِسْلَامُ، فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ...»^(١).

قَدْ حَاوَلُوا قَتْلَهُ خُنْفًا، وَمَا قَدَرُوا
وَأَسْتَمَرُّوْا كُلَّ حِقْدٍ فِي عَدَاوَتِهِ
تَعَذِيبُ أَصْحَابِهِ كَمْ كَانَ يُؤْلِمُهُ
قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اذْغُ لَنَا
ذَاقُوا أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ عَذَابِكُمْ
فَجَاءَهُ مَلِكٌ مِنْ رَبِّهِ مَدَدًا
لَكِنَّهُ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ مُرْسَلَةً
أَشَارَ بِالْهَجْرَةِ الْأُولَى إِلَى مَلِكٍ
قَدْ تَزَهُدُ الْأَسَدُ بِالْأَجَامِ^(٧) شَامِخَةً
أَلْقُوا عَلَيْهِ السَّلَا فِي حُرْمَةِ الْحَرَمِ
هَيْهَاتَ مَا تَفْعَلُ الْجِرْدَانُ بِالْأُطَمِ^(٢)
وَفِيهِ أَضْعَافُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْأَلَمِ
فَسَاقَ صَبْرَ الْأَلَى^(٣) فِي الْأَعْصِرِ الدُّهُمِ^(٤)
فَمَا اسْتَكَانُوا، وَمَا أَلْقُوا يَدَ السَّلَمِ
ذُو قُوَّةٍ تَجْعَلُ الْأَطْوَادَ^(٥) كَالرَّمَمِ^(٦)
تَعَاظَمْتَ أَنْ تَرْدَى ثَوْبَ مُنْتَقِمٍ
نِعْمَ الْمُبَجَّلُ مِنْ وَالٍ وَمِنْ حَكَمٍ!
إِذَا تَكَاثَرَتِ الْأَقْدَارُ فِي الْأَجْمِ^(٨)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٥١٤)، كِتَابُ: التَّفْسِيرِ.

(٢) الْأُطَمُ: الْحِصْنُ الْمَبْنِيُّ بِحِجَارَةٍ.

(٣) الْأَلَى: الَّذِينَ.

(٤) الْأَعْصِرِ الدُّهُمِ: الْقَدِيمَةِ الْمَاضِيَةِ.

(٥) الْأَطْوَادُ: جَمْعُ طَوْدٍ، وَهُوَ الْجَبَلُ الْعَظِيمُ.

(٦) الرَّمَمِ: جَمْعُ رِمَّةٍ - بِالْكَسْرِ -، وَهِيَ الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ.

(٧) الْأَجَامُ: جَمْعُ أَجَمَةٍ - بَفَتْحَتَيْنِ -، وَهِيَ الْغَابَةِ، وَتُجْمَعُ الْأَجَمَةُ - أَيْضًا - عَلَى أَجْمٍ - بِالضَّمِّ،

وَبِضْمَتَيْنِ، وَبِالتَّحْرِيكِ -.

(٨) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

الهَجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ

أَزْمَعْتُ^(١) لَكَ الْهَجْرَةَ الْأُولَى إِلَى إِنْجَاحِ قَصْدٍ أَوْ إِلَى إِعْذَارٍ^(٢)

١- الْهَجْرَةُ الْأُولَى:

لَمَّا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ بِالْمُسْلِمِينَ، أَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ^(٣)، وَمِنْ الثَّابِتِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ^(٤)، وَكَانَتِ الْهَجْرَةُ الْأُولَى فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْمَبْعَثِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ^(٥).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: «لَمَّا ضَافَتْ عَلَيْنَا مَكَّةَ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ وَمِمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَارِضَ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ؛ فَالْحَقُّوا بِيَلَادِهِ^(٦)، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»^(٧).

(١) أَزْمَعْتُ: أَسْرَعْتُ.

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٣/ ٤٨٠).

(٣) «الْفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» (٥٦).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، «فَتْحُ الْبَارِي» (٧/ ١٨٧).

(٥) «الطَّبَقَاتُ» (١/ ٢٠٤)، وَ«تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٢/ ٣٢٩)، وَ«السِّيَرَةُ لِابْنِ إِسْحَاقَ» (١/ ٢٢٣)،

وَ«فَتْحُ الْبَارِي» (٧/ ٢٢٧).

(٦) بِلَادُ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ اسْمُهَا (مَنْكَلَةُ عَلَامَةٍ) كَمَا فِي كِتَابِ تَارِيخِ الْحَبَشَةِ لِمُحَمَّدِ الْفَيروزي، وَقَدْ تَخَرَّبَتْ، وَهِيَ مِنْ مَقَاطِعَةِ تَجْرَايَ، وَتَقَعُ فِي شِمَالِ أُثْيُوبِيَا.

(٧) (حَسَنٌ)، أَنْظَرُ: «فَتْحُ الْبَارِي» (٧/ ١٨٩)، وَ«سِيَرَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ» (١٩٤)، وَ«سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامَ» (١/ ٣٣٤).

فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا، وَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ،
أَمِنًا عَلَى دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا.

وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ دِينِ اللَّهِ فِي نَصَبٍ مِمَّا يُلَاقُونَ مِنْ كَرْبٍ وَمِنْ زَأَمٍ^(١)
حَتَّى إِذَا لَمْ يَعُدْ فِي الْأَمْرِ مَنْرَعَةٌ وَأَصْبَحَ الشَّرُّ جَهْرًا غَيْرَ مُنْكَتَمٍ
سَارُوا إِلَى الْهَجْرَةِ الْأُولَى وَمَا قَصَدُوا غَيْرَ النَّجَاشِيِّ مَلِكًا صَادِقَ الدِّمِّ^{(٢)(٣)}

٢ - الْهَجْرَةُ الثَّانِيَّةُ إِلَى الْحَبَشَةِ:

نَزَلُوا بِسَاحَةِ مَاجِدٍ مُتَكَرِّمٍ لَمْ يَأْلَهُمْ بَرًّا وَلَا إِحْسَانًا^(٤)
فِي أَعْقَابِ الْهَجْرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ، حَدَّثَ أَنَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ، فَسَجَدَ فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ،
وَسَجَدَ مَنْ كَانَ حَاضِرًا مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ^(٥).

(١) الزَّأَمُ: الدُّعْرُ وَالْخَوْفُ الشَّدِيدُ.

(٢) الدِّمُّ: جَمْعُ ذِمَّةٍ، وَهِيَ الْعَهْدُ.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٦٠٦/٧).

(٤) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (١٠١٤).

(٥) وَرَدَتْ قِصَّةُ بَاطِلَةٍ، صَعَّفَهَا الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «نَصَبُ الْمَجَانِقِ لِنَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ».

وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تَقُولُ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾﴾ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
«تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْتَجَى» فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ آلِهَتَكُمْ قَبْلَ الْيَوْمِ بِخَيْرٍ، فَسَجَدَ الْمُشْرِكُونَ مَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْمَانَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ =

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ»^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ ﴿وَالنَّجْمِ﴾ قَالَ: «فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ، فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ»^(٢).

وَسَبَبُ سُجُودِ الْمُشْرِكِينَ «لِدَهْشَةِ أَصَابَتِهِمْ وَخَوْفِ اعْتِرَافِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِ السُّورَةِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾^(٥٠) وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى^(٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى^(٥٢) وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى^(٥٣) فَغَشَّاهَا عَنَّى^(٥٤)﴾ فَاسْتَشْعَرُوا نَزُولَ ذَلِكَ بِهِمْ»^(٣).

أَتَى بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الْخَلْقَ لَفْظُهُ فَكُلٌّ بَلِيغٍ عُذْرُهُ صَارَ أَبْكَمَا تَحْدَى بِهِ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ كُلَّهُمْ فَلَمْ يَفْتَحُوا فِيهَا يُعَارِضُهُ فَمَا^(٤) فَحَصَلَتْ إِشَاعَةٌ: أَنَّ فُرَيْشًا دَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ، فَطَارَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ، مِثْلُ: عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا، رَجَعُوا إِلَى الْحَبَشَةِ، وَسَارَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَهِيَ الْهَجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَكَانُوا زِيَادَةً عَلَى ثَمَانِينَ رَجُلًا.

=مُسْتَقِيمٌ^(٥٥) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٌ^(٥٥)﴾ [الْحَجُّ: ٥٢-٥٥].

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٠٧١).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٧٢-٤٨٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٥٧٦).

(٣) «نَصَبُ الْمَجَانِيقِ لِنَسْفِ قِصَّةِ الْغُرَانِيقِ» ص (٦٩)، لِلْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) «مَجْمُوعَةُ الْقَصَائِدِ الزُّهْدِيَّاتِ» (٣٠ / ١).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانُوا اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا سِوَى نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ...، وَقِيلَ: إِنَّ عَدَدَ نِسَائِهِمْ كَانَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً»^(١).

وكانت الهجرة الثانية في شهر شَوَّالٍ من السَّنة الخامسة لِلْبَعْثَةِ.



(١) «فَتْحُ الْبَارِي» (٧/ ١٨٩).

وَفَدُ قُرَيْشٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ

يَا غَيْبَةَ الْكَرَمِ الْمَفْقُودِ غَائِبُهُ وَخَيْبَةَ الْأَدَبِ الْمَجْفُودِ صَاحِبُهُ^(١)
لَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِهَجْرَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ، جُنَّ جُنُونُهَا، فَأَرْسَلَتْ
وَفْدًا مُؤَلَّفًا مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَأَرْسَلَتْ مَعَهُمَا
هَدَايَا ثَمِينَةً إِلَى النَّجَاشِيِّ وَبَطَارِقَتَهُ، بِهَدَفٍ أَنْ يُعِيدَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ،
﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يُوسُفُ: ٢١]، فَقَدْ رَجَعَ الْوَفْدُ «بِخُفْيٍ حُنِينٍ»^(٢).

حَكَمَ الْبِلَادَ، وَسَارَ سِيرَةً عَادِلٍ يَأْبَى الْأَذَى، وَيُجَانِبُ الْعُدْوَانَ^(٣)
وَقَالَ أَسْتَادُنَا حَفِظَهُ اللَّهُ:

وَكَانَتْ الْهَجْرَةُ الْأُخْرَى عَلَى عَقَبٍ حِينَ اسْتَحَلَّتْ قُرَيْشٌ سَائِرَ الْحَرَمِ
ظَنَّتْ قُرَيْشٌ -وَبَعْضُ الظَّنِّ مَائِمَةٌ- أَنَّ الْهَدِيَّةَ قَدْ تُفْضِي لِجَلِّ دَمٍ
فَعَادَ وَفَدُ قُرَيْشٍ بَعْدَ رِحْلَتِهِ يَجُرُّ ثَوْبَ الْخَنَا وَالْخِزْيِ وَالنَّدَمِ



(١) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧٩/ ١١٠).

(٢) تَقَدَّمَ قِصَّةُ وَفْدِ قُرَيْشٍ عِنْدَ قِصَّةِ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٍ» (٧٩/ ١١٠).

إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

بَشَارَةُ عَمَّتِ الدُّنْيَا مَسَرَّتُهَا وَاهْتَرَّتْ مِنْهَا الْعُلَى وَالْمَجْدُ وَابْتَسَمَا^(١)
لَمَّا قَدِمَ وَفَدُ قُرَيْشٍ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ بَغِيطِهِمْ، لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا - أَسْلَمَ حَمْزَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْبُعْثَةِ، وَبَعْدَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَسْلَمَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُشْرِكِينَ كَالصَّاعِقَةِ تَنْزُلُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا
حِينَئِذٍ أَنَّ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ سَيَزِدَادُونَ قُوَّةً وَمَنْعَةً، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.
أَمَّا حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ أَسَدَ اللَّهِ، وَأَسَدَ رَسُولِهِ ﷺ.

فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ حَمْزَةُ يُقَاتِلُ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ
يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُولُ: أَنَا أَسَدُ اللَّهِ»^(٢).

وَأَمَّا عُمَرُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عُمَرُ؟، فَالْمَعْرُوفُ لَا يُعْرِفُ!!.

وَكَانَ سَبَبُ إِسْلَامِهِ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ
بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً»^(٣).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»^(٤).

وَقَالَ: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنْ هِجْرَتُهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنْ إِمَارَتُهُ

(١) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٣ / ٤١).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٣ / ١٩٣). وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ.

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٨٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمُسْكَاةِ» (٦٠٣٦).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٨٤).

كَانَتْ رَحْمَةً، وَلَقَدْ كُنَّا مَا نُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ،
قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَيْنَا مَعَهُ^(١).

لِلَّهِ دُرُّ أَنْاسٍ قَدْ مَضَوْ لَهُمْ نَشْرُ يَفُوحٍ كَنَشْرِ^(٢) الْمَنْدَلِ^(٣) الْعَطِيرِ
جَمَالَ ذِي الْأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ جَمَالَ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ^(٤)
ذَكَاءُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

فَتَى كُلِّ عِلْمٍ فَهُوَ فِي سَكَنَاتِهِ وَكُلِّ ذَكَاءٍ فَهُوَ فِي حَرَكَاتِهِ^(٥)
عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ، أَفْشَى لِلْحَدِيثِ؟»

فَقَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَنَا مَعَهُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ، أَعْقِلُ
مَا أَرَى وَأَسْمَعُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا جَمِيلُ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا رَدَّ
عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَادَى أُنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ
وَأَمَنْتُ بِاللَّهِ، وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ، فَثَاوَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى
رُءُوسِهِمْ، حَتَّى فُتِرَ عُمَرُ وَجَلَسَ، فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: افْعَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَوَاللَّهِ، لَوْ كُنَّا ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا
لَنَا أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ عَلَيْهِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَرِيرٍ
(١) (حَسَنٌ) أَنْظَرُ: «سِيرَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ» (١/٣٦٦)، بِسَنَدٍ فِيهِ انْقِطَاعٌ، وَوَصَلَهُ الْحَاكِمُ (٣/٨٣)

بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

(٢) النَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ.

(٣) الْمَنْدَلُ: الْعُودُ، أَوْ أَجْوَدُهُ.

(٤) «صَيْدُ الْأَفْكَارِ» (٤٥٦).

(٥) «دَوَائِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٧/٧٧).

وَقَمِيصٌ مُوشِيٌّ^(١)، فَقَالَ: مَا بِالْكُمِّ؟، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: فَمَهْ^(٢)، امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتُظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ تُسَلِّمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟!

قَالَ: فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ يَا أَبَتِ، مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ^(٣).

أَذْهَى مِنَ الْمَوْتِ زَلْزَالٌ وَصَاعِقَةٌ إِسْلَامٌ حَمْزَةٌ وَالْفَارُوقُ قَاطِبَةٌ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْهُمَا جَيْشٌ بِمُفْرَدِهِ فَحَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ الَّذِي عُرِفَتْ وَذَلِكَ الْبَطْلُ الْفَارُوقُ تَرَهَّبُهُ تَرَاهُ كَيْلًا يَبِيتَ الْأَمْرُ مُنْكَتِمًا الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ فِي الْفَارُوقِ قَدْ جُمِعَا تَخْشَى الشَّيَاطِينُ فَبَجَا^(٧) أَمَّهُ^(٨) عُمَرُ^(٩) إِنْ قَالَ يَوْمًا: (نَعَمْ)، فَالْيَأْسُ مِنْهُ بـ(لَا) دَهَتْ قُرَيْشًا بَغَمٌ غَيْرِ مُنْحَسِمٍ لَمْ يَرْهَبَا وَحِمَامُ الْمَوْتِ^(٤) عَنْ أُمِّ هُمَا الْمَنَايَا أَمَامَ الْفَيْلَقِ الْعَرِمِ^(٦) عَنْهُ الشَّجَاعَةُ وَالْإِقْدَامُ مِنْ قِدَمِ فَوَارِسُ الْأَرْضِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ يَخْتَارُ مَنْ لَمْ يَيْتْ يَوْمًا عَلَى كَتَمٍ فَلَا تَسْلُ بَعْدُ عَنْ عَزْمٍ وَعَنْ حُزْمٍ مِنْ رَهْبَةِ الْبَأْسِ وَالْإِخْلَاصِ وَالشَّيْمِ أَوْ قَالَ: (لَا)، صَارَ كُلُّ الْيَأْسِ فِي (نَعَمْ)^(٩)

(١) مُوشِيٌّ أَي: مُزَخَرَفٌ مَنقُوشٌ.

(٢) مَهْ - مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ - : اسْمٌ فِعْلٍ أَمْرٍ، بِمَعْنَى: انْكَفَفُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَبَّانٍ فِي «مَوَارِدُهُ» (٢/٢١٨)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السَّيْرَةِ» (١٩٤).

(٤) حِمَامُ الْمَوْتِ - يَكْسِرُ الْحَاءَ - : قَضَاؤُهُ.

(٥) الْأَمَمُ - بَفَتْحَتَيْنِ - الْقُرْبُ.

(٦) الْفَيْلَقُ الْعَرِمُ: الْجَيْشُ الشَّدِيدُ.

(٧) الْفَجْ - بِالْفَتْحِ - : الطَّرِيقُ.

(٨) أَمَّهُ: قَصَدَهُ وَسَلَكَهُ.

(٩) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

حِصَارُ الشَّعْبِ

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَيْكَ حِصَارٌ يَنَالُكَ فِيهَا ذَلَّةٌ وَصَغَارٌ^(١)
حَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَكَانَ الَّذِي تَقَاسَمْتَ فِيهِ قُرَيْشٌ عَلَى الْكُفْرِ -
يَعْنِي: تَحَالَفَهَا عَلَى مُقَاطَعَةِ بَنِي هَاشِمٍ - فَذَكَرَ أَنَّهُ خِيفَ بَنِي كِنَانَةَ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمَنَى: «نَحْنُ
نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ»^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ شَيْءٌ مِنْ
هَذِهِ الْقِصَّةِ اكْتَفَى بِإِيرَادِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ لِأَنَّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى أَصْلِ الْقِصَّةِ؛
لِأَنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْمَغَازِي مِنْ ذَلِكَ كَالشَّرْحِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «تَقَاسَمُوا
عَلَى الْكُفْرِ»^(٣).

وَذَكَرَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ حِصَارَ الشَّعْبِ وَقَعَ بَعْدَ فَشَلِّ قُرَيْشٍ فِي اسْتِعَادَةِ
الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ، حَيْثُ أَهَاجَهَا الْأَمْرُ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ، وَعَزَمَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْمَعَ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شِعْبَهُمْ وَيَحْمُوهُ فِيهِ، فَدَخَلُوا الشَّعْبَ
جَمِيعًا، مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَأَجْمَعَ الْمُشْرِكُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُجَالِسُوهُمْ،

(١) «ذِيوَانُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ» (٥٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٥٨) وَمُسْلِمٌ (٣٢٧٤).

(٣) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (١٩٣/٧).

وَلَا يُخَالِطُوهُمْ، وَلَا يُبَايِعُوهُمْ، وَلَا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِلْقَتْلِ، وَكُتِبُوا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةً، فَلَبِثَ بَنُو هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَالْجُهْدُ وَالْجُوعُ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ سِنِينَ، تَلَاوَمَ رِجَالُ مَنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَا حَدَثَ، وَأَجْمَعُوا عَلَى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ، وَأَعْلَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا سِوَى كَلِمَاتِ الشُّرْكِ وَالظُّلْمِ^(١).

أَبَانَ عَجْزُ قُرَيْشٍ عَنْ مُحَاصَرَةٍ لِلْأَنْجُمِ الزُّهْرِ فِي مَنْأَى عَنِ الْعَتَمِ
آلَتِ^(٢) بَنُو هَاشِمٍ أَلَّا تُسَلِّمَهُ حَتَّى تُسَيِّلَ الْمَنَايَا أَنْفُسَ الْحُذَمِ^(٣)^(٤)



(١) «الْمَرْجِعُ السَّابِقُ» (١٩٢ / ٧).

(٢) آلت: أَفْسَمَتْ.

(٣) الْحُذَمُ: السُّيُوفُ الْقَاطِعَةُ.

(٤) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا - حَفْظُهُ اللَّهَ - .

مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ

فَجَاءَ عَمَّكَ حِضْنًا تَسْتَكِنُ بِهِ فَاخْتَارَهُ الْمَوْتُ وَالْأَعْدَاءُ فِي الْأَجَمِ^(١)
مَا أَنْ غَادَرَ بَنُو هَاشِمٍ شُعْبَ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى أُصِيبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِوَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ
الْمَبْعَثِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ: «يَحُوطُ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَغْضِبُ لَهُ»^(٢).

وكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْتَرِمُهُ، وَقَدْ جَاءَ زُعَمَاؤُهَا حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَحَرَّضُوا
أَبَا طَالِبٍ عَلَى الِاسْتِمْسَاكِ بِدِينِهِ، وَعَدَمِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.

فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ
بِهَا عِنْدَ اللَّهِ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالََةَ، حَتَّى قَالَ
أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أَنُتَّ عَنْكَ».

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧٦ / ٥٦٠).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٣).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٣].

وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [الْقَصَصُ: ٥٦] ^(١).

قَضَىٰ أَبُو طَالِبٍ فِي كُفْرِهِ، وَقَضَىٰ سَيِّئًا مَعَ الْحَقِّ لَمْ يُثْلَمْ ^(٢) وَلَمْ يُصَمَّ ^(٣)

قَامَتْ قِيَامَتُهُ فِي الذَّوْدِ عَنْ قِيمٍ وَقَمَّةُ النُّورِ فِي عَيْنَيْهِ لَمْ تَقُمْ

وَرُبَّ شَهِدٍ بِجَوْفِ الصَّخْرِ تُمْنَعُهُ وَرُبَّمَا حُفَّتِ الْأَزْهَارُ بِالسَّلَامِ ^(٤) ^(٥)



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٦٠) وَمُسْلِمٌ (٢٤).

(٢) لَمْ يُثْلَمْ: لَمْ يُكْسَرْ حَرْفُهُ.

(٣) لَمْ يُصَمَّ: لَمْ يُعَبَّ بِعَيْبٍ.

(٤) السَّلَامُ: شَجَرُ الْقَرْطِ الشَّائِكِ.

(٥) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

مَوْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قَدْ أَعَانَتْ خَدِيجَةُ سَيِّدَ الرُّسُلِ بِرَأْيٍ وَثَرَوَةٍ وَحَنَانٍ^(١)
بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بَنَحَوْ شَهْرَيْنِ مَاتَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ
مَاتَ فِي رَجَبٍ عَلَى الصَّحِيحِ، وَكَانَتْ وَفَاةُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي رَمَضَانَ لِسَبْعِ
عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْهُ^(٢).

وَبَشَّرَهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى
جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ
فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشَّرَهَا
بِنَيْتٍ^(٣) فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ^(٤)، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ^(٥)»^(٦).

وَبِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَوَالَتْ
عَلَيْهِ الْمِحَنُ.

(١) «دِيَوَانُ مُحَمَّدٍ الْعِيدِ آلِ خَلِيفَةَ» (٢٤٤).

(٢) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ» لِلدَّمَشْقِيِّ (٦٥).

(٣) الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ هُنَا: الْقَصْرُ الْمُتَيْفُ.

(٤) الْقَصَبُ: اللَّوْلُؤُ الْمُجَوَّفُ الْوَاسِعُ الْمُسْتَطِيلُ.

(٥) الصَّخَبُ: الصِّيَاحُ، وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ، قَالَ السَّهْلِيُّ فِي «الْروضِ الْأَنْفِ»
(١/١٢٣): مُنَاسَبَةٌ نَفْيِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ - أَعْنِي: الْمُنَازَعَةَ وَالتَّعَبَ - أَنَّهُ ﷺ لَمَّا
دَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ أَجَابَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طَوْعًا، فَلَمْ تُخَوِّجْهُ إِلَى رَفْعِ صَوْتٍ وَلَا
مُنَازَعَةٍ وَلَا تَعَبٍ، بَلْ أَزَالَتْ عَنْهُ كُلَّ نَصَبٍ، وَأَنْسَتْهُ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ
عَسِيرٍ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مَنَزِلُهَا الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ رَبُّهَا بِالْصِّفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِفِعْلِهَا. أ.هـ.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٢٠)، وَتُسَلِّمُ (٢٤٣٢).

أَمَّا خَدِيجَةُ مَنْ أَعْطَتْكَ بِهَجَتِهَا
عَدَتْ إِلَى جَنَّةِ الْبَارِي وَرَحْمَتِهِ
وَقَالَ أَسْتَادُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

حَتَّى خَدِيجَةُ-وَأَجْرَحَ النَّبِيُّ-مَضَتْ
مَاتَتْ وَمَاتَ الْحَنَانُ الْعَذْبُ، وَانْقَطَعَتْ
مَضَتْ وَذِمَّتُهَا بِالطُّهْرِ قَائِمَةٌ
مَضَتْ إِلَى جَنَّةِ اللَّهِ الَّتِي وَعَدَتْ
وَدَعْوَةُ الْحَقِّ لَمْ تُخْدَجْ وَلَمْ تَتِمَّ
أَنَّهُارُهُ وَإِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ ظَمِي
فِي قَلْبِ أَوْفَى عِبَادِ اللَّهِ بِالذَّمِّ
وَخَلَّفَتْهُ يُقَاسِي سَوْرَةَ^(٢) اللَّوَمِ^(٣)



(١) «مَوْسُوْعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٢/ ٥٧٢).

(٢) سَوْرَةُ الشَّيْءِ -بِالْفَتْحِ-: حِدَّتُهُ.

(٣) اللَّوَمُ: الْهَوَلُ وَالْمُصِيبَةُ.

زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لَا يُذَكَّرُ الطُّهْرُ إِلَّا قِيلَ عَائِشَةُ رَمَزَ لَهُ وَهُوَ نَوْزٌ فِي مُحِيَاهَا
هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ، بِنْتُ الْإِمَامِ الْأَكْبَرِ، خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبِي
بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كُنِيَتهَا: أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ.

وَأَبُوهَا: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ،
وَأَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَلِدَ بِمَكَّةَ، وَنَشَأَ بِهَا، وَكَانَ أَحَدَ أَعْظَمِ الْعَرَبِ،
وَسَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ.

وَأُمُّ عَائِشَةَ: أُمُّ رُومَانَ، أَسْلَمَتْ فِي مَكَّةَ، وَكَانَتْ مِنْ أَوَائِلِ الْمُسْلِمَاتِ،
وَيَلْتَقِي نَسَبُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ فِي الْجَدِّ السَّابِعِ.
مَوْلَدُهَا وَنَشَأَتُهَا:

وُلِدَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَكَّةَ، بَعْدَ الْبَعْثَةِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ أَوْ خَمْسٍ،
فَخَرَجَتْ إِلَى الدُّنْيَا فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا بَيْنَ أَبَوَيْنِ كَرِيمَيْنِ مُؤْمِنَيْنِ كَمَا حَكَتْ ذَلِكَ
بِنَفْسِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: «لَمْ
أَعْقِلْ أَبَوِي إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً»^(١).

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِبِضْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا فِي شَهْرِ

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥).

شَوَّالٌ، وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّ سَنَوَاتٍ، وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهَجْرَةِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سَنَوَاتٍ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانٍ عَشْرَةَ^(١).

وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟^(٢).

وَكَانَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ حَرِيرٍ^(٣) فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضْهُ»^(٤).

زَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ اللَّهُ زَوَّجَنِي بِهِ وَحَبَانِي وَأَتَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ بِصُورَتِي فَأَحْبَبَنِي الْمُخْتَارُ حِينَ رَأَنِي وَتَكَلَّمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِحُجَّتِي وَبَرَاءَتِي فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ^(٥)



(١) رواه مسلم (١٤٢٢).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٣).

(٣) أي: في قطعة من جيد الحرير، وجمعه سرق. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٦٢، ولسان العرب ١٠/ ١٥٧.

(٤) رواه البخاري (٥٠٧٨)، ومسلم (٢٤٣٨).

(٥) جزء من قصيدة طويلة قالها ابن بهيج الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ قَصِيدَةٌ بَدِيعَةٌ طَنَانَةٌ «وَرُبَّ شَعْرٍ طَنَّ مِنْهُ الذُّبَابُ» انظرها في كتاب «نَفْحِ الطَّيِّبِ» (٢/ ٢٢١)، وقد ذكرتها كاملة في كتابي «حبيبات المصطفى» عند ترجمة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

خُرُوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ

فَأَتَى الطَّائِفَ الَّذِي ظَنَّ يَوْمًا أَنَّ نَصْرًا لِدِينِهِ فِي حِمَاهَا
فَرَمَتْهُ بِمَا تَنَوَّءُ بِهِ شُمْ الرَّاَوَاسِي مِنْ ظُلُمِهَا وَأَذَاهَا^(١)
بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ؛
رَجَاءً أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ، رَدُّوهُ أَقْبَحَ رَدًّا، وَأَغْلَظُوا لَهُ الْقَوْلَ، بَلْ وَحَرَّشُوا بِهِ الصَّبِيَّانَ وَالسُّفَهَاءَ،
فَادُّوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ
أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ
الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا
أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ - وَأَنَا مَهْمُومٌ - عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا فِي قَرْنِ
الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ،
فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ
مَلَكَ الْجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ».

قَالَ: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ سَخْنُون» (٣١٦).

سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ، لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

قَالَ أَسْتَأْذِنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

يَا وَيَحَهُمُ! آذُوكَ يَا نَوْرَ الْهُدَى
وَلَقَدْ أَتَيْتَ لِكَيِّ تُنِيرَ قُلُوبَهُمْ
وَأَبَيْتَ إِذْ نَزَلْتَ عَلَيْهِمْ نِقْمَةً
يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، إِنَّكَ رَحِمَةٌ
وَقَالَ -أَيْضًا -:

مَا هَالَهُ فِعْلُهُمْ، لَكِنْ يُورِّقُهُ
أَفَاقٌ حِينَ أَتَى (قَرْنَ الثَّعَالِبِ) مِنْ
هُنَاكَ أَبْصَرَ جُنْدَ اللَّهِ نَاطِرَةً
سَحَابَةً تَفْصِلُ الشَّمْسَيْنِ، خَيْرُهُمَا
فِيهَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ الَّتِي نَزَلَتْ
أَبَى رَجَاءَ الذَّرَارِيِّ بَعْدَهُمْ، فَعَسَى
نَفْسٌ مِنَ النَّبْلِ وَالْأَخْلَاقِ حُقَّ لَهَا

مَخَافَةَ الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّجْمِ وَالرُّجْمِ^(٢)
غَمٌّ بِقَلْبٍ كَسِيرٍ مُرْهَقٍ كَلِمٍ^(٣)
وَمَنْ يَلْدُ بِحِمَى اللَّهِ الْعَظِيمِ حُمِي
تَمْشِي إِلَى الْخُلْدِ، وَالْأُخْرَى إِلَى الْعَدَمِ
تَسْتَأْذِنُ الْحِلْمَ بِالتَّأْدِيبِ لِللُّؤْمِ^(٤)
أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَحْيَاءَ مِنَ الرَّمَمِ
أَنْ تَعْتَلِيَ فَوْقَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ!

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٣١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥).

(٢) الرَّجْمُ -بَضْمَتَيْنِ -: النُّجُومُ الَّتِي يُرْمَى بِهَا.

(٣) كَلِمٌ أَيْ: جَرِيحٌ.

(٤) اللَّؤْمُ: اللَّثَامُ.

وَقَالَ آخِرُ:

وَضِيءُ الْمَجَالِ وَالْمَعَالِي كِلَيْهِمَا وَعَذْبُ السَّجَايَا وَالنَّدَى وَالْخَلَائِقِ
أَخَفُّ عَلَى الْأَرْوَاحِ طَبْعًا مِنَ الْهَوَى وَلَكِنَّهُ فِي الْحِلْمِ هَضْبَةٌ شَاهِقٌ^(١)



(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٥ / ٥٤).

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

يَا أَيُّهَا الْمُسْرَى بِهِ شَرَفًا إِلَى مَا لَا تَنَالُ الشَّمْسُ وَالْجُورَاءُ
 فَضْلٌ عَلَيْكَ لِيَذِي الْجَلَالِ وَمِنَّةٌ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرَى وَيَشَاءُ^(١)
 مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ سَنَوَاتٍ مَأْسَاوِيَّةً، مَلِيَّةً
 بِالْعَوَاصِفِ الْعَاتِيَةِ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالْإِيْذَاءِ، وَالتَّكْذِيبِ وَالْإِفْتِرَاءِ، مُزَقَّ شَمْلُ
 أَتْبَاعِهِ، وَسَامَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ كَانَ الْعَامُ الْعَاشِرُ مِنَ الْبِعْثَةِ الَّذِي
 فَقَدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، الَّذِي كَانَ يَنَافِحُ عَنْهُ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ
 أَدَى قُرَيْشٍ، وَبَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ يُفْجِعُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَوْتِ رَفِيقَةِ
 دَرَبِهِ وَرِيحَانَةِ حَيَاتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ مَنْ وَقَفَتْ إِلَى جَانِبِهِ
 فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ عَلَى مَدَى خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ عَامًا، وَبَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ
 النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَنْصُرُهُ لِيُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَيَخْرُجُ إِلَى الطَّائِفِ؛
 لِيَعْرِضَ دَعْوَتَهُ عَلَى ثَقِيفٍ، فَيَرُدُّونَهُ بِأَقْبَحِ رَدٍّ، فَيَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِمْ هَائِمًا عَلَى
 وَجْهِهِ، فَلَمْ يُفِقْ إِلَّا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ، وَهُوَ قَرْنُ الْمَنَازِلِ مِيقَاتُ أَهْلِ نَجْدٍ.
 وَفِي ظِلِّ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْكَالِحَةِ، وَالظُّرُوفِ الْحَرِجَةِ، وَبَعْدَ مُضِيِّ اثْنَتَيْ
 عَشْرَةَ سَنَةً مِنَ الْبِعْثَةِ يَشَاءُ اللَّهُ اللَّطِيفُ بَعْبَادِهِ أَنْ يُسَلِّيَ رَسُولَهُ، وَيُثَبِّتَهُ عَلَى
 الْحَقِّ، فَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِرَحْلَةِ تَارِيخِيَّةٍ لَمْ يَنْلِ شَرَفَهَا قَبْلَهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.
 إِنَّهَا رَحْلَةُ مُبَارَكَةٍ طَيِّبَةٍ، بَدَأَتْ بِأَقْدَسِ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَانْتَهَتْ بِأَعْلَى طَبَقَاتِ

(١) «الشُّوْقِيَّاتُ» (٢/١).

السَّمَاءِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

[الإسراء: ١].

فَالْإِسْرَاءُ: الرَّحْلَةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وَالْمِعْرَاجُ: الرَّحْلَةُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَى، ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَي.

أَيْنَ الْقَوَانِينُ فِي الْإِسْرَاءِ؟! قَدْ نُسِفَتْ
فِي سُرْعَةٍ تُعْجِزُ الْأَرْقَامَ فِي زَمَنِ
أَمِ النَّبِيِّينَ فِي الْأَقْصَى الشَّرِيفِ عَلَى
قَدْ قَدَّمُوهُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ آخِرُهُمْ
كُلُّ أَتَى قَوْمَهُ، لَكِنْ رِسَالَتُهُ
وَدِينُنَا الْحَقُّ يَحْوِي كُلَّ مَا حَمَلْتَ
وَمَنْ حَوَى كُلَّ دِينٍ قَبْلَهُ وَدَعَا
وَقَالَ آخِرُ:

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكَهُ
لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّفُّوا بِسَيِّدِهِمْ
صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ

وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمٍ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ
وَمَنْ يَفْزُ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمِ

(١) الْعَمَمُ: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ.

(٢) السَّنَمُ - يَفْتَحَتَيْنِ -: الْعُلُوُّ وَالْأَرْتِفَاعُ.

(٣) قَالَهُ أَسْتَادُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

جُبَّتِ السَّمَوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللَّجْمِ
 رَكُوبَةً لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ لَا فِي الْحَيَادِ وَلَا فِي الْأَيْتُقِ^(١) الرَّسْمِ^(٢)
 مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي وَصَنَعُهُ وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالتُّهَمِ
 حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ^(٣)



(١) الأَيْتُقِ: جَمْعُ نَاقَةٍ.

(٢) الرَّسْمِ: جَمْعُ رُسُومٍ، وَالنَّاقَةُ الرَّسُومُ هِيَ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْوَطْءِ.

(٣) «موسوعة الشعر الإسلامي» (٦ / ٥٦٠).

قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

كَفَتْهُ كَرَامَةُ الْمِعْرَاجِ فَضْلًا بِهَا فِي الْقُرْبِ سَادَ الْأَنْبِيَاءُ ^(١)
 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَهُوَ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
 حَدَّثَهُمْ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحَجَرِ
 - مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ ^(٢) - قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ
 إِلَى هَذِهِ»، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي؟

قَالَ: مِنْ ثَغْرَةٍ ^(٣) نَحَرَهُ إِلَى شِعْرَتِهِ ^(٤).

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ ^(٥) إِلَى شِعْرَتِهِ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ
 بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، فَغَسَلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ
 أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبُغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ.

فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوُهُ
 عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ ^(٦)، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ
 بَيْ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟

(١) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣ / ٣٨٣).

(٢) الْقَدَّ: الشَّقُّ طُولًا.

(٣) الثَّغْرَةُ - بِالضَّمِّ -: الْمَوْضِعُ الْمُنْخَفِضُ الَّذِي بَيْنَ التَّرْقُوتَيْنِ.

(٤) شِعْرَتُهُ أَيُّ: شَعْرُ الْعَانَةِ.

(٥) قَصَبُهُ أَيُّ: رَأْسُ صَدْرِهِ.

(٦) طَرَفُهُ أَيُّ: نَظَرُهُ، أَيُّ: يَضَعُ رِجْلَهُ.

قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ لَنَا، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، قَالَ: فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟
 قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ:
 نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هُوَ هَارُونُ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ:
 مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ:
 جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ:
 مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا
 مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ
 الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَّى، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لَأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ
 بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ:
 جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ:
 مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا
 أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا
 بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعْتُ لِي سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، فَإِذَا بَقُوعُهَا^(١) مِثْلُ قِلَالٍ^(٢) هَجَرَ^(٣)، وَإِذَا

(١) النَّبَقُ: ثَمَرُ السِّدْرِ.

(٢) الْقِلَالُ - بِالْكَسْرِ - الْجَرَارُ، وَاحِدُهَا قُلَّةٌ - بِالضَّمِّ -.

(٣) هَجَرَ - بَفَتْحَتَيْنِ -: بَلَدُهُ بِالْيَمَنِ، لَا تَنْصَرِفُ لِلتَّائِيثِ وَالْعَلَمِيَّةِ، وَقَدْ تَذَكَّرْتُ وَتَصَرَّفْتُ.

أوراقها مثل أذان الفيلة، قال: هذه سدره المُنْتَهَى، فإذا أُرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ، قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ، نَادَانِي مُنَادٍ أَمْضِيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَفْتُ عَنْ عِبَادِي»^(١).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٦٤)، وَمُسْلِمٌ (١٦٣).

وَحَبَّذَا لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ حِينَ سَرَى
رَأَى بِهِ مِنْ كِرَامِ الرُّسُلِ طَائِفَةً
بَلْ حَبَّذَا نَهْضَةُ الْمِعْرَاجِ حِينَ سَمَا
وَقَالَ آخِرُ:
لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِلَا أَتَمٍّ^(١)
فَأَمَّهُمْ ثُمَّ صَلَّى خَاشِعًا بِهِمْ
بِهِ إِلَى مَشْهَدٍ فِي الْعِزِّ لَمْ يُرَمَّ^(٢)

وَأَسْرَى بِهِ نَحْوَ السَّمَوَاتِ رَبُّهُ
وَقَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا لِصُغُودِهِ
وَلَا قَى بِهَا قَوْمًا مِنَ الرُّسُلِ كُلُّهُمْ
وَكَانَ بِهِ فَرَضُ الصَّلَاةِ، وَحَبَّذَا
وَصَيْرَهَا مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ خَمْسَةً
فُرُوضًا، وَأَمْرُ اللَّهِ قَدْ كَانَ مُبْرَمًا^(٣)
وَأَرْكَبَهُ ظَهَرَ الْبُرَاقِ وَأَكْرَمًا
فَمَا زَالَ يَرْقَى مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ
يَقُولُ لَهُ يَا مَرْحَبًا حِينَ سَلَّمَا
تَرَدُّدُهُ بَيْنَ الْكَلِيمِ مُكَلَّمًا!
وَصَيْرَهَا مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ خَمْسَةً

وَكَانَتْ رِحْلَتُهُ ﷺ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي
أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإِسْرَاءُ: ١]. فَكَلِمَةُ
عَبْدٍ لَا تَطْلُقُ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ، وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧) ﴿النَّجْمُ: ١٧﴾، وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) ﴿النَّجْمُ: ١٣﴾.

فَالْبَصَرُ مِنْ أَدَوَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحَ.

وَقَدْ أَقَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوُجُودِ الْبُرَاقِ الَّذِي انْتَقَلَ بِهِ، وَنَعَتَهُ بِصِفَاتِهِ،
وَالْبُرَاقُ: مَخْلُوقٌ مَادِيٌّ، يَحْتَاجُ إِلَى جَسَدٍ مَادِيٍّ يَرْكَبُهُ.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحِلْقَةِ»^(٤) الَّتِي

(١) الْأَتَمُّ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الْإِنْطَاءُ.

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٦٠٦ / ٨).

(٣) «الْقِصَائِدُ الزُّهْدِيَّاتُ» (٢٠ / ١).

(٤) بِالْحِلْقَةِ أَيُّ: حِلْقَةٍ بَابِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

يُرْبِطُ بِهِ ^(١) الْأَنْبِيَاءُ ^(٢).

يَا أَيُّهَا الْمُسْرَى بِهِ شَرَفًا إِلَى
تَغْشَى ^(٣) الْغُيُوبَ مِنَ الْعَوَالِمِ، كُلَّمَا
وَقَالَ أَسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ-:

حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ بِالْمِعْرَاجِ، وَارْتَفَعَتْ
وَأَمَسَتْ الْأَرْضُ فِي لَيْلَيْنِ وَاجِمَةٍ ^(٥)
جَازَ النَّبِيِّينَ كُلًّا عِنْدَ رُتْبَتِهِ
حَتَّى ارْتَقَى مَنْزِلًا مَا نَالَهُ أَحَدٌ
مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ كَانَ الْعُرُوجُ بِهِ
أَرَادَهَا اللَّهُ تَأْيِيدًا وَتَسْلِيَةً
فِي الْأَرْضِ دَاعِيَةً لَأَقَى الْعَنَاءَ بِهَا
فِي الْأَرْضِ لَمْ يَلْقَ عَبْدًا يَسْتَحِيرُ بِهِ
فِي الْأَرْضِ كَانَ طَرِيدًا لَا أُنَيْسَ لَهُ

إِلَى السَّمَاءِ سَمَاءُ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
وَمَنْ يُصِبُّهُ فِرَاقُ الْمُصْطَفَى يَجِمُ ^(٦)
إِلَى مَقَامٍ مِنَ الْعَلَيَاءِ لَمْ يُرَمِ
وَسِدْرَةُ الْمُنتَهَى كَانَتْ عَلَى زَمَمٍ ^(٧)
لَيْلًا، وَلِلَّهِ مَا فِي الْأَمْرِ مِنْ حِكْمٍ
لِلْمُصْطَفَى بَعْدَمَا لَأَقَى مِنَ الْقَحَمِ ^(٨)
وَفِي السَّمَوَاتِ مَدْعُوٌّ إِلَى النِّعَمِ
وَفِي السَّمَوَاتِ لَأَقَى خَيْرَ مُسْتَنَمٍ
وَفِي السَّمَاءِ عَظِيمًا حَفَّ بِالْحَشَمِ

(١) بِهِ: بِضَمِّيرِ الْمَذْكُورِ، أَعَادَهُ عَلَى مَعْنَى الْحِلْقَةِ، وَهُوَ الشَّيْءُ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٠٧)، وَمُسْلِمٌ (١٦٢) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٣) غَشِيَ الْمَكَانَ يَغْشَاهُ: أَتَاهُ.

(٤) «دِيَوَانُ شَوْقِي» (١١).

(٥) الْوُجُومُ: السُّكُوتُ عَلَى هَمٍّ وَحُزْنٍ.

(٦) يَجِمُ أَيُّ: يُصِبُّهُ الْوُجُومُ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ.

(٧) عَلَى زَمَمٍ: عَلَى قُرْبٍ.

(٨) الْقَحَمُ: الْأُمُورُ الشَّاقَّةُ الشَّدِيدَةُ، وَاحِدَتُهَا قُحْمَةٌ -بِالضَّمِّ-.

فِي الْأَرْضِ أَبْغَضُ خَلْقِ اللَّهِ تَطْرُدُهُ
وَفِي السَّمَوَاتِ تَرْحِيبٌ مِنَ الْقَمَمِ
هَذَا هُوَ النَّصْرُ؛ فَأَمَنْ لَا تَخَفُ أَبَدًا
فَإِنَّ أَمْرَكَ مَحْتُومٌ إِلَى التَّامِّ



بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى

أَجَارُوا رَسُولَ اللَّهِ بَدْأً وَلَمْ تَزَلْ مَآثِرُهُمْ فِي الدِّينِ تَسْمُو وَتَزْدَادُ^(١)
 بَعْدَ سِنِينَ طَوِيلَةٍ قَضَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي جِهَادٍ دَائِمٍ، وَعَمَلٍ مُتَوَاصِلٍ، لَا
 يَعْرِفُ الْكَلَلَ وَلَا الْمَلَلَ، وَهُوَ يَطُوفُ عَلَى الْقَبَائِلِ، مُبَلِّغًا دَعْوَةَ رَبِّهِ، مُلْتَمِسًا
 الْحَلِيفَ وَالنَّصِيرَ، مُلَاقِيًا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ صُنُوفَ الْأَذَى وَالصَّدِّ وَالْإِعْرَاضِ - أَرَادَ
 اللَّهُ إِتْمَامَ أَمْرِهِ، وَنَصَرَ دِينِهِ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانَتْ الْبِدَايَةُ وَنُقْطَةُ التَّحَوُّلِ
 الْحَاسِمَةُ وَبَصِيصُ النُّورِ الَّذِي أَطْلَعَ مِنْ بَيْنِ رُكَامِ الظُّلُمَاتِ، عِنْدَمَا قَبِضَ اللَّهُ
 ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ السَّتَّةَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ: أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ،
 وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ حَدِيدَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ
 عَامِرٍ بْنِ نَابِي، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ سَيِّمًا الْخَزْرَجِ،
 وَهَؤُلَاءِ النَّفَرُ السَّتَّةُ التَّقَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ
 الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبُعْثَةِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، فَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ وَأَسْلَمُوا.

وَكَانَ هَذَا الْمَوْكِبُ أَوَّلَ مَوَاقِبِ الْخَيْرِ الَّتِي هَيَّأَتْ لِلْإِسْلَامِ أَرْضًا جَدِيدَةً،
 وَمَلَاذًا آمِنًا؛ حَيْثُ لَمْ يَكْتَفِ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ بِالْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا أَخَذُوا الْعَهْدَ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ بِدَعْوَةِ أَهْلِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ رِسَالَةَ
 الْإِسْلَامِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، جَاءَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ: عَشْرَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَاثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ.

(١) «دَوَائِئُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٩٢ / ٤٧).

وَهُمُ السَّتَّةُ الْأَوَّلُ - خَلَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - وَمَعَهُمُ: مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ، أَخُو عَوْفِ الْمُتَقَدِّمِ، وَذُكْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، فَهُوَ لَاءِ عَشْرَةٍ مِنَ الْخَزَرَجِ، وَمِنْ الْأَوْسِ اثْنَانِ، وَهُمَا: مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ.

فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَبِيعَةَ النِّسَاءِ دُونَ قِتَالٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ بِالْقِتَالِ بَعْدُ^(١). وَهَا هُوَذَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا كَيْفَ كَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، قَالَ: «كُنْتُ فِي مَنَ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ - عَلَى أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِي، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ، وَإِنْ عَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ»^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَسَتَرَهُ اللَّهُ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ،

(١) بَيْعَةُ النِّسَاءِ كَانَتْ بَعْدَ الْحَدِيثِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْمُمْتَحِنَةُ: ١٢].

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٩٣)، وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩).

إِنْ شَاءَ عَاقِبُهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ». قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ^(١).

فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْمُ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَأَقَامَ ﷺ فِي بَيْتِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ﷺ يُعَلِّمُ النَّاسَ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَتَمَكَّنَ خِلَالَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَةٍ مِنْ أَنْ يَنْشُرَ الْإِسْلَامَ فِي سَائِرِ بُلُوتِ الْمَدِينَةِ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا يَوْمَئِذٍ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا الْأَصِيرَ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمٍ أُحْدِ.

وَلَمْ تَبَقْ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ، وَعَادَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ إِلَى مَكَّةَ قُبَيْلَ الْمَوْسِمِ الْمُقْبِلِ، يَحْمِلُ بَشَائِرَ الْخَيْرِ، وَيُخْبِرُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا لَقِيَهُ الْإِسْلَامُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ قُبُولِ حَسَنِ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَرَى فِي هَذَا الْمَوْسِمِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ، وَيَسُرُّ بِهِ فُؤَادُهُ.

إِذَا مَجْلِسُ الْأَنْصَارِ خَفَّ بِأَهْلِهِ وَحَلَّتْ بِوَادِيهِمْ غَفَارٌ وَأَسْلَمُ^(٢)
فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ^(٣)
وَقَالَ آخِرُ:

يَسْتَقْبِلُ النَّاسُ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ وَيَنْشُرُ الدِّينَ فِي سَهْلٍ وَفِي عِلَمٍ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٩٢) وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩).

(٢) غَفَارٌ وَأَسْلَمٌ: قَبِيلَتَانِ.

(٣) «التَّذَكُّرَةُ الْحَمْدُ وَنَبِيُّهُ» (٧/ ٢٩٦).

حَتَّى اسْتَجَابَتْ لَهُ الْأَنْصَارُ وَاعْتَصَمُوا
فَاسْتَكْمَلَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا نَضَارَتَهَا
قَوْمٌ أَقْرُوا عِمَادَ الْحَقِّ وَاصْطَلَمُوا^(١)
فَكَم بِهِمْ أَشْرَقَتْ أَسْتَارُ دَاجِيَةٍ
وَقَالَ أُسْتَادُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

سَيُخْسِمُ اللَّهُ أَمْرًا أَنْتَ حَامِلُهُ
بُشْرَاكَ؛ تِلْكَ بُذُورُ النُّورِ مُقْبِلَةٌ
وَإِنْ تَبَدَّى عَسِيرًا غَيْرَ مُنْحَسِمٍ
مِنْ يَثْرِبِ النَّصْرِ وَالْأَنْصَارِ وَالرُّحْمِ^(٣)



(١) اصْطَلَمُوا: اسْتَأْصَلُوا.

(٢) «مَوْسُوْعَةُ الشُّعْرِ» (٦٠٦/٩)، قَالَه الْبَارُودِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) الرُّحْمُ: الرَّقَّةُ وَالْعَطْفُ وَالْمَغْفِرَةُ.

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

يَا مَنْ بَطَّلْتَهُ يُلُوحُ لَنَا الْهُدَى وَبِئْمَنِ رُؤَيْتِهِ نَزِيدُ تَيْمَنًا^(١)
 هَا هُوَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا عَنْ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، يَقُولُ: فَنِمْنَا
 تِلْكَ اللَّيْلَةَ - وَهِيَ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ - مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا
 مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ، خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ
 تَسَلَّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا
 امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نَسِيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشَّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمِيذُ
 عُمِّهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمِيذٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ
 يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقَ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ
 مَنْ تَكَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ - وَكَانَ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ
 الْأَنْصَارِ الْخَزَرَجِ أَوْسَهَا وَخَزَرَجَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ
 مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ.

قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخَذُ لِنَفْسِكَ
 وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَلَا وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
 وَرَغَبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ
 وَأَبْنَاءَكُمْ». قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ مَعْتُوقٍ» (١٢٨).

بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزْرَنَا (أَيُّ: نِسَاءَنَا) فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ^(١).

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ - وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ
التَّيْهَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرَّجَالِ حَبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي
الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَأَظْهَرَكَ اللَّهُ ﷻ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى
قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ
الْهَدْمُ»^(٢)، أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ»^(٣).

وَهَا هُوَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَهُ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ، فَيَحْدِثُنَا قَالَ: فَقُلْنَا: حَتَّى
مَتَى تَتْرُكُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ سَبْعُونَ
رَجُلًا مِنَّا، حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدَنَا شُعْبَ الْعَقْبَةِ، فَاجْتَمَعُوا
عِنْدَهَا مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَا نُبَايِعُكَ؟

قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ
وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا
تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي - إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ -
مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ».

قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ - وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ -

(١) الْحَلَقَةُ: السَّلَاحُ كُلُّهُ.

(٢) الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ أَيُّ: إِنْ طُلِبَ دَمُكُمْ فَقَدْ طُلِبَ دَمِي، وَإِنْ أُهْدِرَ دَمُكُمْ فَقَدْ أُهْدِرَ دَمِي،
لَا سِتِحْكَامَ الْأَلْفَةِ بَيْنَنَا.

(٣) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٤٦٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْلِيقَاتِهِ عَلَى «فِيهِ السِّيَرَةِ»
(١٩٤).

فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعْصَكُمْ السُّيُوفُ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَبِيئَةً، فَبَيْنَمَا ذَلِكَ، فَهُوَ عُدْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نُسَلِّبُهَا أَبَدًا قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ، فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ^(١).

وَقَدْ وَفَّى الْأَنْصَارُ بِتِلْكَ الْبَيْعَةِ، وَقَامُوا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ قِيَامٍ، وَأَتْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَأَوْصَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ وَصِيَّةٍ، وَقَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «فَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْنَهُمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»^(٢).

قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مَقْنَبٍ^(٣) مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ^(٤) إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيِّ^(٥) بِأَذْرُعٍ كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ^(٦) غَيْرَ قِصَارِ

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/٣٢٢-٣٤٠)، وَالْحَاكِمُ (٢/٦٢٤-٦٢٥)، وَصَحَّحَهُ وَأَقْرَأَهُ الدَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٩٩)، وَمُسْلِمٌ (٣٨٠١).

(٣) الْمَقْنَبُ - بَرَزَةُ الْمُنْبَرِ - : الْجَمَاعَةُ مِنَ الْفَوَارِسِ، وَالْجَمْعُ مَقَانِبٌ.

(٤) كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ أَيُّ: كَبِيرًا عَنْ كَبِيرٍ فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ.

(٥) السَّمْهَرِيُّ: الرُّمَحُ الصُّلْبُ، يُقَالُ: هُوَ مَسْثُوبٌ إِلَى سَمْهَرٍ، وَكَانَ رَجُلًا يَقُومُ الرِّمَاحَ.

(٦) كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ: يُرِيدُ حَوَاشِي السُّيُوفِ، وَقَدْ يُرِيدُ بِهِ الرِّمَاحَ - أَيْضًا -؛ لِأَنَّهَا قَدْ تُنْسَبُ إِلَى الْهِنْدِ.

وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ أَنْفُسَهُمْ لِنِسِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ
وَالْقَائِدِينَ^(١) النَّاسَ عَنْ أَذْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِفِيِّ^(٢) وَبِالْقَنَّا^(٣) الْخَطَّارِ^(٤)
يَتَطَهَّرُونَ - يَرُونَهُ نُسْكَالَهُمْ - بِدِمَاءٍ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
دَرَبُوا^(٥) كَمَا دَرَبَتْ بِطْنِ خَفِيَّةٍ^(٦) غُلْبُ الرِّقَابِ^(٧) مِنَ الْأُسُودِ ضَوَارِي^(٨)
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ^(٩) الْأَغْفَارِ^(١٠)
قَوْمٌ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ^(١١) فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ^(١٢) النَّازِلِينَ مَقَارِي^(١٣) .^(١٤)



(١) فِي «عُيُونِ الْأَثَرِ» (٢/ ٢٦٣) بَدَل (وَالْقَائِدِينَ) وَ(الدَّائِدِينَ) أَي: الْمَانِعِينَ وَالِدَافِعِينَ.

(٢) الْمَشْرِفِيُّ: السَّيْفُ الْمُنْسُوبُ إِلَى الْمَسَارِفِ، قُرِيَ لِلْعَرَبِ تَدْنُو مِنَ الرَّيْفِ.

(٣) الْقَنَّا: جَمْعُ قَنَاءَةٍ، وَهِيَ الرُّمَحُ.

(٤) الْخَطَّارُ: الْمُهْتَزُّ.

(٥) دَرَبُوا: اعْتَادُوا مِنَ الدَّرَبَةِ: وَهِيَ الضَّرَاوَةُ وَالْجَرَاءَةُ.

(٦) خَفِيَّةٌ: مَوْضِعٌ كَثِيرُ الْأُسْدِ.

(٧) غُلْبُ الرِّقَابِ: غِلَاطُ الْأَعْنَاقِ.

(٨) ضَوَارِي: مُتَعَوِّدَاتِ الصَّيْدِ وَالْأَفْتِرَاسِ.

(٩) مَعَاقِلُ: جَمْعُ مَعْقِلٍ، وَهُوَ الْحِصْنُ الَّذِي يُمْتَنَعُ فِيهِ.

(١٠) الْأَغْفَارُ: جَمْعُ غُفْرٍ - بِالضَّمِّ -، وَهُوَ وَلَدُ الْوَعْلِ.

(١١) خَوَتْ النُّجُومُ: غَرَبَتْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى رَعْمِهِمْ.

(١٢) الطَّارِقِينَ: الَّذِينَ يَأْتُونَ بِاللَّيْلِ.

(١٣) الْمَقَارِي جَمْعُ مِقْرَاةٍ، وَهِيَ الْجَفْنَةُ الَّتِي يُصْنَعُ فِيهَا الطَّعَامُ لِلْأَضْيَافِ.

(١٤) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» لَابْنِ كَثِيرٍ (٧/ ١٣٨ - ١٣٩).

الهجرة

أَوْحَىٰ لَكَ اللَّهُ: هَاجِرْ لِلأُلَىٰ صَدَقُوا فَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الْأَوْطَانُ وَالنَّسَبُ
وَلَا تُرْعَكَ حُشُودُ الْأَرْضِ أَجْمَعُهَا فَإِنَّمَا الْأَمْرُ بَعْدَ الصَّبْرِ يَنْقَلِبُ^(١)
لَمْ يَكُنْ اخْتِيَارَ الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا لَهُ ﷺ إِلَّا بِوَحْيِ إلهِي.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي -أَي: اعْتِقَادِي-
إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ، أَوْ هَجَرْتُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ»^(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ
ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ». وَهُمَا الْحَرَّتَانِ^(٣)، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ
عَامَّةٌ مَنْ كَانَ هَاجِرَ بَارِضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ،
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ»^(٤)؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي .
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» .

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاِحِلَتَيْنِ
كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ - وَهُوَ الْخَبْطُ - أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

(١) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ» (٣٨).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٢٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٢).

(٣) الْحَرَّة: أَرْضٌ حِجَارَتُهَا سُودٌ.

(٤) عَلَى رِسْلِكَ - بِكَسْرِ الرَّاءِ - أَي: عَلَى مَهْلِكٍ

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهْيَةِ ^(١)، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا ^(٢) - فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ، مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: « فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « نَعَمْ ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاِحَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « بِالثَّمَنِ ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَّ الْجَهَّازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً ^(٣) فِي جِرَابٍ ^(٤).

فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا ^(٥)، فَارْبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ؛ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ.

(١) نَحْرِ الظَّهْيَةِ أَيُّ: أَوَّلُ الزَّوَالِ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ فِي حَرَارَةِ النَّهَارِ.

(٢) مُتَقَنَّعًا أَيُّ: مُغَطًيًا رَأْسَهُ.

(٣) السُّفْرَةُ: زَادُ الْمُسَافِرِ.

(٤) الْجِرَابُ - بِالْكَسْرِ - وَعَاءُ الزَّادِ.

(٥) النَّطَاقُ - بِالْكَسْرِ - الْحِزَامُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْوَسْطُ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ^(١) ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ^(٢) لَقِنٌ^(٣)، فَيُدْلِجُ^(٤) مِنْ عِنْدَهُمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً^(٥) مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَسْتَانِ فِي رِسْلِ^(٦)، وَهُوَ لَبَنٌ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفُهُمَا^(٧)، حَتَّى يَنْعَقَ^(٨) بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بَغْلَسٍ^(٩)، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خَرِيَّتًا - وَالْخَرِيْتُ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ حِلْفًا^(١٠) فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمْنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ

(١) فَكَمْنَا فِيهِ أَي: اخْتَفَيْنَا.

(٢) الثَّقِفُ: الْحَاذِقُ.

(٣) اللَّقِنُ: السَّرِيعُ الْفَهْمُ.

(٤) فَيُدْلِجُ أَي: فَيَخْرُجُ.

(٥) الْمِنْحَةُ - بِالْكَسْرِ - عَارِيَّةُ ذَاتِ الْأَلْبَانِ؛ لِيُؤْخَذَ لَبْنُهَا، ثُمَّ تُرَدَّ هِيَ لِصَاحِبِهَا.

(٦) الرِّسْلُ - بِالْكَسْرِ - اللَّبَنُ الطَّرِيقِيُّ.

(٧) الرَّضِيفُ: اللَّبَنُ الْمَرْضُوفُ (أَي: الَّتِي وُضِعَتْ فِيهِ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ بِالشَّمْسِ أَوْ النَّارِ؛ لِيَنْعَقَدَ وَتَرْوُلَ رَخَاوُتُهُ).

(٨) يَنْعَقُ بِهَا أَي: يَصِيحُ بِغَنَمِهِ.

(٩) الْغَلَسُ: اخْتِلَاطُ ضِيَاءِ الصُّبْحِ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

(١٠) الْحِلْفُ - بِالْكَسْرِ - الْعَهْدُ بَيْنَ الْقَوْمِ، وَكَانُوا إِذَا تَحَالَفُوا غَمَسُوا أَيْمَانَهُمْ فِي دَمٍ، أَوْ طَيْبٍ، أَوْ فِي شَيْءٍ يَكُونُ فِيهِ تَلْوِیْثٌ، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِلْحِلْفِ.

رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارٌ ثَوْرٌ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ،
وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالِدُّ لَيْلٍ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَا حِلٍّ^(١).

وَهَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَهُ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ، قَالَ: «نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ
الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ
إِلَى قَدَمَيْهِ، أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا؟!»^(٢).

وَهُنَا زِيَادَةُ فَائِدَةٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَخَذَ عَلَيْنَا بِالرَّصَدِ^(٣)،
فَأَحْشَنَّا لَيْلَتَنَا^(٤) وَيَوْمَنَا، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ^(٥)، ثُمَّ رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ، فَأَتَيْنَاهَا
وَلَهَا شَيْءٌ مِنْ ظِلٍّ، قَالَ: فَفَرَشْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَوَةً مَعِي، ثُمَّ اضْطَجَعَ
عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاِنْطَلَقْتُ أَنْفُضَ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ قَدْ أَقْبَلَ فِي غَنِيمَةٍ،
يُرِيدُ مِنَ الصَّخْرَةِ مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟، فَقَالَ: أَنَا
لِفُلَانٍ. فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟

قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ،
فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الصَّرْعَ. قَالَ: فَحَلَبْتُ كُثْبَةً^(٦) مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ^(٧) مِنْ مَاءٍ،

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٣٨١).

(٣) الرَّصَدُ: الْارْتِقَابُ.

(٤) فَأَحْشَنَّا أَيُّ: أَسْرَعْنَا السَّيْرَ.

(٥) الظَّهِيرَةُ: شِدَّةُ الْحَرِّ، وَقَائِمُهَا: قَائِمُ الظِّلِّ الَّذِي لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، وَذَلِكَ يَكُونُ
مُتَنَصِّفَ النَّهَارِ حِينَ اسْتَوَاءِ الشَّمْسِ.

(٦) كُثْبَةٌ - بِالضَّمِّ - أَيُّ: شَيْئًا قَلِيلًا.

(٧) إِدَاوَةٌ: وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ.

عَلَيْهَا خِرْقَةً قَدْ رَوَّاتُهَا^(١) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَبَّتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ ارْتَحَلَنَ وَالطَّلَبُ فِي إِثْرِنَا^(٢).

أَبُو بَكْرٍ وَالشَّدُو الْجَمِيلُ بِكَ ابْتَكَرَ وَذِكْرَاكَ قَدْ طَافَتْ عَلَى الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ هُمَامٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَصْغَتْ لِفَضْلِهِ وَحَنَّتْ لَهُ الْجَوَزَا، وَشَيَّعَهُ الْقَمَرُ وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتُعِيرَتْ ثِيَابُهُ تَرَدَّى رِدَاءً وَاسِعَ الْجَيْبِ وَاتَّزَرَ تَفَرَّدَ بِالْعَلْيَاءِ عَنْ كُلِّ فَاضِلٍ مَنَاقِبُهُ زَانَتْ رِبِيعَةً أَوْ مُضَرَ وَقَالَ أَسْتَادُنَا -حَفَظَهُ اللَّهُ-:

فَكَأَنَّمَا شَرِبَ النَّبِيُّ بِجَوْفِهِ حَتَّى ارْتَوَى مِنْ شَرِبَةِ الْمُخْتَارِ حُبٌّ تَعَمَّقَ فِي الْفُؤَادِ، فَصَارَ مَا يَسْرِي بِهِ فِيهِ فَهُوَ فِيهِ سَارِ حُبٌّ أَتَى مِنْ بَضْرِ قَلْبٍ مُخْلِصٍ لِلَّهِ فِي الْإِسَارِ وَالْإِعْسَارِ

قِصَّةُ سُرَاقَةِ بَنِي مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عزك القدم فانطلقت ترجي ه خسيًا من الجزاء حقيرًا
عَنْ سُرَاقَةَ بَنِي مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ، فَيَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً^(٤) بِالسَّاحِلِ، أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

(١) رَوَّاتُهَا أَيُّ: تَأْتَيْتُ بِهَا حَتَّى صَلَحَتْ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٠٤)، وَمُسْلِمٌ (٣٧٥٦).

(٣) شَيَّعَهُ: وَدَّعَهُ.

(٤) أَسْوَدَةُ أَيُّ: أَشْخَاصًا.

قَالَ: سُرَاقَةٌ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيَسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ
فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ،
فَأَمَرْتُ جَارِيَّتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ
رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ^(١) بِزُجَّةِ^(٢) الْأَرْضِ، وَخَفَضْتُ
عَالِيَهُ^(٣)، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا^(٤) تُقَرِّبُ بِي^(٥)، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ،
فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي^(٦) فَاسْتَخَرَجْتُ
مِنْهَا الْأَزْلَامَ^(٧)، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ.

فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يَكْثُرُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ^(٨) يَدَا فَرَسِي
فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكُذْ
تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ^(٩) سَاطِعٌ^(١٠) فِي السَّمَاءِ مِثْلُ

(١) فَحَطَطْتُ أَيُّ: أَمَكَنْتُ أَسْفَلَهُ.

(٢) الزُّجُّ - بِالضَّمِّ - الْحَدِيدَةُ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الرُّمَحِ.

(٣) لِنَلَّا يُظْهَرُ بَرِّقُهُ لِمَنْ بَعْدَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ، فَيُشْرِكُهُ فِي الْجَعَالَةِ.

(٤) فَرَفَعْتُهَا أَيُّ: أَسْرَعْتُ بِهَا السَّيْرَ.

(٥) التَّقْرِيبُ: أَنْ تَضَعَ الْفَرَسَ يَدَيْهَا مَعًا، وَتَضَعَهُمَا مَعًا.

(٦) الْكِنَانَةُ: وِعَاءُ السَّهَامِ.

(٧) الْأَزْلَامُ: السَّهَامُ الَّتِي لَا رِيشَ لَهَا وَلَا نَصْلَ، كَانُوا يَكْتُبُونَ عَلَى بَعْضِهَا نَعَمَ، وَ عَلَى بَعْضِهَا لَا،
وَاحِدُهَا زَلَمٌ -بِفَتْحَتَيْنِ-.

(٨) سَاخَتْ: غَاصَتْ.

(٩) عُثَانٌ -بِالضَّمِّ-: غُبَارٌ.

(١٠) سَاطِعٌ: مُنْتَشِرٌ.

الدُّحَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهَ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا،
فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي - حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ
عَنْهُمْ - أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ
الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ،
فَلَمْ يَرَزَانِي^(١) وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ
مِنْ أَدِيمٍ^(٢)، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٣).

صَافَتْ قُوَى الشَّرِّ بِالْحَقِّ الَّذِي ظَهَرَتْ
وَأَجْمَعُوا الْأَمْرَ فِي سِرٍّ وَقَدْ جَعَلُوا
فِي كُلِّ نَفْسٍ أَثَارُوا الْحِقْدَ، فَارْتَفَعَتْ
كُلُّ السُّيُوفِ، وَأَنْتَ الْقَصْدُ وَالطَّلَبُ^(٥)
آيَاتُهُ، وَتَنَزَّى^(٤) الْحِقْدُ وَالْغَضَبُ
لِقَاتِلِكَ نِيَاقًا دُونَهَا الذَّهَبُ

وَقَالَ آخَرُ:

فَبَيْنَمَا هُوَ يَطْوِي الْبَيْدَ^(٦) أَدْرَكَهُ
رَكُضًا سُرَاقَةً مِثْلَ الْقَشْعَمِ^(٧) الضَّرِمِ^(٨)

(١) فَلَمْ يَرَزَانِي أَيُّ: لَمْ يَنْقُصَانِي مِمَّا مَعِيَ شَيْئًا.

(٢) أَدِيمٌ: جِلْدٌ مَدْبُوعٌ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٦).

(٤) تَنَزَّى: تَوَثَّبَ وَتَسَرَّعَ.

(٥) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ» (٨٣).

(٦) الْبَيْدُ: جَمْعُ بَيْدَاءَ، وَهِيَ الصَّحْرَاءُ.

(٧) الْقَشْعَمُ - كَجَعْفَرٍ -: الْأَسَدُ.

(٨) الضَّرِمُ: الْجَائِعُ.

حَتَّى إِذَا مَا دَنَا^(١) سَاخَ الْجَوَادُ^(٢) بِهِ
فَصَاحَ مُبْتَهَلًا يَرْجُو الْأَمَانَ، وَلَوْ
وَقَالَ آخِرُ:

يَا طَرِيدًا مَلَى الدُّنْيَا اسْمُهُ
وَعَدْتُ سِيرَتَهُ أَنْشُودَةً
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَى مِنْ طَارِدًا
هَلْ دَرْتُ مِنْ طَارِدَتُهُ أُمَّةً
طَارِدْتُ فِي الْغَارِ مِنْ بَوَاهَا
طَارِدْتُ فِي الْبَيْدَا مَنْ شَادَ لَهَا
سُودُدُ مَا لِي الذُّرَى مَا شَادَهُ
وَعَدَا لَحْنًا عَلَى كُلِّ الشِّفَاهِ
يَتَلَقَّاهَا رُؤَاةً عَنْ رُؤَاةٍ
عَابَدُوا اللَّاتِ وَأَتْبَاعُ مُنَاهِ
هُبْلُ مَعْبُودُهَا؟ شَاهَتْ وَشَاهِ
مَقْصِدًا لَا يَبْلُغُ النَّجْمُ مَدَاهِ
دَيْنُهُ فِي الْأَرْضِ جَاهًا أَيْ جَاهِ
قَيْصَرُ يَوْمًا وَلَا كِسْرَى بِنَاهِ



(١) دَنَا: قَرَّبَ.

(٢) الْجَوَادُ: الْفَرَسُ.

(٣) الْبُرْقَةُ - بِالضَّمِّ -: الْأَرْضُ ذَاتُ حِجَارَةٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ.

(٤) الرَّجَمُ - بِالتَّحْرِيكِ - الْقَبْرُ.

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١١/٦٠٦).

كَيْفَ اسْتَقْبَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ حِينَ تَشْرَفْتَ بِكَ هِجْرَةً وَتَشْرَفَ الْأَنْصَارُ! (١)
يُحَدِّثُنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حُرُّ الظَّهِيرَةِ.
فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ
مِنَ يَهُودٍ عَلَى أُطْمٍ مِنْ أَطَامِهِمْ - أَيُّ: بِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ أَوْ حِصْنٍ مُرْتَفِعٍ -، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ
إِلَيْهِ، فَصُرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبْيَضِينَ - أَيُّ: يَلْبَسُونَ الْبَيَاضَ - يَزُولُ
بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ،
هَذَا جَدُّكُمْ - أَيُّ حَظُّكُمْ - الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي
عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ
الْأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْيِي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ» (٢).

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْر» (١/ ٦٧٧).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٦٠).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقَرِّئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ، وَسَعْدٌ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقْلَنَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» (١).

الْحِذُّ حَنْ إِيْلِكَ وَهُوَ جَمَادُ أَفَلَا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَكْبَادُ؟! وَحِجَارُ مَكَّةَ بِالنُّبُوَّةِ سَلَّمْتُ أَفَلَا يَطِيبُ لَنَا بِكَ الْإِنْشَادُ؟! (٢)

نَزُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَبَاءَ:

بَطِيئَةَ الطَّيْبِ أَرَسَى الْحَقُّ دَوْلَتَهُ فَالْكُونُ فِي مَوْعِدٍ ثَرٌّ مَعَ الْقَدَرِ عَدَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ (٣) وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحْيِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ.

بِنَاءُ مَسْجِدِ قَبَاءَ:

لَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (٤).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٢٥).

(٢) «دِيَوَانُ ابْنِ مَعْتُوقٍ» (٢٠٨).

(٣) وَمَنَازِلُهُمْ بِقَبَاءَ، وَهِيَ عَلَى فَرَسَخٍ مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِالْمَدِينَةِ. وَالْفَرَسَخُ: يَزِيدُ عَلَى ٥ كَم.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٦).

هَنَا مِنْ قُبَا آتَارُ نُورِ الْهُدَى تُرَوَّى لِأَوَّلِ يَوْمٍ أَسَّسُوهُ عَلَى التَّقْوَى
سَقَى اللَّهُ عَهْدًا هَاجَرَ الْمُصْطَفَى بِهِ وَأَنْصَارُهُ الْأَنْصَارُ وَالطَّيِّبَةُ الْمَأْوَى^(١)

نُزُولُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ:

يَتَشَرَّفُ الْإِنْسَانُ فِي أَخْوَالِهِ وَمُحَمَّدٌ شَرُفَتْ بِهِ الْأَخْوَالُ^(٢)
عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «أَنْزِلْ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛
أَكْرَمُهُمْ بِذَلِكَ». فَصَعِدَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغُلَمَانُ وَالْخَدَمُ
فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ»^(٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ - أَي: فِي بَنِي
عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ - أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مَلَائِكةِ بَنِي النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا
مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ
رَدَفُهُ وَمَلَائِكةُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ^(٤)، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ^(٥).

فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْزِلْ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَكْرَمُهُمْ بِذَلِكَ» فَصَعِدَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ وَتَفَرَّقَ الْغُلَمَانُ
وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٦).

(١) قَالَهُ: حَمُودُ الْبَعَادَنِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٢) قَالَهُ مَازِنُ الْعَرْدِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٠٩).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٣٢)، مُسْلِمٌ (٥٢٤).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١١) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٥٢٤).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٧)، مُسْلِمٌ (٢٠٠٩)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ بُيُوتٍ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟»، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، فَقَالَ ﷺ: «فَانْطَلِقْ فَهَبِّيْ لَنَا مَقِيلًا»، قَالَ: قَوْمًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ^(١).

سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِنَصْرِهِمْ دِينَ الْهُدَى وَعَوَانَ^(٢) الْحَرْبِ تَسْتَعِرُّ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا لِلنَّائِبَاتِ فَمَا خَامُوا^(٣) فَمَا ضَحَرُوا^(٤) وَقَالَ آخِرُ:

يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى، وَتَشَرَّفَتْ بِمَسِيرِهِ الْكُثْبَانُ^(٥) وَالْأَحْبَارُ
يَا مَنْ تَتَوَقَّعُ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ شَمْسٌ، وَيَفْرَحُ أَنْ يَرَاهُ نَهَارُ
بَابِي وَأُمِّي أَنْتَ حِينَ تَشَرَّفَتْ بِكَ هِجْرَةٌ، وَتَشَرَّفَ الْأَنْصَارُ^(٦)
وَقَالَ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ثَوَى^(٧) فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ^(٨) حِجَّةً^(٩) يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا^(١٠)

(١) الْقِصَّةُ: الْجَيْرُ الْمَحْرُوقُ.

(٢) الْعَوَانُ مِنَ الْحُرُوبِ: الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْأَوَّلَى بِكْرًا.

(٣) خَامُوا: نَكَصُوا وَجَبُّوا.

(٤) «دَوَاوَيْنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٦/٧).

(٥) الْكُثْبَانُ: جَمْعُ كَثِيبٍ، وَهُوَ التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ.

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١/١٢٩).

(٧) ثَوَى: أَقَامَ وَمَكَثَ.

(٨) الْبَضْعُ - بِالْكَسْرِ - مِنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ.

(٩) الْحِجَّةُ - بِالْكَسْرِ - هِيَ السَّنَةُ وَالْعَامُ هُنَا.

(١٠) مُوَاتِيَا: أَيُّ: مُوَافِقًا.

ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي، ولم ير داعيا
 فلما آتانا أظهر الله دينه وأصبح مسرورا بطيبة^(١) راضيا^(٢)



(١) طيبة - بالفتح -: المدينة النبوية.

(٢) «الحماسة المغربية» (١ / ٩٧ - ٩٨).

التَّكْيُفُ فِي الْمَدِينَةِ

أُودِّعُ فِيكَ صَفْوَ الْعَيْشِ حَتَّى تَعُودَ، فَيَرْجِعُ الْاِنْسُ الْمُقِيمُ^(١)
وَأَجَهَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ صُعُوبَةَ اخْتِلَافِ الْمُنَاحِ؛ فَالْمَدِينَةُ بِلْدَةٌ
زَرَاعِيَّةٌ، تُغَطِّي أَرْضِيهَا بَسَاتِينُ النَّخِيلِ، وَنِسْبَةُ الرُّطُوبَةِ فِيهَا أَعْلَى مِنْ مَكَّةَ،
وَقَدْ أَصِيبَ الْعَدِيدُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْحُمَى، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ^(٢)، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ،
وَاشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَكْوَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ
إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَبْتَ مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا،
وَحوُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ»^(٣).

وعنها - أَيضًا - قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَوَعَكَ^(٤) أَبُو
بَكْرٍ وَبِلَالٌ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟، وَيَا بِلَالُ، كَيْفَ
تَجِدُكَ؟، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ^(٥) نَعْلِهِ

(١) «دِيَوَانُ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ» (١٧٠).

(٢) وَبِيئَةٌ أَيُّ: وَخَيْمَةٌ تَكْثُرُ بِهَا الْأَمْرَاضُ، لَا سِيَّمَا لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ لَا يَسُوا مُسْتَوْطِنِيهَا.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٢٦)، وَمُسْلِمٌ (١٣٧٦).

(٤) وَوَعَكَ: أَصَابَتْهُ الْحُمَى.

(٥) الشِّرَاكُ - بِالْكَسْرِ - سَيْرُ النَّعْلِ.

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَتِ الْحُمَى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ^(١)، وَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خِرَّ^(٢) وَجَلِيلٌ؟^(٣)
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ؟^(٤) وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ؟^{(٥)(٦)}
قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ
إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، وَصَحَّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ
حُمَاهَا، فَاجْعَلْهُ فِي الْجُحْفَةِ»^(٧).

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا
عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ
يَا بَنِيَّةُ؟^(٨).

وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ ﷻ دُعَاءَ نَبِيِّهِ، فَنَقَلَ وَبَاءَ الْمَدِينَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ.
فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنَّ
امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةٍ - وَهِيَ
الْجُحْفَةُ - فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا»^(٩).

(١) عَقِيرَتُهُ أَيُّ: صَوْتُهُ.

(٢) الإذخر - يَكْسُرُ الْهَمْزَةَ وَالْخَاءَ - حَشِيشٌ طَيِّبُ الرَّيْحِ.

(٣) الْجَلِيلُ: نَبْتُ يَكُونُ بِمَكَّةَ طَيِّبُ الرَّيْحِ.

(٤) مَجَنَّةٌ: مَوْضِعٌ.

(٥) شَامَةٌ وَطَفِيلٌ: جَبَلَانِ.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٨٩).

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٨).

(٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٨).

(٩) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٨).

يَا شَوْقَ طَيْبَةٍ وَالْبُشْرَى تُظَلِّلُهَا
بَذْرُ بَدَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ^(١) لَهَا
كَأَنَّ تُرْبَتَهَا تَبْرًا^(٢) قَدْ انْقَلَبَتْ
مَا مِثْلُ مَا ارْتَقَبْتُ فِي الدَّهْرِ مُرْتَقَبُ
إِلَّا لَهُ لَا يَلِيقُ الشَّوْقُ وَالطَّرْبُ
كَأَنَّمَا فِي ثَرَاهَا أَمَسَتْ الشُّهُبُ^(٣)



(١) الثَّنِيَّة: الطَّرِيقُ الْمُنْعَطِفُ عِنْدَ الْجَبَلِ، وَثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ: هِيَ جِهَةُ الْمُسَافِرِ إِلَى تَبُوكَ، أَوِ الْقَادِمِ مِنْ تَبُوكَ.

(٢) التَّبْر - بِالْكَسْرِ - الدَّهَبُ.

(٣) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ» (٨٤).

طَابَتِ الْمَدِينَةُ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَوْلَا انْتِقَالُ مُحَمَّدٍ عَنْ قَوْمِهِ مَا شَارَكْتُ فِي الْفَخْرِ مَكَّةَ يَثْرُبُ^(١)
هَا هِيَ الْمَدِينَةُ قَدْ طَابَتْ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمَّاها اللَّهُ ﷻ طَابَةً.
عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ
ﷻ سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةً»^(٢).

وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِصَّةِ حَدِيثِ
الْجَسَّاسَةِ، وَفِي آخِرِهِ: قَالَ - أَيْ الدَّجَالُ - : «وَأِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا
الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرَجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ،
فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبِيبَةٍ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ
كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا، اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ
بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّتَا^(٣)، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا.
قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمَنْبَرِ - : «هَذِهِ طَبِيبَةٌ، هَذِهِ
طَبِيبَةٌ، هَذِهِ طَبِيبَةٌ»^(٤).

إِذَا لَمْ أَطِبْ فِي طَبِيبَةٍ عِنْدَ طَبِيبٍ بِهِ طَبِيبَةٌ طَابَتْ فَأَيْنَ أَطِيبُ

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ حَيُّوسٍ» (١٤٩).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٨٥).

(٣) صَلَّتَا أَيُّ: مَسْلُوًّا.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

وَمِنْ جَمِيلٍ مَا قِيلَ عَلَى لِسَانِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ:

أَنَا الْجَمِيلَةُ، مَنْ فِي الْحُسْنِ يَقْرُبُنِي وَأَشْرَفُ الْخَلْقِ وَسَطَ الْقَلْبِ قَدْ نَزَلَا؟!
لَهُ بِأَرْضِي أَفْنَانٌ مُبَارَكَةٌ وَمِنْ زُلَالٍ يَنَابِيعِي قَدْ انْتَهَلَا
يَضُوعٌ وَجْهِي حُسْنًا لَا حُدُودَ لَهُ وَحَسْبُ وَجْهِي أَضْحَى لِلْسَّنَا حُلَلَا

بِنَاءُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ:

فَبُورِكَ مِنْ سَفْحٍ، وَبُورِكَ مَسْجِدٌ يُلُودُ بِهِ أَغْرَابُهَا وَحُضُورُهَا^(١)
قَالَ عُرْوَةُ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ: ... ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ
يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ، حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي
فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مَرْبَدًا^(٢) لَلتَّمْرِ لِسَهْلٍ وَسَهْلٍ، غُلَامِينَ
يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتَهُ:
«هَذَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْمَنْزِلُ».

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلَامَيْنِ، فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبَدِ؛ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا،
فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً،
حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ
فِي بُيَانِهِ، وَيَقُولُ - وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبَنَ -:

هَذَا الْجِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرَ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ^(٣)

(١) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٧/٢٦٩).

(٢) الْمَرْبَدُ - بِالْكَسْرِ - الْمَوْضِعُ الَّذِي يُجَفَّفُ فِيهِ التَّمَرُ.

(٣) أَي: هَذَا الْمَحْمُولُ مِنَ اللَّبَنِ أَبْرُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَدْوَمُ نَفْعًا، وَأَشَدُّ طَهَارَةً مِمَّا يُحْمَلُ مِنْ خَيْرِ مِنَ التَّمْرِ
وَالزَّبِيبِ.

وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ^(١)
وَعِنْدَ أَنَسٍ -بِلَفْظٍ آخَرَ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى
مَلَائِكَةِ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي^(٢) بِحَائِطِكُمْ هَذَا».
قَالُوا: لَا، وَاللَّهِ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ.

قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: كَانَتْ فِيهِ نَخْلٌ، وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَخَرْبٌ^(٣)،
فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، وَبِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُشِثَتْ، وَبِالْخَرْبِ
فَسُوِّيتْ، قَالَ: فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ^(٤) حِجَارَةً.
قَالَ: قَالَ: جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ^(٥)، وَرَسُولُ اللَّهِ
ﷺ مَعَهُمْ يَقُولُونَ:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَانْصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ^(٦)
صِفَةُ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ:

وَهَذَا أَزْكَى مَسْجِدٍ أَزْكَى الْبَرِيَّةِ قَدْ مَشَى لَهُ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٦٠).

(٢) ثَامِنُونِي أَيُّ: قَرَّرُوا مَعِيَ ثَمَنَهُ، وَيَعُونِيهِ بِالثَّمَنِ.

(٣) خَرْبٌ: مَا تَخَرَّبَ مِنَ الْبِنَاءِ.

(٤) الْعِضَادَةُ -بِالْكَسْرِ- جَانِبُ الْبَابِ.

(٥) يَرْتَجِزُونَ: يُنْشِدُونَ الْأَرَاغِيزَ تَنْشِيْطًا لِنُفُوسِهِمْ؛ لَيْسَهْلَ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧١٧)، وَمُسْلِمٌ (٥٢٤).

عَلَيْهِ السَّلَامُ مَبْنِيًّا بِاللَّبْنِ وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ وَعُمْدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ.

فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ وَبَنَاهُ عَلَى بَنِيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاللَّبْنِ وَالْجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمْدَهُ خَشَبًا ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً
وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ^(١) وَجَعَلَ عُمْدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ
وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ^{(٢)(٣)}.



(١) السَّاجُ: نَوْعٌ مِنَ الْخَشَبِ يُؤْتَى بِهِ مِنَ الْهِنْدِ.

وَفَعَلَ عُثْمَانُ ﷺ لَا يَقْتَضِي الزَّخْرَفَةَ إِنَّمَا هُوَ قَامَ بِتَحْسِينِ الْمَسْجِدِ فَقَطْ، وَإِلَّا فَزَخْرَفَهُ الْمَسَاجِدُ
وَتَشْيِيدُهَا وَالتَّبَاهِي بِهَا قَدْ أَتَى النِّهْيُ عَنْهُ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ.
وَيَكْفِينَا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٤٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ»
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَتَزُخْرِفَنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٦).

(٣) الْعَرِصَةُ: أَيِ السَّاحَةِ، أَيِ أَقَامَ بِسَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ.

المُواخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

فَيَا عَيْنُ، قَرِّي بِالْمُنَى بَيْنَ أُخُوَّةٍ أَصَبْتُ بِهِمْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ذُخْرًا^(١)
لَقَدْ وَضَعْتَ الْفِتْرَةَ الْأُولَى مِنْ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلًّا مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَمَامَ مَسْئُولِيَّةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَكَانَتْ هَذِهِ
الْأُخُوَّةُ أَقْوَى فِي حَقِيقَتِهَا مِنْ أُخُوَّةِ الرَّحِمِ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ عَلَى مُسْتَوًى عَالٍ
مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ، فَوَاسُوا إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ، وَآثَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا.
لَقَدْ أَحْرَزَ الْأَنْصَارُ مَجْدًا مَوْثَلًا وَفَازُوا بِخُصْلِ السَّبْقِ وَالْمَنْزِلِ الْأَسْنَى
دَنُوا وَأَفَادُوا وَاسْتَفَادُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى حِفْظِ مَا يَبْقَى وَجَادُوا بِمَا يَفْنَى
وَمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ فِي وَصْفِ مَعْشَرٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ بِالْخَيْرِ قَدْ أَثْنَى^(٢)

قُطُوفٌ مِنَ الْمُواخَاةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
إِخْوَانِنَا النَّخِيلِ. قَالَ: لَا. فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمُئُونَةَ^(٣) وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ. قَالُوا:
«سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»^(٤).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَآخَى
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ -وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ-، فَقَالَ سَعْدُ:

(١) «دِيَوَانُ إِبْرَاهِيمَ الْيَازِجِيِّ» (٥٤).

(٢) «المقتفى من سيرة المصطفى» (٧١).

(٣) أَي: اكْفُونَا تَعَبَ الْقِيَامِ بِتَأْيِيرِ النَّخْلِ، وَسُقْيِهَا، وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صَلَاحُهَا.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٨٢).

قَدْ عَلِمَتِ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطْلِقَهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجَتْهَا.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ. فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ^(١) شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ^(٢)، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ^(٣) مِنْ صُفْرَةٍ^(٤). فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهَيْمٌ؟»^(٥)، قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «مَا سُقْتَ فِيهَا؟» قَالَ: وَزَنَ نَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ - فَقَالَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٦).

أَخَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَ مَعَاشِرٍ يَتَنَاحَرُونَ تَنَاحَرَ الْأَخْيَافِ
لَأَنْتَ قَنَاتُهُمْ لِدَعْوَتِهِ وَمَا لَأَنْتَ قَنَاتُهُمْ لِغَمَزِ ثِقَافِ
وَلَقَدْ يَرُوضُ الْأَسَدَ رَائِضَهَا وَلَا يَتَغَيَّرُ الطَّبْعُ الْغَلِيظُ الْجَافِي
هَذَا هُوَ الْإِعْجَازُ لَا بَحْرٌ وَلَا بَدْرٌ قَدْ انْشَقَّ إِلَى أَنْصَافِ
أَيِّ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ أَتَى بِهَا فَإِذَا الْقُلُوبُ تَلِينُ بَعْدَ جَفَافِ^(٧)
وَلَمْ يَكُنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مُنْفَرِدًا فِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، بَلْ كَانَ هَذَا
شَأْنًا عَامَّةَ الصَّحَابَةِ، حَتَّى وَصَلَتْ الْمُوَاخَاةُ إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ يَتَوَارَثَ الْمُتَأَخِيَانِ،

(١) أَفْضَلَ أَيُّ: رَبِحَ.

(٢) الْأَقِطُ: اللَّبَنُ الْمُحْمَضُ يُجَمَّدُ حَتَّى يَسْتَحْجِرَ، وَيُطْبَخُ أَوْ يُطْبَخُ بِهِ.

(٣) وَضْرٌ أَيُّ: لَطُخٌ.

(٤) أَيُّ صُفْرَةٍ خُلُوقٍ، وَالْخُلُوقُ: طَيِّبٌ يُصْنَعُ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَغَيْرِهِ.

(٥) مَهَيْمٌ: كَلِمَةٌ اسْتَفْهَامٌ مُبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ، مَعْنَاهَا: مَا هَذَا؟، وَهِيَ كَلِمَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ خَاصَّةً.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٨١) وَمُسْلِمٌ (١٤٢٧).

(٧) مَخْتَارَاتٍ مِنْ أَجْمَلِ الشَّعْرِ (٤٤).

ثُمَّ نُسَخَ هَذَا التَّوَارُثُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا نِصْفُهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَنِصْفُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، آخَى بَيْنَهُمْ عَلَى الْمَوَاسَاةِ، يَتَوَارَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ إِلَى حِينٍ وَقَعَةِ بَدْرٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]. رَدَّ التَّوَارُثُ إِلَى الرَّحِمِ دُونَ عَقْدِ الْأُخُوَّةِ»^(١).

فَأَصْبَحُوا فِي إِخَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ عَلَى الزَّمَانِ وَعِزٌّ غَيْرِ مُنْهَدِمٍ
فَاسْتَحْكَمَ الدِّينَ، وَاشْتَدَّتْ دَعَائِمُهُ حَتَّى غَدَا وَاضِحَ الْعَرِينِ^(٢) ذَا شَمَمٍ^(٣)
وَأَصْبَحَ النَّاسُ إِخْوَانًا، وَعَمَّهُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ أَحْيَاهُمْ مِنَ الْعَدَمِ^(٤)

دخول النبي ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

صَدِيقَةٌ وَابْنَةُ الصَّدِيقِ لَيْسَ لَهَا مِنْ مُشْبِهِ فِي الصَّبَايَا فِي مَزَايَاهَا
فَعِنَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا
الْمَدِينَةَ فَتَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بَنِي خَزْرَجٍ فَوَعِكَتُ فْتَمَرَّقَ شَعْرِي^(٥) فَوَفَى

(١) «نِعْمَةُ الْأُخُوَّةِ»، لِلْكَاتِبِ (٥).

(٢) الْعَرِينِ -بِالْكَسْرِ- الْأَنْفُ كُلُّهُ، أَوْ مَا صَلَبَ مِنْ عَظْمِهِ.

(٣) الشَّمَمُ -بِفَتْحَتَيْنِ- ارْتِفَاعُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ.

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِي» (١٢/٦٠٦).

(٥) فَوَفَى أَي: كَثُرَ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٧/٢٦٥: وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ تَقْدِيرُهُ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنَ الْوَعَكِ فْتَرَبَّى شَعْرِي فَكَثُرَ، وَقَوْلُهَا: (جَمِيمَةً) بِالْجِيمِ مُصَغَّرُ الْجُمَةِ بِالضَّمِّ وَهِيَ مُجْمَعُ شَعْرِ النَّاصِيَةِ، وَيُقَالُ لِلشَّعْرِ إِذَا سَقَطَ عَنِ الْمُنْكِبِينَ جُمَةً، وَإِذَا كَانَ إِلَى شَحْمَةِ الْأُذُنِ وَفَرَةً. اهـ

جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوحَةٍ وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَذْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهَجُ، حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكََةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ^(١) فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يُرْعِنِي^(٢) إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ^(٣).

أَتَى بِصُورَتِهَا جَبْرِيلُ بَاهِرَةً فِي قِطْعَةٍ مِنْ حَرِيرٍ طَابَ مَرَاها
حَلِيلَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُؤْمَنَةً زَكِيَّةً بِسُلَافِ الْوَحْيِ غَذَّاهَا

الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ:

أَفِطَمَعُ النَّوَامُ مِلءَ عُيُونِهِمْ أَنْ يُمْلِكُوا الدُّنْيَا بغيرِ جِهَادٍ؟!^(٤)
لَمَّا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْأَنْصَارِ، وَتَكَفَّلُوا بِنَصْرِهِ،
وَمَنْعِهِ مِنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ، رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَتَعَرَّضُوا لَهُمْ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

حِينَهَا أذنَ اللَّهُ ﷻ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْجِهَادِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ - وَهِيَ مَكِّيَّةٌ -
فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ [الْحَجُّ: ٣٩].

(١) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: (عَلَى خَيْرِ طَائِرٍ) أَيِ عَلَى خَيْرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ.

(٢) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: (فَلَمْ يُرْعِنِي) بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ أَيِ لَمْ يُفْرِغْنِي شَيْءٌ إِلَّا دَخُولَهُ عَلَيَّ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٩٤)، وَمُسْلِمٌ (١٤٢٢).

(٤) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٌ» (٨٣٧).

ثُمَّ لَمَّا صَارُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَصَارَتْ لَهُمْ شَوْكَةٌ وَعَضُدٌ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجِهَادَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾

[البقرة: ٢١٦]

وَلَمَّا نَزَلَ الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ، رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْسُطَ سَيْطَرَتَهُ عَلَى الطَّرِيقِ الرَّئِيسِ الَّذِي تَسْلُكُهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ الْبُعُوثَ وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ.

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

وَإِذَا رَأَيْتَكَ الشَّهْبُ مُزْمِعَ غَزْوَةٍ وَدَّتْ جَمِيعًا أَنَّهَا لَكَ جَحْفَلٌ^(١) كَانَتْ أَوَّلَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: «أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَبْوَاءَ، ثُمَّ بُوَاطُ، ثُمَّ الْعُشَيْرَةُ»^(٢).

وَيَذْكُرُ أَهْلُ السِّيَرِ: أَنَّ تِلْكَ الْغَزَوَاتِ الثَّلَاثَ كَانَتْ أَشْبَهَ بِالْدَّوْرِيَّاتِ الْاسْتِطْلَاعِيَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَرْبِ.

هَذَا وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الْجِهَادَ عَلَى رَسُولِهِ لِيُبَيِّتَ الدِّينَ فِي الْأُمَمِ فَكَانَ أَوَّلَ غَزْوٍ سَارَ فِيهِ إِلَى وَدَّانَ ثُمَّ أَتَى مِنْ غَيْرِ مُصْطَدِمٍ إِلَى بُوَاطٍ بِجَمْعِ سَاطِعِ الْقَتَمِ وَمِثْلَهَا يَمَمَتَ ذَاتَ الْعُشَيْرَةِ فِي جَيْشٍ لَهُامٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُلْتَطِمٍ^(٣)

(١) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/٢٢)، وَالْجَحْفَلُ: الْجَيْشُ الْكَبِيرُ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٤٩).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١٣/٦٠٦)، وَالْقَتَمُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الْغُبَارُ، وَجَيْشٌ لَهُامٍ: كَثِيرٌ يَلْتَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَغْتَمِرُ مَنْ دَخَلَ فِيهِ (أَي: يُغَيِّبُهُ وَيَسْتَفْرِقُهُ).

تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ:

وَحُوِّلَتْ قِبْلَةُ الْإِسْلَامِ وَقَتْنِدٍ عَنْ وَجْهِهِ الْقُدْسِ نَحْوَ الْبَيْتِ ذِي الْعِظَمِ^(١)
كَانَتْ الْقِبْلَةُ أَوَّلَ الْأَمْرِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ
يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ
عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ: أَخَوَالِهِ - مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا -، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قَبْلَ
الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ. فَخَرَجَ
رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ
بِاللَّهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَكَّةَ! فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ.
وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ.
فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قَبْلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ^(٢).

وَأَمَّا أَهْلُ قُبَاءٍ فَلَمْ يَعْلَمُوا بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَّا فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بَيْنَمَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ
أَتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةُ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبَلَ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعَرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (١٤/٦٠٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠).

الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة»^(١).
 مُسْتَقْبِلَ الكعبة العظمى له طربٌ حيثُ السُّتُورُ وتمجيدٌ وتطهيرٌ^(٢)



(١) رواه البخاري (١٨٩٢) ومسلم (١١٢٦).

(٢) «ديوان ابن نباتة المصري» (٧٣٣) والتطهير: إرخاء الستر.

غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى^(١)

هَلْ تَسَاءَلُوا الشَّرْقَ عَنْ بَدْرِ وَمَا صَنَعَتْ عَزَائِمُ الْجُنْدِ فِي الْهَيْجَا بَوَادِينَا؟! هِيَ الْوَاقِعَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي فَرَّقَ اللَّهُ فِيهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ، وَدَفَعَ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عَيْرًا^(٢) مُقْبِلَةً مِنَ الشَّامِ صُحْبَةَ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ، فِي ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَهِيَ عَيْرٌ عَظِيمَةٌ، تَحْمِلُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً لِقُرَيْشٍ، فَدَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسُ لِلْخُرُوجِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا بِالنَّهْوضِ، وَلَمْ يَحْتَفِلْ لَهَا احْتِفَالًا كَثِيرًا، إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، وَبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا، لِثَمَانٍ خَلُونِ مِنْ رَمَضَانَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَلَمَّا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ^(٣) رَدَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ الْخَيْلُ سِوَى فَرَسِ الزُّبَيْرِ، وَفَرَسِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ، وَمِنْ الْإِبِلِ سَبْعُونَ بَعِيرًا، يَعْتَقِبُ الرُّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ فَأَكْثَرُ عَلَى الْبَعِيرِ الْوَاحِدِ^(٤).

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرِ كُلُّ ثَلَاثَةِ عَلَى بَعِيرٍ: كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَي^(٥) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ عُقْبَةُ^(٦)

(١) بَدْرٌ تَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ بِنَحْوِ (١٦٠) كِيلُو مَتْرًا.

(٢) الْعَيْرُ - بِالْكَسْرِ - الْإِبِلُ تَحْمِلُ الْمِيرَةَ (أَي: الطَّعَامَ وَالذَّخِيرَةَ)، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى كُلِّ قَافِلَةٍ.

(٣) الرَّوْحَاءُ: قَرْيَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا ذَاتُ رَاحَةٍ.

(٤) «الْفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» (٨٩-٩٠).

(٥) الزَّمِيلُ: الصَّاحِبُ الَّذِي يَرْكَبُ مَعَكَ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ.

(٦) الْعُقْبَةُ - بِالضَّمِّ - النَّوْبَةُ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، - يَظَلُّ رَاكِبًا - فَقَالَ ﷺ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا»^(١).

أبو سفيان يرسل لقريش يطلب منها النضير:

وَأَمَّا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِنَّهُ بَلَغَهُ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَصْدَهُ إِيَّاهُ فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى مَكَّةَ مُسْتَضْرِحًا لِقُرَيْشٍ بِالنَّفِيرِ إِلَى عِيرِهِمْ؛ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَبَلَغَ الصَّرِيخُ أَهْلَ مَكَّةَ، فَهَضُّوا مُسْرِعِينَ وَأَوْعَبُوا فِي الْخُرُوجِ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ أَحَدٌ سِوَى أَبِي لَهَبٍ، فَإِنَّهُ عَوَّضَ عَنْهُ رَجُلًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَحَشَدُوا فِيمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ بَطُونِ قُرَيْشٍ إِلَّا بَنِي عَدِيٍّ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وَأَقْبَلُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، تُحَادُّهُ وَتُحَادُّ رَسُولَهُ»، وَجَاءُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، وَعَلَى حَمِيَّةٍ، وَغَضَبٍ، وَحَنَقٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، لِمَا يُرِيدُونَ مِنْ أَخْذِ عِيرِهِمْ، وَقَتْلِ مَنْ فِيهَا، وَقَدْ أَصَابُوا بِالْأَمْسِ عَمْرٍو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، وَالْعِيرَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ، فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤١١ و ٤١٨ و ٤٢٢ و ٤٢٤)، وَالْحَاكِمُ (٢٠-٣٠)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ

رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٢٥٧)، وَشَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (٨١٣).

أرسل أبو سفيان لقريش يطلب منها الرجوع؛

فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ وَخَفَضَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلِحَقَ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ نَجَا، وَأَحْرَزَ الْعِيرَ، كَتَبَ إِلَى قُرَيْشٍ: أَنْ ارْجِعُوا؛ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتُحْرِزُوا عَيْرَكُمْ، فَأَتَاهُمُ الْخَبَرُ وَهُمْ بِالْجُحْفَةِ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَقْدَمَ بَدْرًا، فَنُقِيمَ بِهَا، وَنُطْعِمَ مَنْ حَضَرَنَا مِنَ الْعَرَبِ، وَتَخَافَنَا الْعَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَشَارَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ عَلَيْهِمُ بِالرُّجُوعِ، فَعَصَوْهُ، فَارْجَعَ هُوَ وَبَنُو زُهْرَةَ، فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا زُهْرِيُّ، فَاعْتَبَطَتْ بَنُو زُهْرَةَ بَعْدُ بِرَأْيِ الْأَخْنَسِ؛ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مُطَاعًا مُعَظَّمًا^(١).

سير جيش المسلمين إلى بدر؛

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، قَالَ: فَلَمَّا بَلَغْنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بَيْتٌ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهَا فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ: رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَمَوْلَى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَاَنْفَلَتْ إِلَيْهَا، وَأَمَّا الْمَوْلَى فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمْ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بِأُسْهُمُ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرْبُوهُ حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «كَمْ الْقَوْمُ؟»، فَقَالَ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بِأُسْهُمُ، فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَنْ يُخْبِرَهُمْ كَمْ هُمْ، فَأَبَى، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ: «كَمْ يَنْحَرُونَ؟»، فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ، وَتَبَعَهَا».

ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَاَنْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ^(٢).

(١) «رَأَدُ الْمِعَادِ» (٣/ ١٥٤) بِاخْتِصَارٍ.

(٢) الْحَجَفُ: التُّرْسُ مِنَ الْجُلُودِ، وَاحِدَتُهَا: حَجَفَةٌ.

نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ ﷻ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةُ فَلَا تُعْبَدُ»، قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ جَمَعَ قُرَيْشٍ عِنْدَ هَذِهِ الصَّلَاةِ الْحَمْرَاءُ مِنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا أَنْ دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، نَادِ لِي حَمْزَةً وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ؟».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ يَكُ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، فَجَاءَ حَمْزَةُ، فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رِبِيعَةَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيمِينَ، لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ، اعْصِبُوهَا اللَّوْمَ بِرَأْسِي وَقُولُوا: جَبْنَ عُتْبَةُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبِنُكُمْ، فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا، وَاللَّهِ لَوْ غَيْرُكَ قَالَ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ^(١)، قَدْ مِلْتَ رِثْتَكَ وَجَوْفَكَ رُعْبًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ^(٢)، سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَنَّنَا أَجْبَنُ، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ، فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةً، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا تُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمَّنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

(١) لَأَعْضَضْتُهُ أَيُّ: لَقُلْتُ لَهُ: اعْضَضْ ذَكَرَكَ.

(٢) الْأَسْتُ: الْعَجْزُ وَالْمُؤَخَّرَةُ، وَمُصَفِّرَ اسْتِهِ: قِيلَ مِنَ الصَّفِيرِ أَيُّ: ضَرَّاطٌ نَسَبَهُ إِلَى الْجَبْنِ وَالنَّحْوَرِ، وَقِيلَ مِنَ الصُّفْرَةِ، يَعْنُونَ أَنَّهُ مَا بُونٌ يُرْغَرُ اسْتُهُ.

فَقَتَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرَحَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرْنَا سَبْعِينَ.

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا - وَاللَّهِ - مَا أَسْرَنِي، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ^(١)، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ^(٢)، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ. فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسْرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: «اسْكُتْ لَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ بِمَلِكٍ كَرِيمٍ».

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَسِرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسُ وَعَقِيلٌ وَتَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ^(٣).

«ثُمَّ حَمِيَ الْوُطَيْسُ، وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ، وَمُنَاشَدَةِ رَبِّهِ ﷻ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ الصَّدِيقُ، وَقَالَ: بَعْضُ مُنَاشَدَتِكَ رَبِّكَ؛ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ^(٤)».

يُشِيرُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ

(١) الْأَجْلَحُ: الَّذِي انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ جَانِبَيْ رَأْسِهِ.

(٢) الْأَبْلَقُ: الَّذِي بِهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ.

(٣) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢١/٣٠-٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦٦٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ) (٢٣٣١).

(٤) «زَادُ الْمَعَادِ» (٣/١٨٠-١٨١) بِإِخْتِصَارٍ.

تُعَبَّدُ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونُ الدُّبْرَ﴾ [القَمَر: ٤٥] ^(١).

مقتل عدو الله أبي جهل:

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ جُنْدَهُ، وَأَيَّدَ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْحَهُمُ أَكْتَفَ الْمُشْرِكِينَ أَسْرًا وَقَتْلًا، وَقَتَلَ زُعَمَاءَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، قَتَلَهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، وَهُمَا غُلَامَانِ لَا يَعْرِفَانِهِ، حَتَّى دَلَّهُمَا عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةً أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمَّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟.

قَالَ: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا.

قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَعَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرِيَانِ؟، هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَأَبْتَدَرَاهُ فَضْرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ.

فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٥٣).

مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ إِلَى السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ»، وَقَضَى بِسَلِيهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ: مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ^(١).

الزُبَيْرُ يَقْتُلُ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ:

مَطَاعِينٌ فِي الْهَيْجَا مَغَاوِيرُ فِي الْوَغَى وَفَائِقُهُمْ مَعْلُومَةٌ فِي الْمَلَا حِمٍ
عَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ^(٢)
لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكَرْشِ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرْشِ،
فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ^(٣) فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ^(٤).

فَمَا انصرفت حَتَّى أَفَاءت رماحهم لأعدائهم في الْحَرْبِ سَمًّا مَقْشَبًا
مَغَاوِير لَا تَنْمَى طَرِيدَةٌ خِيْلُهُمْ إِذْ أَوْهَنَ الذَّعْرُ الْجَبَانَ الْمَرْكَبَا
وقال آخر:

وَيَمَّمُ الْمُصْطَفَى بَدْرًا فَلَا حَ لَهْ
يَوْمٌ تَبَسَّمَ فِيهِ الدِّينُ وَإِنْ هَمَلْتُ
بَدْرٌ مِنَ النَّصْرِ جَلَّى ظُلْمَةَ الْوَحْمِ
عَلَى الضَّلَالِ عُيُونُ الشُّرُكِ بِالسَّجَمِ^(٥)^(٦)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٨٨)، وَمُسْلِمٌ (١٧٥٢).

(٢) مدجج: أي مغطى بالسلاح ولا يظهر منه شيء.

(٣) العنزّة: الحرْبَةُ الصَّغِيرَةُ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٩٨).

(٥) السَّجَمُ: مَاءُ السَّمَاءِ، عَلَى الِاسْتِعَارَةِ.

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرَا لِإِسْلَامِي» (١٣/٦٠٦).

مَقْتَلُ عَدُوِّ اللَّهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ:

فما أحسنت حق الوفاء مسرتي ولكن عساها أحسنت عندي العذرا
عن عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه قال: كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كِتَابًا بِأَن يَحْفَظَنِي
فِي صَاحِيَّتِهِ ^(١) بِالْمَدِينَةِ فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبِنِي بِاسْمِكَ
الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَاتَبْتُهُ عَبْدُ عَمْرٍو فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ
لِأَحْرَزِهِ حِينَ نَامَ النَّاسُ فَأَبْصَرُهُ بِلَالٍ فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ
فِي آثَارِنَا فَلَمَّا خَشِيتُ أَن يَلْحَقُونَا خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى
يَتَّبَعُونَا وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا فَلَمَّا أَذْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ فَبَرَكَ فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي
لَأَمْنَعَهُ فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ ^(٢).

حكاية قتلى المشركين:

لو ينطقون لقالوا كُلُّنَا جَيْفٌ فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ لَا يَرْجُونَ إِصْبَاحًا
أَمَرَ - رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ،
فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبَثٍ - وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ
بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ -، فَلَمَّا كَانَ يَبْدُرُ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا
رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى
قَامَ عَلَى شَفَى الرِّكِيِّ ^(٣) فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنُ

(١) الصاغية: بصادٍ مهملةٍ وَغَيْنٍ معجمةٍ خاصَّةُ الرَّجُلِ، مأخوذةٌ من صَاغَ إِلَيْهِ إِذَا مَالَ، قال الأصمعي:

صاغيةُ الرَّجُلِ كُلُّ مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْمَالِ. ٥١. «فتح الباري» ٤ / ٥٦١.

(٢) رواه البخاري (٢٣٠١).

(٣) أي: البئر.

فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيْسَرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَكَلَّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا رَوْحَ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا^(١).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْلَى رَسُولَهُ
بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ
ثَوَى مِنْهُمْ فِي بُرٍ بِدْرِ عَصَابَةٍ
فَأَضْحَوْا لَدَى دَارِ الْجَحِيمِ بِمَنْزِلِ
وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلِ
فَلَاقُوا هَوَانًا مِنْ إِسَارٍ وَمِنْ قَتْلِ
ذَوُو نَجْدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَحَلِ^(٢)
عَنِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ فِي أَشْغَلِ الشُّغْلِ^(٣)

قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نَلَاقِي مَعْشَرًا
وَقَدْ عُرِبَتْ بِيضُ خِفَافٍ كَانَهَا
فَأَمْسَوْا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا
لَأْمُرٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ
بَغَا وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
مَقَابِسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنِكَ شَاهِرُ
وَكُلُّ كُفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ
فَوَلَّوْا وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةُ اللَّهِ زَاجِرُ^(٤)



(١) رواه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤).

(٢) المَحَلُّ: الجَوْعُ الشَّدِيدُ وَشِدَّةُ الْقَحْطِ.

(٣) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١١/١٩٨).

(٤) «مجموعة القصائد الزهديات» (٢/٣٩٣).

قَتَالَ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ

كَتَابُ اللَّهِ تَرَعَاهَا مَلَائِكَةُ تَسِيرُ مَا بَيْنَ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ
وَمِنْ الثَّابِتِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَدَّ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَلَائِكَةِ
يَوْمَ بَدْرٍ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٣٣)
إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٣٤)
بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ (١٣٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٣٦) ﴿أَلْ عِمْرَانُ: ١٢٣-١٢٦﴾.

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ
الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ [الْأَنْفَالُ: ٩-١٠].

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ
بَنَانٍ (١٢)﴾ [الْأَنْفَالُ: ١٢].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا
كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ
وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ:
«اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ

الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»، فَمَارَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِداؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِداؤهَ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ مُنَجِّزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ﴿٩﴾ [الْأَنْفَالُ: ٩]. فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ .

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْرُومَ ^(١)، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَأَخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ . فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ» . فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ ^(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَفَقَ ^(٣) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَفَقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ ^(٤)، ثُمَّ انْتَبَهَ، فَقَالَ: «أَبْشُرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ، هَذَا جَبْرِيلُ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ ^(٥)، آخِذٌ بِعَنَانٍ فَرَسِهِ، يَقُودُهُ عَلَى ثَنَائِيهِ النَّقْعُ ^(٦)، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ وَعِدَّتُهُ» ^(٧).

(١) حَيْرُوم: اسْمُ فَرَسِ الْمَلِكِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٦٣).

(٣) خَفَقَ خَفَقَةً أَي: نَامَ نَوْمًا يَسِيرًا.

(٤) الْعَرِيش: خِيَمَةٌ تَتَّخِذُ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ.

(٥) الْأَعْتِجَارُ بِالْعِمَامَةِ: هُوَ أَنْ تَلْفَهَا عَلَى رَأْسِهِ، وَيُرَدَّ طَرَفُهَا عَلَى وَجْهِهِ، وَلَا يَعْمَلُ مِنْهَا شَيْئًا تَحْتَ ذَنْبِهِ.

(٦) النَّقْعُ: الْمَاءُ الْمُتَجَمِّعُ فِي الْعَدِيرِ.

(٧) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، انْظُرْ: «الْبِدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ» (٣/ ٢٨٤)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي =

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَبِئْرٍ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ
وَقَالَ أَحْمَدُ مُحَرَّمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَضَى الْبَاسُ بَدْرِي الْمَشَاهِدِ تَرْتَمِي
وَضَجَّ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُو إِلَهَهُ
تَنْزَلَ يُزْجِي النَّصْرَ تَسَابُ مِنْ عَلٍ
أَحْيُومُ أَقْدَمُ، إِنَّهُ الْجِدُّ لَنْ يَرَى
هُوَ اللَّهُ يَحْمِي دِينَهُ وَيُعِزُّهُ
تَمْزَقُ جَيْشُ الْكُفْرِ، وَأَنْحَلَّ عِقْدُهُ

أَعَاصِيرُهُ نَارًا، وَتَغْلِي مَرَاجِلُهُ^(٢)
فِيَالِكَ مِنْ جُنْدٍ طَوَى الْجَوَّ جَافِلُهُ^(٣)
شَايِبُهُ^(٤) نُورًا، وَيَنْهَلُ وَابِلُهُ^(٥)
سِوَاهُ عَدُوٍّ كَاذِبُ الْبَاسِ هَا زِلُهُ
فَمَنْ ذَا يُنَاوِيهِ؟ وَمَنْ ذَا يُصَاوِلُهُ؟
فَخَابَتْ أَمَانِيهِ، وَأَعْيَتْ وَسَائِلُهُ^(٦)

وَقَالَ آخَرُ:

يَا سَقَى اللَّهَ بِالْحِمَى أَهْلَ بَدْرٍ
هَلْ نَسِيمُ الصَّبَا عَلَى نَارِهِمْ مَرَّ

كَمْ بِهِ بَيْنَ حَيِّهِمْ مِنْ شَهِيدٍ
فَفِيهِ أَشْمُ أَنْفَاسِ عُودٍ^(٧)

= حَاشِيَةُ «فِقْهُ السِّيَرَةِ» (٢٤٣).

(١) «الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشَّعْرِ» (١٤٤ / ٢).

(٢) الْمَرَاجِلُ: جَمْعُ مِرْجَلٍ - بِالْكَسْرِ - هُوَ الْقِدْرُ الْكَبِيرَةُ مِنَ النُّحَاسِ.

(٣) الْجَافِلُ: الْكَثِيرُ السَّرِيعُ.

(٤) الشَّايِبُ: جَمْعُ شُؤْبٍ، وَهُوَ الدُّفْعَةُ الشَّدِيدَةُ مِنَ الْمَطَرِ.

(٥) الْوَابِلُ: أَقْوَى الْمَطَرِ وَأَضْحَمُهُ قَطْرًا.

(٦) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٍ» (١٠٢٥).

(٧) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٧٢ / ٩١).

عَدَدُ الْقَتْلَى وَالْأَسْرَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ:
فَافْخَرُ بِمَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ إِنَّهُ فَخْرٌ سَيَقَى فِي الزَّمَانِ مُسْطَرًّا
عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا^(١).

أَسَارَى بَدْرٍ:

وَسَادُوا أَسَارَى كُلِّ خَلْقٍ مُدَمَّمٍ وَفَازَ شَجَاعٌ بِالْغَنَائِمِ دَارِعُ
عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟» فَقَالَا أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو
الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى
اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»،
قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ
تُمْكِنَّا فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمْكِنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِنَنِي مِنْ
فُلَانٍ - نَسِيًّا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جِئْتُ
فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ
أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ
تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ
مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» شَجَرَةَ
قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَتْ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى

(١) رواه البخاري (٣٩٨٦).

يُثَخَبُ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩] فَاحْلَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ^(١).

فَفَدَى النَّبِيُّ ﷺ الْأَسَارَى بِمَالٍ.

وجاء في بعض الروايات أَنَّ قَدْرَ الْفِدْيَةِ كَانَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ^(٢).
وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا فَلْتَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا تَدْرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا^(٣).

وقال النَّبِيُّ ﷺ فِي أَسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنِ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»^{(٤)(٥)}.

فضائل مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْمَلَائِكَةِ:

فضائلُ لَا تَخْفَى عَلَى ذِي خَبْرَةٍ وَهَلْ لَضِيَاءِ الصُّبْحِ عَنْ نَاضِرٍ خَفَا
عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فَيْكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» - أَوْ

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) «مجمع الزوائد» ٩٠ / ٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري (٤٠١٨).

(٤) رواه البخاري (٤٠٢٤).

(٥) قال النبي ﷺ ذلك وفاءً لِلْمُطْعَمِ؛ فَاَلْمُطْعَمُ كَانَ مِمَّنْ مَزَقُوا صَحِيفَةَ قُرَيْشِ الْجَائِرَةِ وَأَخْرَجُوا النَّبِيَّ ﷺ مِنْ شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَيْضًا هُوَ الَّذِي أَدْخَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَكَّةَ فِي جَوَارِهِ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ.

كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَمَّا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُذَرِّكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢).

وَجَاءَ عَبْدٌ لِحَاطِبٍ يَشْكُو حَاطِبًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةُ»^(٣).

وَأُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ حَارِثُهُ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنَزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ أَوْهَبِلْتَ أَوْ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ»^(٤).

هاجرت زينب رضي الله عنها

عَفِيفَةُ النَّفْسِ إِلَّا عَنْ تَزِيدِهَا مِنْ الْفَضَائِلِ مَاكَ الْجَدِيدَانِ
بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ بِشَهْرِ هَاجَرَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَاءِ

(١) رواه البخاري (٣٩٩٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٨٣)، مسلم (٢٤٩٤).

(٣) رواه مسلم (٢٤٩٥).

(٤) رواه البخاري (٣٩٨٢).

أبي العاصِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا»، قَالُوا: نَعَمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ عَلَيْهِ، أَوْ وَعَدَهُ، أَنْ يُخْلِيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ^(١).

وفيهما يقول أبو العاص لما كان بالشام تاجراً:

ذَكَرْتُ زَيْنَبَ لَمَّا يَمَمْتُ أَضْمًا فَقُلْتُ سُقِيََا لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الْحَرَمَا
بِنْتُ الْأَمِينِ جَزَاهَا اللَّهُ صَالِحَةً وَكُلُّ بَعْلٍ سَيِّئِي بِالَّذِي عَلِمَا

زواج النبي ﷺ من حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

خلاصة العطر تزهى من تحتها خلاصة الطهر والآداب والخفر
تزوج النبي ﷺ حفصة بنتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ
الثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ، بَعْدَ أَنْ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا مِنْ زَوْجِهَا خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ تُوفِّيَ عَنْهَا بَعْدَ بَدْرٍ.

عن عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ
بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٣ / ٣٨١)، وأبو داود رقم (٢٦٩٢) قال الألباني في صحيح أبي داود ٥١٢ / ٢ رقم (٢٣٤١): «حسن».

وقد أثنى النبي ﷺ على مصاهرة أبي العاص، فقد أخرج البخاري (٣١٢٩) من حديث المِسْوَرِ (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ صَهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مَصَاهِرِهِ فَأَحْسَنَ، قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي»، رواه البخاري، قال الحافظ في الفتح (٨٥ / ٧): «وقد أسر أبو العاص بدير مع المشركين وفدته زينب فشرط عليه النبي ﷺ أَنْ يُرْسِلَهَا إِلَيْهِ فَوَفَى لَهُ بِذَلِكَ، فهذا معنى قوله في آخر الحديث (وَعَدَنِي فَوَفَى لِي).

فَتَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيْالِي، ثُمَّ لَقَيْتَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقَيْتَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقَيْتَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَتْهَا^(١).

تَزَوُّجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتِ خَزِيمَةَ أُمِّ الْمَسَاكِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 وكريمة الأنساب طاهرة الذرى سكنت من العلياء أسمى منزل
 كانت زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحت عبد الله بن جحش، وقيل: كانت
 تحت الطفيل بن الحارث، ثم خلفَ عليها أخوه عبيدة بن الحارث، فَقُتِلَ
 عنها ببدر، فخطبها رسول الله ﷺ، وتزوجها في رمضان سنة ثلاث، ثم لم
 تلبث إلا شهرين أو ثلاثة، وماتت وقيل: ثمانية أشهر.

وكانت تُسَمَّى أُمَّ الْمَسَاكِينِ؛ لأنها كانت تُطْعِمُهُمْ، وَتَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ^(٢).

(١) رواه البخاري (٥١٢٢).

(٢) «الإصابة» (٢٥٢/٢).

زواج علي بن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنها :

أَفَاطِمُ قَدْ أَبْلَيْتِ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ وَمَرْضَاةِ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمِ
تَزَوَّجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ فَاطِمَةَ رضي الله عنها فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ،
وَبَنَى بِهَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، فِي شَهْرِ شَوَّالٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ^(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما فَاطِمَةَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهَا صَغِيرَةٌ فَخَطَبَهَا عَلِيُّ فزَوَّجَهَا مِنْهُ^(٢).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: تَزَوَّجْتُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ
بِي، (أُرِيدُ أَنْ أَدْخُلَ بِفَاطِمَةَ) قَالَ: أَعْطَاهَا شَيْئًا، قُلْتُ: مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: فَأَيْنَ
دِرْعُكَ الْخُطْمِيَّةُ؟ (قِيمَتُهُ أَرْبَعُمِائَةِ دِرْهَمٍ) قُلْتُ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ^(٣).

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ
يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِي
بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَاغًا، مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعٍ، أَنْ يَزْتَحِلَ
مَعِي، فَنَاتِي بِإِذْخِرٍ، أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي^(٤).

وَكَانَ عُمَرُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها يَوْمَ بَنَى بِهَا عَلِيُّ رضي الله عنها ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَعُمَرُ
عَلِيٍّ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

(١) (الطبقات الكبرى؛ لابن سعد ١٨/٨).

(٢) أخرجهُ النَّسَائِيُّ (٦٢/٦) وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ النَّسَائِيِّ» (١٤١٢) وَالْوَادِعِيُّ فِي
«الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (١٤٨).

(٣) أخرجهُ النَّسَائِيُّ ١٢٩/٦، وَفِي «الْكَبَرَى» ٥٥٤١ وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»
(٢١١٧) وَالْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (٦٨٨).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٩١)، وَمُسْلِمٌ (١٩٧٩).

وَوَلَدَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِابْنِ عَمِّهَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الذَّكَورِ:
الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ وَمُحْسِنَ وَمِنْ الْإِنَاثِ أُمَّ كُلثُومَ وَزَيْنَبَ.

ما جاء في فضل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

فضائلُ أعلاها أبوها فلم يدعْ لذي شرفٍ فيها وإن عز مدخلا
عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً،
فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِيءُ مَشْيُهَا مِنْ مَشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا
رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا وَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ عَنْ شِمَالِهِ -،
ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بِكَاءٍ شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ. فَقُلْتُ
لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِي
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ
عَلَيْكَ بِمَا لِي لَكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ:
أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ: أَمَا حِينَمَا سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِيِّ فَأَخْبَرَنِي «أَنْ جَبْرِيلَ كَانَ
يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي
لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نَعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ».
فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ،
أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» قَالَتْ:
فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتَ^(١). وَفِي أُخْرَى: «أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ
نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنْتِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَوْقًا بِي». فَضَحِكْتُ^(٢) وَتُوفِّيَتْ بَعْدَ أَبِيهَا

(١) رواه البخاري (٣٦٢٣، ٢٦٢٤) ومسلم (٩٨/٢٤٥٠)، واللفظ له.

(٢) البخاري (٣٦٢٤).

بنحو ستة أشهر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

توفيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليلة الثلاثاء، ثلاث خَلَوْنَ من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها؛^(١) وكان موتها بعد أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بستة أشهر على الصحيح.

فَقَضَلُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ كَمْ صَدَحَتْ فِيهِ بِأَمْتَعِ الْأَفَاظِ وَأَوْفَاهَا عَفَافُهَا سَمْتُهَا مَا قَالَ وَالِدُهَا عَنْهَا شَمَائِلُهَا الْكُبْرَى وَتَقَوَاهَا^(٢)



(١) الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٢٣/٨).

(٢) انظر: حبيبات المصطفى للكاتب (١٢٢).

قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ

عَلَيْكَ حَزْمٌ وَأَمْرٌ نَافِذٌ وَعَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ تَسْلِيمٌ وَإِذْعَانٌ^(١)
 كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيُّ أَبُوهُ عَرَبِيٌّ مِنْ طَيِّيءٍ، وَأُمُّهُ عَقِيلَةٌ بِنْتُ أَبِي
 الْحَقِيقِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، الَّذِينَ حَالَفَهُمُ الْأَبُ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ، وَكَانَ كَعْبٌ
 شَاعِرًا، يُنَاصِبُ الْإِسْلَامَ الْعِدَاءَ^(٢)، وَقَدْ غَاظَهُ انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ بِبَدْرٍ، وَسَاءَهُ
 الْأَمْرُ، فَزَارَ مَكَّةَ، وَكَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ^(٣).

فَعَنْ عَمْرٍو، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ
 لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَقَامَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَأَذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ: قُلْ. فَأَتَاهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ
 هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ:
 وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلَنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ
 شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا. قَالَ: نَعَمْ. ارْهَنُونِي. قُلْتُ: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ. فَقَالُوا: كَيْفَ نَرَهْنُكَ نِسَاءَنَا؟ وَأَنْتَ أَجْمَلُ
 الْعَرَبِ. قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟ قَالُوا: كَيْفَ نَرَهْنُكَ أَبْنَاءَنَا؟ فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ،
 فَيَقَالُ: رَهْنٌ بَوْسُقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ. هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرَهْنُكَ اللَّأَمَةَ - قَالَ:

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ سَهْلٍ الْأَنْدَلُسِيِّ» (١٤٩).

(٢) انْظُرْ: «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٥٦٤)، وَ«فَتْحُ الْبَارِيِّ» (٧/ ٣٣٧).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠٠٠)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» (٣/ ١٩٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ

رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٥٩٣).

سُفْيَانُ: يَعْنِي السَّلَاحَ - فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ لَيْلًا، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ - وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ - فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَتَزَلَّ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو. قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بَلِيلٍ لَأَجَابَ. قَالَ: وَيَدْخُلُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ -.

قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٍو؟ قَالَ: سَمَّى بَعْضُهُمْ. قَالَ عَمْرٍو: جَاءَ مَعَهُ بَرَجْلَيْنِ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ - قَالَ عَمْرٍو: جَاءَ مَعَهُ بَرَجْلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشْمُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ.

وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أَشْمَكُمْ. فَتَزَلَّ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُخُ مِنْهُ رِيحَ الطَّيِّبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا. أَيُّ أَطْيَبَ. وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ عَمْرٍو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشْمَ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشْمَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ، قَالَ دُونَكُمْ. فَفَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ^(١).

سَهْمُ الْفُؤَادِ ذِكَاؤُهُ مَا مِثْلُهُ عِنْدَ الْعَزِيمَةِ فِي الْأَنَامِ ذِكَاؤُهُ^(٢) وَقَالَ آخَرُ:

لَمَّا تَمَرَدْتَ أَتَاكَ خَمْسَةٌ أَسْيَافُهُمْ غَيْرُ الطَّلَا لَمْ تَعْرِفْ
خَلُوكَ إِذْ عَرَّجْتَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى حَلَفَ الرَّدَى يَا كَعْبُ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠١).

(٢) «الْأَذْكِيَاءُ» (١٢).

إِجْلَاءُ بَنِي قَيْنَقَاعَ

وَلَفَّ بِالْجَيْشِ حَيِّي قَيْنَقَاعَ بِمَا جَنَوا فَتَعَسَّ لَهُمْ مِنْ مَعَشِرٍ قَزَمَ^(١)
نَقَضَ بَنُو قَيْنَقَاعَ - أَحَدُ طَوَائِفِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ - الْعَهْدَ، وَكَانُوا تُجَارًا
وَصَاغَةً، وَكَانُوا نَحْوَ السَّبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحِصَارِهِمْ،
وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ بِشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْدَرِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ﷺ.

فَشَفَعَ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ،
وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، فَشَفَعَهُ فِيهِمْ بَعْدَمَا أَلَحَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانُوا فِي
طَرَفِ الْمَدِينَةِ^(٢).

فَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجَلَى
بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ،
وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ
ﷺ فَأَمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجَلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنَقَاعَ، وَهُمْ رَهْطُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ^(٣).

(١) «مَوْسُوْعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (٦٠٦/١٤).

(٢) «الْفُصُولُ» (١١١).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٢٨)، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٦).

رُدُّوا بني قينقاع الأمر الذي نزل
 نقضتم العهد معقوداً على دخل
 ما زال شيطانكم بالغيظ يقدحه
 هيهات هيهات أمس خطبكم جلا
 لعاهد ما نوى غشاً ولا دخلا
 بين الجوانح حتى شب واشتعل^(١)



(١) «دِيَوَانُ مَجْدِ الْإِسْلَامِ» لِأَحْمَدَ مُحَرَّرٍ (٨٢).

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ

ثُمَّ اشْرَأَبْتُ لِحَفْرِ الْعَهْدِ مِنْ سَفِهِ بَنُو النَّضِيرِ؛ فَأَجْلَاهُمْ عَنْ الْأُطَمِ^(١)
سَبَبُ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ هُوَ مُحَاوَلَتُهُمْ قَتْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ غَزْوَةِ
بَدْرِ الْكُبْرَى.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
ﷺ قَالَ: كَتَبْتُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرِ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلَقَةِ^(٢)
وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ: وَهِيَ الْخَلَاحِيلُ، فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ اجْتَمَعَتْ
بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِكَ، وَلِيُخْرِجَ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمَنْصَفِ، فَيَسْمَعُوا
مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوا وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ، فَقَصَّ خَبَرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ
لَهُمْ: «إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونَنِي عَلَيْهِ»، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطَوْهُ
عَهْدًا، فَقَاتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ،
وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَغَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ
بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرَا الْإِسْلَامِيَّة» (١٥/٦٠٦)، وَاشْرَأَبْتُ: رَفَعْتُ رَأْسَهَا. وَالْحَفْرِ: نَقْضُ الْعَهْدِ.

(٢) الْحَلَقَةُ: -بِاسْكَنِ اللَّامِ - الدَّرَجُ؛ لِأَنَّهَا حَلَقٌ مُسَلَّسَةٌ.

أَقَلَّتْ^(١) الْإِبِلُ مِنْ أَمْتَعَتِهِمْ وَأَبْوَابُ بُيُوتِهِمْ وَحَشَبُهَا.

فَكَانَ نَخْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا فَقَالَ ﷺ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الْحَشْرُ: ٦]، يَقُولُ: بَغَيْرِ قِتَالٍ^(٢).

رويد يهود هل لها في حصونها من البأس إلا ما تظن السلاحفُ
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا ولن يثبت البنيانُ واللهُ ناسفُ
سيلقون بؤساً بعد أمنٍ ونعمةٍ فلا العيشُ فياحُ ولا الظلُّ وارفُ^(٣)



(١) أَقَلَّتْ: حَمَلَتْ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠٠٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٥٩٥).

(٣) «دِيَوَانُ مَجْدِ الْإِسْلَامِ» لِأَحْمَدَ مُحَرَّم (٥٥).

غَزْوَةُ أَحَدٍ

جِهَادُهُ لَه فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ وَالْعِلَا مَوَاقِفُ تَبْقَى وَاضِحَاتِ الْمَعَالِمِ ^(١)

١ - سَبَبُ التَّسْمِيَةِ:

سُمِّيَتْ غَزْوَةُ أَحَدٍ بِاسْمِ الْجَبَلِ الَّذِي وَقَعَتْ عِنْدَهُ، وَيَقَعُ شَمَالُ الْمَدِينَةِ، وَيَبْعُدُ عَنِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَمْسَةَ أَكْيَالٍ وَنِصْفِ الْكَيْلِ ^(٢)، وَيُقَابِلُهُ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ جَبَلٌ صَغِيرٌ يُسَمَّى: «عَيْنِينَ»، وَهُوَ الَّذِي عُرِفَ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ بِجَبَلِ الرُّمَاءِ، وَبَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَادٍ، عُرِفَ بِوَادِي قَنَاءِ.

٢ - سَبَبُهَا:

أَمَّا سَبَبُ غَزْوَةِ أَحَدٍ هُوَ مَا أَصِيبَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي عُظُمَائِهَا وَأَئِمَّةِ الْكُفْرِ فِيهَا، يَوْمَ بَدْرٍ، فَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقُلُوبُهُمْ تَغْلِي حَقْدًا وَحَنَقًا وَغَيْظًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَعَبَّاتٌ قُوَّتُهَا، وَاسْتَعَانَتْ بِحُلَفَائِهَا، وَخَرَجَتْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، وَوَافَتْ مَشَارِفَ الْمَدِينَةِ بَعْدَ سَنَةٍ وَشَهْرٍ تَقْرِيبًا مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، فِي مُتَنَصِفِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ عَلَى الصَّحِيحِ.

٣ - رَأْيُ النَّبِيِّ ﷺ رُؤْيَا مَنَامِيَّةً قَبْلَ عِلْمِهِ بِقُدُومِ الْمُشْرِكِينَ:

وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رُؤْيَا مَنَامِيَّةً قَبْلَ عِلْمِهِ بِقُدُومِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَصَّهَا عَلَى أَصْحَابِهِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فَقَالَ ﷺ: «رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٍ» (١٩٧).

(٢) الْكَيْلُ: مُصْطَلَحٌ أَطْلَقَهُ الْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ بِدِمَشْقَ عَلَى الْكَيْلِ مِثْرًا.

فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزَتْهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْفَتْحِ واجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ» أي: هم المؤمنون الذين قَتَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ. وفي رواية: «وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ»^(١).

٤- الاستعداد لها:

لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُرُوجِ قُرَيْشٍ، خَرَجَ لِمُلَاقَاتِهِمْ فِي أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، انْسَحَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ثَلْثِ الْجَيْشِ، ثَلَاثِمِائَةً مُقَاتِلٍ، وَكَانَ انْسِحَابُهُمْ أَوَّلَ فَائِدَةٍ مِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَهُوَ تَمَيُّزُ الْمُنَافِقِينَ، وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّحِي الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَنَقِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٦-١٦٧].

٥- تَنْظِيمُ الْجَيْشِ:

وَشَهِدْتُ نُورَ اللَّهِ لَيْسَ بِأَفْلٍ وَالِدَيْنِ وَالْدُّنْيَا عَلَى تَرْتِيبٍ^(٢) تَقَدَّمَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ إِلَى مَيْدَانِ أُحُدٍ، وَاتَّخَذَ مَوَاقِعَهُ بِمُوجِبِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ، نَظَّمَ الرَّسُولُ ﷺ صُفُوفَ جَيْشِهِ، جَاعِلًا طُهْرَهُمْ إِلَى جَبَلِ أُحُدٍ، وَوُجُوهَهُمْ تَسْتَقْبِلُ الْمَدِينَةَ، وَجَعَلَ خَمْسِينَ مِنَ الرُّمَةِ بِقِيَادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) رواه البخاري (٤٠٨١)، ومسلم (٢٢٧٢).

(٢) «دِيْوَانُ لِسَانِ الدِّينِ الْخَطِيبِ» (٦٩).

جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوْقَ جَبَلٍ عَيْنَيْنِ الْمُقَابِلِ لِأَحَدٍ؛ لِحِمَايَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التِّفَافِ خِيَالَةِ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِ بِلِزُومِ أَمَاكِنِهِمْ بِقَوْلِهِ - كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إِنْ رَأَيْتُمُونَا نَحْطِفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ»^(١).

وَبِذَلِكَ سَيَّطَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْمُرتَفَعَاتِ، تَارِكِينَ الْوَادِي لِجَيْشِ قُرَيْشٍ الَّذِي تَقَدَّمَ وَهُوَ يُوَاجِهُهُ أَحَدًا، وَظَهَرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَاهَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، وَأَعْطَى اللِّوَاءَ مُضْعَبَ بْنِ عُمَيْرٍ، وَجَعَلَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ^(٢) : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْأُخْرَى الْمُنْدَرُ بْنُ عَمْرٍو.

٦- التَّقَاءُ الصَّفَيْنِ:

وَلَمَّا التَقَى الصَّفَّانِ فَرَّقَ بَيْنَنَا بَرِيقُ ضِرَابِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ السُّمْرِ^(٣) تَعَبَّاتُ قُرَيْشٍ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَعَلَى الْمَيْسِرَةِ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَالتَقَى الصَّفَّانِ، وَبَدَأَ الْقِتَالُ بِإِتِّصَارِ سَاحِقٍ لِلْمُسْلِمِينَ، لَوْلَا مُخَالَفَةُ الرُّمَاءِ، لَمْ تَقُمْ لِلْمُشْرِكِينَ قَائِمَةٌ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «كَانَتْ الدَّوْلَةُ أَوَّلَ النَّهَارِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّارِ، فَانْهَزَمُوا رَاجِعِينَ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى نِسَائِهِمْ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨١٧).

(٢) الْمُجَنَّبَتَيْنِ: جَنَاحَا الْجَيْشِ: الْمَيْمَنَةُ وَالْمَيْسِرَةُ، أَيِ: كَتَيْبَتَانِ مِنَ الْخَيْلِ أَخَذَتَا جَانِبِي الطَّرِيقِ.

(٣) «دِيْوَانُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ» (٦٩)، وَالْبَيْضُ: جَمْعُ بَيْضَةٍ، وَهِيَ الْخُوْدَةُ مِنَ الْحَدِيدِ تُجْعَلُ عَلَى الرَّأْسِ.

وَالْأَسَلُ - يَفْتَحَتَيْنِ - الرِّمَاحُ.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الرِّمَاءُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ قَالُوا: يَا قَوْمُ، الْغَنِيْمَةُ الْغَنِيْمَةُ، فَذَكَرَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ تَقْدِيْمُ^(١) رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَظَنُّوا أَنْ لَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ رَجْعَةٌ وَأَنَّهُمْ لَا تَقُومُ لَهُمْ قَائِمَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ، فَذَهَبُوا فِي طَلَبِ الْغَنِيْمَةِ^(٢).

٧- انْقِلَابُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ:

قَوْمٌ لَهُمْ فِي الْوَعَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ حُسْنُ ابْتِلَاءٍ، وَفِي الطَّاعَاتِ تَبَيُّلٌ^(٣) لَمَّا تَرَكَ الرِّمَاءُ مَوْقِعَهُمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ بِحِفْظِهِ حِينَ قَالَ لَهُمْ: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ»^(٤).

لَكِنَّهُمْ خَالَفُوا، فَوَجَدَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ تِلْكَ الثَّغْرَةَ قَدْ خَلَتْ مِنَ الرِّمَاءِ، فَجَاوَزُوهَا وَتَمَكَّنُوا، وَأَقْبَلَ آخِرُهُمْ، فَكَانَ مَا أَرَادَ اللَّهُ كَوْنَهُ، فَاسْتُشْهِدَ مَنْ أَكْرَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الصَّحَابَةِ، وَتَوَلَّى أَكْثَرَهُمْ.

وَخَلَصَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ فَجُرِحَ وَجْهُهُ الْكَرِيمُ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ الْيُمْنَى السُّفْلَى بِحَجَرٍ، حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ، وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفَرِ، فَأَخَذَ عَلَيَّ يَدَهُ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَنَشَبَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلْقِي

(١) تَقْدِيْمُ: يُرِيدُ بِهِ عَهْدُ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ بِعَدَمِ النُّزُولِ مَهْمَا كَانَتْ نَتِيْجَةُ الْحَرْبِ.

(٢) انْظُرْ: «الْفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُوْلِ» لَابْنِ كَثِيْرٍ (١٤٧).

(٣) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٦٤ / ٩).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨١٧).

الْمَغْفِرِ فِي وَجْهِهِ ﷺ، فَاَنْتَزَعَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ (١).
فِي كُلِّ بَلْوَى تُصِيبُ الْمَرْءَ عَافِيَةٌ إِلَّا الْبَلَاءُ الَّذِي يُدْنِي مِنَ النَّارِ
ذَاكَ الْبَلَاءُ الَّذِي مَا فِيهِ عَافِيَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا سِتْرٌ مِنَ الْعَارِ (٢)
٨- دَفَاعُ الصَّحَابَةِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ؛

يَسْتَعْرِضُونَ الْمَنَآيَا فِي كِتَابِهِمْ جَحَاجِجٌ مِنْ أَسْوَدِ اللَّهِ أَبْطَالُ (٣)
أَدْرَكَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَحَالَ دُونَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوُ
مِنْ عَشْرَةٍ، فَقَتَلُوا (٤)، ثُمَّ جَالَدَهُمْ طَلْحَةُ ﷺ حَتَّى أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ ﷺ (٥).

وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ يَوْمَئِذٍ رَمِيًّا مُسَدِّدًا مُنْكَئًا بَيْنَ يَدَيِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِزِمِ سَعْدُ، فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي» (٦).

وَوَقَى طَلْحَةُ ﷺ بِيَدِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَلَّتْ (٧)، وَأَنْهَزَمَ النَّاسُ
عَنْهُ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ (٨)، بِحَجْفَةٍ لَهُ (٩)، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا
رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجُعْبَةَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩١١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٠).

(٢) «الْأَمَالِي فِي لُغَةِ الْعَرَبِ» (٩٦/٢).

(٣) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٧/٤٧٠)، وَجَحَاجِجٌ: جَمْعُ جَحْجَاجٍ: وَهُوَ السَّيِّدُ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٩).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٣).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٤١٢).

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٣).

(٨) مُجَوِّبٌ: مُتَرَسِّسٌ.

(٩) الْحَجْفَةُ - بَفَتْحَتَيْنِ -: تَرْسٌ صَغِيرٌ يُطَارَقُ بَيْنَ جِلْدَيْنِ (أَي: يُجْعَلُ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ).

مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ. قَالَ: «وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ^(١)، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سَهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ»^(٢).

عبادُ ليلٍ إذا جنَّ الظلامُ بهم كم عابِدٍ دمعهُ في الخدِ أجراهُ
وأسدُّ غاب إذا نادى الجهادُ بهم هبَّوا إلى الموتِ يستجدون لقياهُ

٩- جبريل وميكائيل ينزلان للدفاع عن النبي ﷺ:

ميكائيلُ معكم وجبريلُ كلاهما مددٌ لنصرِكَ مِنْ عزيزٍ قادرٍ
لَمَّا حَدَّثَ هَذَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَكَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ -
تَعَالَى - بِعِصْمَتِهِ مِنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]
أَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُدَافِعَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَمْنَعَانِهِ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيضٌ، يَقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ
الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ - يَعْنِي جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٣).

١٠- دَوْرُ النِّسَاءِ فِي الْمَعْرَكَةِ:

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ ذَكَرْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمَّرَتَانِ

(١) لَا تَشْرَفْ أَي: لَا تَرْفَعْ رَأْسَكَ لِتَنْظُرَ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٤)، وَمُسْلِمٌ (١٨١١).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٨٢٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٠٦).

أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا^(١) تُنْقِزَانِ الْقِرْبَ^(٢) عَلَى مُتُونِهِمَا^(٣) تُفْرِغَانِي فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ^(٤).
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ أُمَّ سَلِيطٍ كَانَتْ تُزْفِرُ لَهُمْ^(٥) الْقِرْبَ
يَوْمَ أُحُدٍ^(٦).

١١- انْسِحَابُ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَنَّكَ فَيْضُ دُو سَجَالٍ غَزِيرَةٍ يَنَالُ الْأَعَادِي نَفْعَهَا وَالْأَقَارِبُ^(٧)
أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَمْرِ مَرِيحٍ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ -لَعْنَهُ اللَّهُ-: أَيُّ عِبَادِ
اللَّهِ، أَخْرَاكُمُ^(٨)، فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ، فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأَخْرَاهُمُ^(٩).

وَبَعْدَهَا بَدَأَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْإِنْسِحَابِ نَحْوَ شِعَابِ أُحُدٍ، وَلَحِقَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ،
حَتَّى صَعِدَ فِي أَحَدِ شِعَابِهِ، وَتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ صَدِّ الْمُشْرِكِينَ عَنْهُ ﷺ.
وَمَا ابْتَلَاهُمْ لِإِعْنَاتٍ وَلَا عَبَثٍ وَلَا لِجَهْلِ بِمَا يَطْوِيهِ إِبْطَانُ
لَكِنْ لِيُثَبَّتَ فِي الْأَعْنَاقِ حُجَّتُهُ وَيُحْسِنَ الْعَفْوُ، وَالرَّحْمَنُ رَحْمَانٌ^(١٠).

(١) خَدَمُ سُوقِهِمَا: أي الخلاخيل.

(٢) تُنْقِزَانِ: النَقْرُ: الوَثْبُ والقَفْزُ، كناية عن سرعة السير.

(٣) مَتْنُ الشَّيْءِ: أعلاه، يُقَالُ: مَتْنُ الْجَبَلِ أي أعلاه.

(٤) رواه البخاري (٤٠٦٤)، ومسلم (١٨١١).

(٥) تُزْفِرُ: أي تحمّل.

(٦) رواه البخاري (٤٠٧١).

(٧) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٣ / ١٥).

(٨) أَخْرَاكُمُ أَيُّ: اقْتُلُوا أَوْ انْصُرُوا أَخْرَاكُمُ.

(٩) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٥).

(١٠) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٢٩ / ٧٥)، وَالْإِعْنَاتُ: الْإِيقَاعُ فِي الْهَلَاكِ وَالْمَشَقَّةِ.

١٢- نَزُولُ النَّعَاسِ:

فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ النَّعَاسُ كَانَهُ هِلَالٌ سَرَتْ عَنْهُ الْعُيُومُ سَوَارِيًا^(١)
كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُغْتَمِينَ لِمَا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَمَّا أَصَابَهُمْ؛ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمُ النَّعَاسَ، فَنَامُوا يَسِيرًا، ثُمَّ أَفَاقُوا، وَقَدْ زَالَ عَنْهُمْ الْخَوْفُ،
وَأَمْتَلَأَتْ نَفُوسُهُمْ طُمَأْنِينَةً.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا
مِنْ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﷻ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٥٤].

وَالطَّائِفَةُ الَّتِي أَهَمَّتْهَا نَفْسُهَا هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّعَاسَ أَعَادَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْضَ طَاقَتِهِمْ، وَنَشَّطَهُمْ لِلدِّفَاعِ
عَنْ أَنْفُسِهِمْ خِلَالَ الانْسِحَابِ.

قَالَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَاهُ النَّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى سَقَطَ
سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخِذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخِذُهُ»^(٢).

أُولَئِكَ قَوْمٌ شَيَّدَ اللَّهُ فَخْرَهُمْ فَمَا فَوْقَهُمْ فَخْرٌ وَإِنْ عَظَّمَ الْفَخْرُ
أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ فَأَيَّدِيَهُمْ بِبَيْضٍ وَأَوَجَّهُهُمْ زُهْرًا^(٣)

١٣- فَشَلُّ الْمُشْرِكِينَ فِي حَسَمِ الْمَعْرَكَةِ:

وَيُسَرُّ حَسَمَتَ الْعُسْرِ عَنْهُمْ بِصُنْعِهِ كَمَا حَسَمَ الْإِسْلَامُ مَا صَنَعَ الْكُفْرُ^(٤)

(١) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٣٩ / ٨٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٨).

(٣) «أَمَالِي الْقَالِي» (١ / ٥٤).

(٤) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٠٣ / ٧).

فَشِلَ الْمُشْرِكُونَ فِي إِنْهَاءِ الْمَعْرَكَةِ بِنَصْرِ حَاسِمٍ، وَتَعَبُوا مِنْ طُولِهَا، وَمِنْ جَلَادَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَكَفُّوا عَنْ مُطَارَدَتِهِمْ فِي شِعَابِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّ أَبَا سُفْيَانَ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَخَاطَبَهُمْ فَقَالَ:

أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(١)، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءَ كُلَّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ.

قَالَ: يَوْمَ بِيَوْمٍ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سَجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَنِي فِي الْقَوْمِ مُثَلَّةً، لَمْ أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُونِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبْلُ، أُعْلُ هُبْلُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوا لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ»، قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَى وَلَا عُزَى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»^(٢).

فَكَانَ يَوْمًا عَتِيدَ الْبَأْسِ نَالَ بِهِ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ جَهْدًا وَارِيَ الْحَدَمَ أَوْدَى بِهِ حَمْزَةُ الصَّنْدِيدِ فِي نَفَرٍ نَالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ الْعَارِضِ الرَّزَمِ

(١) قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الفتح (٧/ ٣٥٢-٣٥٣): «وفي هذا الحديث من الفوائد منزلة أبي بكر وعمر من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وخصوصيتهما كأن أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما».

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٣٩).

أَحْسَنَ بِهَا مَيْتَةً أَحْيَا بِهَا شَرَفًا وَالْمَوْتُ فِي الْحَرْبِ فَخْرُ السَّادَةِ الْقُدَمِ^(١)

١٤- مَا أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَحَدٍ:

وُشِّجَ وَجْهُكَ ثُمَّ الْجِيْشُ فِي أَحَدٍ يَعُودُ مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمُنْهَزِمٍ
أُصِيبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحَدٍ أَشَدَّ مَا لَمْ يُصَبَّ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا كُلُّهَا
وَكَانَ يَقُولُ: «أَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بَنِيَّهِمْ»، وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَى
رَبَاعِيَّتِهِ وَيَقُولُ: «أَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْأَلُ عَنْ نَفْسِهِ الدَّمَ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا
بَنِيَّهِمْ وَكَسَرُوا رُبَاعِيَّتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ
الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]^(٣).

وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ الْعَنْ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ
الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ» فَتَزَلَّتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل
عمران: ١٢٨]. فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ^(٤).

١٥- فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ أَبِيهَا ﷺ.

أَخَذَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ أَبِيهَا ﷺ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً،
أَخَذَتْ قِطْعَةً خَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ^(٥).

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (١٤/٦٠٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٣)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٣).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٩١).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٠٠٤)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٠).

١٦- تَفَقَّدَ النَّبِيُّ ﷺ الشَّهَدَاءَ، وَدَفَنَهُمْ:

يا معشر الشهداء طبتم ميتة كانت لكم أشهى من الترياق
عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى حَمْزَةَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ،
فَقَالَ: «لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةً فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ»^(١) حَتَّى يُحْشَرَ
مِنْ بُطُونِهَا» ثُمَّ دَعَا بِنَمْرَةَ فَكَفَّنَهُ فِيهَا فَكَانَتْ إِذَا مُدَّتْ عَلَى رَأْسِهِ بَدَتْ رِجْلَاهُ
وَإِذَا مُدَّتْ عَلَى رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، وَقَلَّتْ الثِّيَابُ وَكَثُرَتْ الْقَتْلَى فَكَانَ الرَّجُلُ
وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ يُكَفَّنُونَ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ يُدْفَنُونَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، فَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ عَنْهُمْ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ قُرْآنًا» فَيَقْدُمُهُ إِلَى الْقَبْلَةِ^(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِحَمْزَةَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى
أَحَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ^(٣). وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ
أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى
هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسِّلُوا وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ^(٤).

١٧- عَدَدُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ:

لا تخل معشرًا قضاوا في سبيل الله - موتى بل هم من الأحياء
عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ

(١) العافية: قال الخطابي: هي السباع والطير تقع على الجيف فتأكلها. «عون المعبود» ٤٣/٦.
(٢) أخرجه أبو داود (٣١٣٦)، وأحمد ١٢٨/٣، والترمذي (١٠١٦)، وحسنه الألباني صحيح
سنن الترمذي (١٠٢٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٣١٣٧)، وصححه الألباني «صحيح سنن أبي داود».
(٤) رواه البخاري (١٣٤٣).

سَبْعُونَ قَتِيلًا^(١).

وعن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ أَصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ مِنْهُمْ حَمْزَةٌ، فَمَثَلُوا بِهِمْ^(٢).

١٨ - استشهد أسد الله حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

دُعُ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا وَابْنُكَ عَلَى حَمْزَةٍ ذِي النَّائِلِ^(٣)
وفي تلك المعركة كان هناك رجلٌ له هدفٌ آخرٌ غيرُ الذي جاء من أجلِهِ
الطرفانِ، فهو لا يَشْغَلُهُ مَنْ يَنْتَصِرُ، المسلمون أم المشركون، ولا يَهْمُهُ ذَلِكَ
الأمرُ كثيرًا، إنما كُلُّ الذي يَشْغَلُهُ هو التحرُّرُ مِنَ الرِّقِّ العبوديةِ.

وهذا الرجلُ هو وحشيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أسلمَ بعد ذلك وحَسُنَ إسلامُهُ.

وَلَتَرْكُهُ يَقْصُ عَلَيْنَا تَفَاصِيلَ مَا حَدَّثَ بِنَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَقُولُ وَحْشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بَنَ عَدِي بْنِ الْخِيَارِ بَيْدَرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ
مُطْعِمٍ: إِنَّ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بَعْمِي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أُنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ
- وَعَيْنَيْنِ جَبَلٍ بِحِيَالِ أَحَدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ - خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ فَلَمَّا
أَنَّ اصْطَفَوْا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطَّعَةِ الْبُظُورِ^(٤) أَتَحَادُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ؟
ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسٍ الدَّاهِبِ^(٥) قَالَ: وَمَكُنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا

(١) رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٢) (صحيح): أخرجه الترمذي (٣١٢٩)، وهو في مسند أحمد من زوائد عبد الله ١٣٥ / ٥،
وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣١٢٩).

(٣) ديوان حسن (١٧٤).

(٤) مُقَطَّعَةُ الْبُظُورِ: أي التي تَخْتِنُ النساءَ، فهي تَقْطَعُ بُظُرَ المرأةِ عند خَتْنِهَا.

(٥) كَأَمْسٍ الدَّاهِبِ: كنايةٌ عن قتلِهِ، أي: صَيَّرَهُ عَدَمًا.

دَنَا مِنِّي رَمِيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنْتِهِ حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ وَرِكَهِ^(١).

١٩- استشهدا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

رَجُلًا مَتَى يُدْعَوُا إِلَى الرَّوْعِ يُرْقِلُوا إِلَيْهِ كَارِقَالِ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ^(٢)
كَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا، وَجَمَالًا، وَثِيَابًا، وَكَانَ أَعْطَرَ
أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَتَرَكَ كُلَّ هَذَا النِّعَمِ، وَاسْتَشْهَدَ فِي أَحَدٍ، وَكُفِّنَ بِمَا لَمْ
يَسْتُرْهُ كُلُّهُ.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ
شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكْفَنُ فِيهِ،
إِلَّا نَمْرَةً، فَكُنَّا إِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ، خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى
رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا
عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخَرَ. وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِيهَا^(٣).

(١) رواه البخاري (٤٠٧٢)، كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول وحشي
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى
الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيْجُ الرَّسُلُ - أَي: لَا يَنَالُهُمْ مِنْهُ
إِزْعَاجٌ - قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَيْتِي قَالَ: «أَنْتَ وَحْشِي؟»،
قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةً؟»، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ
تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟» قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسْلِمَةُ الْكَذَّابِ، قُلْتُ:
لَا أُخْرِجَنَّ إِلَى مُسْلِمَةٍ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِي بِهِ حَمْزَةً، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ
قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي تِلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْ رُقٌّ ثَائِرٌ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمِيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ
تُذْيِيهِ حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوُتِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.

(٢) أمالي الرزوقي (٥١).

(٣) رواه البخاري (٣٨٩٧)، ومسلم (٩٤٠).

٢٠- عبد الله بن حرام رضي الله عنه تظله الملائكة بأجنحتها، ويكلمه

الله من غير حجاب:

رجال يرون الذل عارًا وسبةً ولا يرهبون الموت والموت مقدم^(١)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنني لا أترك بعدي أعز على منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن علي ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً، فأصبحنا فكان أول قتيل ودفن معه آخر في قبر ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعتُه هنيئة غير أذنه^(٢).

وعن جابر أيضاً قال: لما كان يوم أحد جيء بأبي مسجى وقد مثل به، قال: فأردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي، ثم أردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي، فرفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فرفع، فسمع صوت باكية أو صائحة فقال: «من هذه؟»، فقالوا: بنت عمرو أو أخت عمرو فقال: «ولم تبكي؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعت موته»^(٣).

وعنه أيضاً قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «يا جابر مالي أراك منكسراً؟» قلت: يا رسول الله استشهد أبي، قتل يوم أحد، وترك عيلاً وديناً قال: «يا جابر! ألا أبشرك بما لقي الله به أباك! ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً فقال: يا عبدي تمن علي أعطك قال: يا رب

(١) ديوان الشابي (١٠٧).

(٢) رواه البخاري (١٣٥١).

(٣) رواه البخاري (١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١).

تُخِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً فَقَالَ الرَّبُّ بَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلُغْ مَنْ وَرَائِي^(١).

٢١- عمرو بن الجموح يَطَأُ بِرِجْلِهِ فِي الْجَنَّةِ:

وَجَدْنَاكَ أُنْدَى مِنْ رِجَالٍ أَنَامِلًا وَأَحْسَنَ فِي الْحَاجَاتِ وَجْهًا وَأَجْمَلًا^(٢)
كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ
يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحِدَ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَذَرَكَ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنْ بَنِيَّ يَرِيدُونَ أَنْ يَحْبَسُونِي عَنْ
هَذَا الْوَجْهِ، وَالخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فَوَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّيَ لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرَجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ» فَقَالَ لِبَنِيهِ: «مَا
عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ» فَخَرَجَ مَعَهُ فَقَتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ^(٣).

وعن أبي قتادة قال: جَاءَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي
هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» فَقَتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ
أَخِيهِ وَمَوْلَى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي
بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ»، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا
فِي قَبْرِ وَاحِدٍ^(٤).

(١) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، والحاكم ٢٠٤/٣، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٠٥).

(٢) ديوان أبي تمام (١٢٦).

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة» عن ابن إسحاق ٢٣/٣، وصححه الألباني في حاشية «فقه السيرة» (٢٦٧) للغزالي.

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٤٥٢)، وصححه أحمد شاكر، والألباني أيضًا في «فقه السيرة» (٢٦٧).

٢٢- حَنْظَلَةُ تَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ:

سَلَّ وَجْهَ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ فَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَيْكَ الْوَجْهَ بِالْأَسْرَارِ
عَنِ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ قَتْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي
عَامِرٍ بَعْدَ أَنْ التَّقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ حِينَ عَلَاهُ شَدَاؤُ بْنُ الْأَسْوَدِ
بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ صَاحِبَكُمْ تَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ فَسَأَلُوا
صَاحِبَتَهُ عَنْهُ» فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ وَهُوَ جُنُبٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «لِذَلِكَ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

٢٣- عَمْرُو بْنُ أَقِيْشٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً:

سَلِّمُ عَنْ الْحُبِّ الصَّحِيحِ وَوَصْفِهِ فَلَسَوْفَ تَسْمَعُ صَادِقَ الْأَخْبَارِ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ أَقِيْشٍ كَانَ لَهُ رَبًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ
أَنْ يُسَلِّمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمٌ أُحِدٍ، فَقَالَ: أَيُّنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا: بِأُحِدٍ، قَالَ:
أَيُّنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحِدٍ، قَالَ: فَأَيُّنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحِدٍ، فَلَبَسَ لَأَمَتَهُ، وَرَكِبَ
فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ:
إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ
مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ، سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ، أَمْ غَضَبًا لِلَّهِ؟ فَقَالَ:
بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً^(٢).

(١) أخرجه الحاكم (٢٠٤/٣)، والبيهقي في «السنن» (١٥/٤) وحسنه الألباني في «الإرواء» (٧١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٧)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٣٧) وحسنه
شيخنا في الصحيح المسند (١٣٩٣).

٢٤- سَبَبُ انْكِسَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحَدٍ:

وَمَا بِرَسُولِ اللَّهِ إِذْ نَالَهُ الْأَذَى سِوَى مَا ارْتَضَتْ أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهُ^(١)
تَسَاءَلَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - عَنْ سَبَبِ هَذَا الْانْكِسَارِ، فَكَانَ
الرَّدُّ الْحَاسِمُ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا أَقْلُ هُوَ مِنْ
عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٥].

فَقَوْلُهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ فِيهِ إِجْمَالٌ بَيْنَهُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا
فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ
مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ
عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٥٢].

«فَفِي هَذِهِ الْقَتَوَى السَّمَاءِيَّةِ بَيَانٌ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ سَبَبَ تَسْلِيطِ الْكُفَّارِ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ هُوَ فَشَلُّ الْمُسْلِمِينَ، وَتَنَازُعُهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَصِيَانَتُهُمْ أَمْرَهُ ﷺ،
وإِرَادَةُ بَعْضِهِمُ الدُّنْيَا مُقَدِّمًا لَهَا عَلَى أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ»^(٢).

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ حَقَّقُوا بِدَايَةِ الْأَمْرِ انْتِصَارًا بَاهِرًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
بِعَوْنِ مِنَ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَصْرِهِ، ثُمَّ حَدَثَ مِنَ الرُّمَةِ مُخَالَفَةُ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بِعَدَمِ مُغَادَرَةِ أَمَاكِنِهِمْ أَعْلَى الْجَبَلِ مَهْمَا حَدَثَ إِلَّا بِأَذْنِهِ ﷺ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ:
«إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٌ» (١٠٢٥).

(٢) «أَضْوَاءُ الْبَيَانِ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (٩١ / ٤).

رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ^(١)، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ^(٢).

فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ تَأْكِيدٍ عَلَى عَدَمِ الْمُخَالَفَةِ؛ لَكِنْ لَمَّا حَصَلَتِ الْمُخَالَفَةُ، حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ الْهَزِيمَةُ، فَتَحَوَّلَتِ الرِّيَاحُ لِتَكُونَ مَعَ الْكَافِرِينَ، وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ أَنْ يَهْزِمُوا الْمُسْلِمِينَ، وَيَقْتُلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَسَدُ اللَّهِ حَمْزَةُ، وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّيْعِ، وَأَنَسُ بْنُ النَّضِيرِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَفَوْقَ ذَلِكَ أُصِيبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إصاباتٍ بِالْغَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ قُوَّةِ الْكُفَّارِ، وَلَكِنْ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ الرَّمَاةِ أَوْامِرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَا بِرَسُولِ اللَّهِ إِذْ نَالَهُ الْأَذَى نَبِيٌّ يُحِبُّ اللَّهَ حُبًّا مُجَاهِدٍ يُعْظِمُهُ فِي نَفْسِهِ وَيُطِيعُهُ كَذَلِكَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ الْأَلَى مَضُوا سِوَى مَا ارْتَضَتْ أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهُ يَرَى دَمَهُ مِنْ حَقِّهِ فَهُوَ بِأَذْلِهِ وَمَا يَقْضِي مِنْ أَمْرٍ لَهُ فَهُوَ قَابِلُهُ فَيَالِكَ عَصْرًا يَبْعَثُ الْحُزْنَ زَائِلُهُ! ^(٣)

٢٥- الرجوع إلى المدينة:

إِنَّ الْمَدِينَةَ وَالْدُّنْيَا تَضِيءُ بِهَا كَالشَّمْسِ قَدْ نَوَّرَتْ وَجْهَ السَّمَاوَاتِ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الطَّرِيقِ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِنِسَاءٍ، يَبْكِينَ هَلَكَاةً.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِنِسَاءٍ عَبَدِ الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ

(١) أَوْطَأْنَاهُمْ أَي: أَوْطَأْنَاهُمْ حَيْلَنَا، أَي: جَعَلْنَاهُمْ تَحْتَ حَوَافِرِهَا.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨١٧).

(٣) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (١٠٢٥).

هَلَكَا هَنَّ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ»، فَجَاءَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ حَمْزَةَ، فَاسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «وَيَحْهَنَّ مَا انْقَلَبْنَ»^(١) بَعْدُ؟ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢).



(١) أي: مَا رَجَعْنَ إِلَى بَيُوتِهِنَّ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٤/٢)، ابْنُ مَاجَهَ (١٥٩١) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (١٢٩٣).

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ

إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغِيلِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ^(١)
عَقَبَ غَزْوَةَ أَحَدٍ أَشْفَقَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عَوْدَةِ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَندَبَ
الْمُسْلِمِينَ إِلَى النُّهُوضِ فِي أَثَرِهِمْ، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَكَانُوا مُثْقَلِينَ
بِالْجُرُوحِ، حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبُوكَ مِنْهُمْ، الزُّبَيْرُ وَأَبُو
بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أَحَدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ،
خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثَرِهِمْ؟»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا،
قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ^(٢).

لَمْ يَنْبَغِ هَوْلٌ مَا لَاقَى، وَلَوْ وَقَعَتْ تِلْكَ الْكُرُوبُ عَلَى الْأَطْوَادِ لَمْ تَقُمْ
عَزِيمَةٌ رَافَقَتْهَا هِمَّةٌ سَبَقَتْ كُلَّ الْعَزَائِمِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْهِمَمِ^(٣)

تَزُوجُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِأَمْرِ اللَّهِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

فِيَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ كَمَا أَشْرَقَتْ فَوْقَ الْبَرِيَةِ زَيْنَبُ^(٤)
زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ بِنْتُ رِثَابٍ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ بِنْتُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) «دِيَوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٢)، الْغِيلُ - بِالْكَسْرِ وَيُفْتَحُ - الْغَابَةُ وَالْأَجَمَةُ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٧).

(٣) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٤) دِيَوَانُ الْمَعَانِي (٣٦٠).

عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، كَانَتْ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا طَلَّقَهَا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فَلِذَلِكَ كَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقُولُ زَوَّجَنَّا أَهَالِيكَنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ^(١).

فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَزَيْدٍ اذْهَبْ فَادْكُرْهَا عَلَيَّ فَإِن طَلَّقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتَهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكَ قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ»^(٢).



(١) رواه البخاري (٧٤٢١).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٨).

بَعَثَ الرَّجِيعَ

بَاعُوا نَفَائِسَهُمْ مِنْهُ وَأَنْفُسَهُمْ بِجَنَّةِ الْخُلْدِ بَيْعًا رَابِعًا فَشَرَى^(١)
 بَعْدَ أَحَدٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ الرَّجِيعَ، وَكَانُوا عَشْرَةَ رَهْطٍ، وَأَمَرَ
 عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،
 فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا الْحَيَّ مِنْ هَذَا يُقَالُ لَهُمْ:
 بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصَّوْا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا
 مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرِ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَثْرَبُ،
 فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ.

فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى فَدَفِدِ^(٢)، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا
 بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا، أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا.

فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ،
 فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ
 آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ،
 فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ
 الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ
 يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَاتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى

(١) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣ / ٣٦١).

(٢) الْفَدَفْدُ: الرَّابِيَّةُ، الْمُشْرِفَةُ.

حُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ تَوْفَلٍ، وَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَعَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَرَعْتُ فَرَعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا - قَطُّ - خَيْرًا مِنْ حُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قُطْفٍ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةً، وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رَزَقَ رِزْقَهُ اللَّهُ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ.

فَقَالَ: دَعُونِي أَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرِّكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

ثُمَّ قَالَ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ^(١) شِلْوٍ مُمَزَّعٍ^(٢)

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ^(٣) مِنَ الدَّبْرِ^(٤)، فَحَمَتُهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا

(١) الْأَوْصَالُ: الْمَفَاصِلُ.

(٢) الشِّلْوُ - بِالْكَسْرِ - الْعُصْبُ، وَالْجَمْعُ أَشْلَاءٌ.

(٣) الظُّلَّةُ: السَّحَابَةُ.

(٤) الدَّبْرُ - بِالْفَتْحِ - الزَّنَابِيرُ، وَقِيلَ: ذُكُورُ النَّحْلِ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ»^(١).

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْجُو بَنِي لَحْيَانَ الَّذِينَ غَدَرُوا بِالْمُسْلِمِينَ:
 إِنَّ سَرَكَ الْغَدْرِ صَرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ فَأَتِ الرَّجِيعَ وَسَلَّ عَنْ دَارِ لَحْيَانَ
 قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ كُلُّهُمْ فَخَيَّرُهُمْ رَجُلًا، وَالتَّيْسُ مِثْلَانِ
 لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ ذُو الْحُصَيْنِ وَسَطُهُمْ لَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانٍ^(٢)
 قَالَ - أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْتِي بَعْضَ مَنْ غَدَرَ بِهِمْ بَنِي لَحْيَانَ يَوْمَ الرَّجِيعِ:

صَلَّى إِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثْبِتُوا
 رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْتَدٌ وَأَمِيرُهُمْ وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخَبِيبُ
 وَابْنُ لَطَارِقَ وَابْنُ دُثْنَةَ مِنْهُمْ وَافَاهُ ثُمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ
 مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ
 وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ كَسَبَ الْمَعَالِي، إِنَّهُ لَكُسُوبُ^(٣)
 - تَزُوجُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ.

أَيْنَ مِنْكَ الْمُتَنَافِسَاتُ اللَّوَاتِي عَهَدَ النَّاسُ مِنْ ذَوِي الْأَحْسَابِ
 وَهِيَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخَزُومِيَّةِ^(٤)، وَزَوْجُهَا أَبُو سَلَمَةَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمُخَزُومِيِّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا وَلَدَتْ مِنْهُ سَلَمَةَ وَعُمَرَ
 وَزَيْنَبَ وَدُرَّةَ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٨٦).

(٢) «دِيَوَانُ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٢٣٩)، وَالصَّرْفُ - بِالْكَسْرِ - الْخَالِصُ.

(٣) «دِيَوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٩).

(٤) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (٤/ ١٩٩).

وكانت أم سلمة رضي الله عنها موصوفةً بالجمالِ البارِعِ، والعقلِ البالغِ، والرأيِ الصائبِ^(١)، وكانت من أجملِ النساءِ وأشرفها نسباً^(٢).

فلما أنقضت عِدَّتُها من زوجها أبي سلمة الذي تُوفِّي عنها أرسلَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يخطبُها.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَندَعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»^(٣).

- تعلم لغة اليهود:

أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم زيدَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنه أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودٍ، فَتَعَلَّمَهُ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم أَنْ أَتَعَلَّمَ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودٍ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي، قَالَ: فَمَا مَرَّ نِصْفُ

(١) السِّير (٢/ ٢٠٢).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٠٢).

(٣) رواه مسلم (٩١٨).

شَهْرٍ حَتَّى تَعْلَمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبَتْ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأَتْ لَهُ كِتَابَهُمْ^(١).

لُغَةُ الْخَصُومِ مِنَ الرُّجُومِ حُرُوفُهَا فَلْيَقْرَؤُوا مِنْهَا الْغَدَاةَ فُصُولًا لَمَّا أَبَوْا أَنْ يَفْهَمُوا إِلَّا بِهَا رُحْنَا نُرْتِّلُهَا لَهُمْ تَرْتِيلًا^(٢)

- رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودِيَّ وَالْيَهُودِيَّةَ.

لَأَعْيَا الْمُسْلِمِينَ يَهُودٌ سَوْءٌ فَمَا تَحْمِي الْحِصُونُ الْمُحْصَنَاتِ^(٣)
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةً قَدْ زَنِيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ عَلَى الزَّانِي؟ قَالُوا: نُسُودٌ وَجُوهُهُمَا، وَنُحْمَلُهُمَا، وَنُخَالِفُ بَيْنَ وَجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا، قَالَ: فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَأُوهَا، حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ، وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا وَرَاءَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ، فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجَمَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ^(٤).



(١) أخرجه الترمذي (٢٧١٥) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٧).

(٢) موسوعة الشعر (١/٤٩٣).

(٣) ابنُ الخياط (٣٧).

(٤) رواه البخاري (٦٨١٩)، ومسلم (١٦٩٩).

غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ^(١)

أَسْرَتْ لَكَ الْآفَاقُ عَزْمَهُ هِمَّةٌ جُبِلَتْ عَلَى أَنَّ الْمَسِيرَ مُقَامٌ^(٢)
وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فِي شَعْبَانَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ، وَبَنُوا الْمُصْطَلِقَ
بَطْنٌ مِنْ قَبِيلَةِ خُزَاعَةَ الْأَزْدِيَّةِ الْيَمَانِيَّةِ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ قَدِيدًا وَعُسْفَانَ عَلَى
الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَقَدِيدٌ تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ مِائَةً وَعِشْرِينَ كَيْلًا، وَعُسْفَانٌ
تَبْعُدُ ثَمَانِينَ كَيْلًا، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ كَيْلًا.
وَكَانُوا يُعْتَبِرُونَ فِي حَرْبٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، مُنْذُ اشْتَرَاكَهُمْ مَعَ قُرَيْشٍ فِي
غَزْوَةِ أُحُدٍ.

كَمَا كَانُوا يَجْمَعُونَ الْجُمُوعَ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، فَعَارَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَهُمْ غَارُونَ (أَيُّ: وَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ)، فَانْهَزَمُوا، وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ
أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَتَمَّتْ قِسْمَةُ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ.
فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُونَ،
وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ
جُوبَرِيَّةً»^(٣).

لَهُ مَوْقِفٌ يَحْمِي بِهِ الدِّينَ، ذِكْرُهُ تَشِيدُ بِهِ الرُّكْبَانُ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
أَقَامَ عَمُودَ الدِّينِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَسَلَّ حُسَامًا فَاتَكَ الْوَقْعَ بِالْكَفْرِ

(١) وَتُسَمَّى بِغَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ؛ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ عِنْدَ مَاءِ الْمُرَيْسِيعِ.

(٢) «دِيَوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (١٦٩).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٤١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٣٠).

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُؤَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

جُؤَيْرِيَةُ لَا يَقْرُبُ الدَّمُ بَيْتَهَا مُطَهَّرَةٌ يَأْوِي إِلَيْهَا مُطَهَّرٌ^(١)
كَانَتْ جُؤَيْرِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ الْمُصْطَلِقِي
قُتِلَ كَافِرًا، سُبِّتَ يَوْمَ الْمُرَيْسَعِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ،
وَقَعَتْ جُؤَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ، أَوْ لِابْنِ
عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوءَةً مُلَاحَةً، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا
أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ فَاتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ لَتَسْتَعِينَهُ فِي كِتَابَتِهَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا،
وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سِيرَى مِنْهَا ﷺ مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَنَا جُؤَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ، سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ،
مَا لَمْ يَخَفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ، أَوْ لِابْنِ
عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي.

قَالَ: فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ؛ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُؤَيْرِيَةَ

(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٥/١٢٩).

ابْنَةُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَرْسَلُوا مَا
بِأَيْدِيهِمْ؛ قَالَتْ: فَلَقَدْ أُعْتِقَ بَتْرُوجِيهِ إِيَّاهَا مِئَةٌ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ،
فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَى قَوْمِهَا بَرَكََةً مِنْهَا»^(١).

يا ابنة الحارث طيبي وأنعمي أيُّ رزقٍ صالحٍ لم ترزقي؟
ذاك جوُّ المجد وضاح السنا حلقي ما شئت منه حلقي
أصطفاك الله فيمن يصطفي وانتقي بيتك فيما ينتقي^(٢)



(١) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٧٧/٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٩٣١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ
أَبِي دَاوُدَ» (٣٣٢٧).

(٢) «دِيْوَانُ مَجْدِ الْإِسْلَامِ» لِأَحْمَدَ مُحَرَّمٍ (١٣٩).

بَعَثُ بِئْرَ مَعُونَةٍ

غَدَرَ الْعَدُوُّ فَعَلَّمَتْهُ سُيُوفُهُمْ صِدْقَ الْعُهُودِ وَصِحَّةَ الْإِيمَانِ^(١)
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلًا لِحَاجَةٍ، يُقَالُ لَهُمْ
الْقُرَّاءُ، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، رِغْلٌ، وَذَكَوَانٌ، عِنْدَ بئْرِ يُقَالُ لَهَا
بئْرُ مَعُونَةٍ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، إِنَّمَا نَحْنُ مُجْتَازُونَ فِي حَاجَةٍ
لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَتَلُوهُمْ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ، وَذَلِكَ
بَدَأُ الْقُنُوتِ، وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ^(٢).

وَنَارَ نَقْعِ الْمَنَآيَا فِي مَعُونَةٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحِكَمِ^(٣)
قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْتَى قَتْلَى بئْرِ مَعُونَةٍ:

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةٍ فَاسْتَهْلِي بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرٍ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَاقُوا وَمَنَآيَاهُمْ وَلَاقَتُهُمْ بِقَدْرِ
أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ تُخُونُ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بِغَدْرِ
فِيَا لَهْفِي لِمُنْذِرٍ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْنَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ
وَكَائِنُ قَدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمُ مِنْ أَبِيضٍ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرٍو^(٤)

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٣٤٠).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٨٨)، وَمُسْلِمٌ (٦٧٧).

(٣) «فَصَائِدُ مِنْ عُيُونِ الشُّعْرِ» (١٥).

(٤) «دِيَوَانُ حَسَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٩٤)، فَاسْتَهْلِي أَيُّ: أَسِيلِي دَمْعَكَ، وَالسَّحُّ: الصَّبُّ، وَالنَّزْرُ: الْقَلِيلُ،
تُخُونُ: تَنْقُصُ، أَعْنَقَ أَيُّ: أَسْرَعُ، وَكَائِنُ: كِنَايَةٌ عَنْ عَدَدٍ كَثِيرٍ، وَسِرُّ الْقَوْمِ: خِيَارُهُمْ وَخَالِصُهُمْ.

كَشَفُ الْمُنَافِقِينَ عَنْ حَقْدِهِمْ

نَفَاقٌ عَلَى كُلِّ الْوُجُوهِ مُخِيَّمٌ وَبُغْضٌ عَلَى كُلِّ الْجَبَاهِ مُسْطَرٌّ^(١)
كُلَّمَا كَسَبَ الْإِسْلَامَ نَصْرًا جَدِيدًا؛ اَزْدَادَ الْمُنَافِقُونَ غَيْظًا عَلَى غَيْظِهِمْ،
وَقُلُوبُهُمْ تَتَطَلَّعُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يُهْزَمُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ؛ لِتَشْتَفِيَ مِنَ الْغِلِّ، فَلَمَّا
انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ عِنْدَ مَاءِ الْمُرَيْسِيعِ، كَشَفَ الْمُنَافِقُونَ
عَنْ حَقْدِهِمْ، فَبَدَّوْا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ حَقْدِهِمْ الْمُكْتُومِ، فَقَامُوا بِمَا يَأْتِي:

١- تَخْذِيلُ النَّاسِ:

وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا وَسَهْمُ الْبَغْيِ يَدْرِي مَنْ يُصِيبُ^(٢)
وَلَنَدَعَ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا، قَالَ: كُنْتُ فِي
غَزَاةٍ - أَيِ: غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ^(٣) - فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، يَقُولُ: لَا
تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ
عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَاءِ (أَيِ: سَعْدِ بْنِ
عُبَادَةَ، وَهُوَ رَأْسُ الْخَزَرَجِ، وَلَيْسَ عَمُّهُ حَقِيقَةً، وَأَمَّا عُمَرُ فَهُوَ ابْنُ الْخَطَّابِ)^(٤)،
فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ سُحُنُونٍ» (٢٨).

(٢) «مَجَانِي الْأَدَبِ فِي حَدَائِقِ الْعَرَبِ» (٨/٤).

(٣) صَرَّحَتِ الرُّوَايَاتُ الْأُخْرَى بِأَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، كَمَا فِي «الْمُسْنَدِ» (٣/٣٩٢-٣٩٣)،

بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، وَ«فَتْحُ الْبَارِي» (٨/٦٤٩).

(٤) «فَتْحُ الْبَارِي» (٨/٦٤٥).

أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ١]، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»^(١).

٢- إِثَارَةُ الْعَصَبِيَّةِ:

وَذِي عَصَبِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْعَى إِلَيَّ سَعَى بِهِ يَوْمَ عَصِيبُ^(٢) يَحْكِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا حَدَّثَ عِنْدَ مَاءِ الْمُرَيْسِعِ، فَقَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، (أَيَّ: ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ)، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ^(٣).

«رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» صَفَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَخَلَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الشَّنَانِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩٠٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٢).

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣ / ٣٤١).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥١٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٨٤).

هُم كَالْأَصَابِعِ فِي الْيَدَيْنِ تَوَاضَعًا هَلْ يَسْتَوِي كَفٌّ بَغِيرِ بَنَانٍ؟!
اللَّهُ أَلْفَ بَيْنٍ وَدُّ قُلُوبِهِمْ لِيَغِيظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طَعَّانٍ
فَدُخُولُهُمْ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ كُفْلَةٌ وَسَبَابُهُمْ سَبَبٌ إِلَى الْحَرَمَانِ^(١)

٣- إِيْذَاءُ النَّبِيِّ ﷺ:

يُسِرُّ لَكَ الْبَغْضَاءَ كُلَّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقٌ^(٢)
بَعْدَ فَشَلِ الْمُنَافِقِينَ فِي تَخْذِيلِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِثَارَةِ
الْعَصْبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَعْمَاهُمْ الْعَضْبُ، وَوَاتَتْهُمْ الْفُرْصَةُ لِإِيْذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ خَرَجَتْ مَعَهُ إِلَى غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَذَلِكَ
بَعْدَمَا شَرَعَ اللَّهُ الْحِجَابَ لِلنِّسَاءِ، وَفِي طَرِيقِ الْعُودَةِ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ الْمُسْلِمُونَ
مِنَ الْمَدِينَةِ، نَزَلَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ هَوْدَجِ الْبَعِيرِ لِبَعْضِ شَأْنِهَا، فَلَمَّا عَادَتْ افْتَقَدَتْ
عَقْدًا لَهَا، فَخَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ، فَحَمَلَ الرَّجَالُ هَوْدَجَهَا، فَوَضَعُوهُ عَلَى الْبَعِيرِ
وَهُمْ يَحْسُبُونَهَا فِيهِ - إِذْ كَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صَغِيرَةً خَفِيفَةً -، وَمَضَى الْمُسْلِمُونَ إِلَى
الْمَدِينَةِ، تَارِكِينَ فِي الْيَدَاءِ، وَقَدْ وَجَدَتْ عَقْدَهَا، وَفَقَدَتْ الرِّكْبَ، فَمَكَثَتْ
فِي مَكَانِهَا، تَنْتَظِرُ أَنْ يَعْرِفُوا خَبَرَهَا، وَيَعُودُوا إِلَيْهَا، فَمَرَّ صَفْوَانُ بْنُ الْمَعْطَلِ
السُّلَمِيُّ - وَهُوَ مِنْ خَيْرَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَحَمَلَهَا عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَنْطَلَقَ بِهَا
إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ اسْتَغَلَّ الْمُنَافِقُونَ
هَذَا الْحَادِثَ، وَنَسَجُوا حَوْلَهُ، وَتَوَلَّى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ، وَأَغْرَى

(١) «مُعْجَمُ السَّفَرِ» (٢٠٤)، وَالشَّيْخَانُ: الْبُغْضُ.

(٢) «دِيْوَانُ جَرِيرٍ» (٤١٢).

بِالْكَلَامِ مِسْطَحَ بْنِ أَثَاثَةَ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَحِمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَاتَّهَمَتْ عَائِشَةُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِفْكِ.

وَصَاقَ الرَّسُولُ ﷺ ذُرْعًا بِدَعَايَاتِ الْمُنَافِقِينَ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مَجْتَمِعُونَ فِي الْمَسْجِدِ، مُعَلِّناً ثِقَتَهُ بِزَوْجَتِهِ وَبِالصَّحَابِيِّ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ، وَقَدْ أَبْدَى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، اسْتِعْدَادَهُ لِقَتْلِ مَنْ يُرَوِّجُ ذَلِكَ، فَأَظْهَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مُعَارَضَتَهُ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؛ لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنٍ سَلُولَ مِنَ الْخَزْرَجِ، حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَقَعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَدَاهُمْ.

وَمَرَضَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَاسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الذَّهَابِ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا، فَأَذِنَ لَهَا، ثُمَّ عَلِمَتْ بِخَبَرِ الْإِفْكِ، فَكَانَتْ لَا يَرَقًا لَهَا دَمْعٌ، وَلَا تَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَهِيَ تَنْتَظِرُ أَنْ يُعْلِمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِبِرَائَتِهَا بِرُؤْيَا صَادِقَةٍ، وَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ شَهْرًا، عَانَى خِلَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَشَدَّ الْمُعَانَاةِ؛ فَقَدْ طَعَنَهُ الْمُنَافِقُونَ فِي عَرْضِهِ، وَأَذَوْهُ فِي زَوْجِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَطَّلَعُ إِلَى الْوَحْيِ، وَهُوَ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، لِطَمَئِنِّ نَفْسُهُ، وَيُخْرِسَ أَلْسُنَ النِّفَاقِ، وَيَذُبَّ عَنْ زَوْجِهِ الْحَبِيبَةِ، وَأَبِيهَا الَّذِي كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَ الْوَحْيُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٣ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْسِّنَتِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا

بِهْتَنِّ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعُظِّكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ [النور: ١١-١٨] ^(١).

فَهَلْ رَأَيْتَ -أَخِي- وَعَيْدًا لِلْعَصَاةِ كَهَذَا؟!، إِنَّهُ وَعِيدٌ عَظِيمٌ حَتَّى قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ ^(٢): «لَوْ فَتَشَتِ الْقُرْآنُ كُلَّهُ عَمَّا أُوْعِدَ بِهِ الْعَصَاةُ، لَمْ تَرَ اللَّهَ -تَعَالَى- قَدْ غَلَطَ فِي شَيْءٍ تَغْلِيظُهُ فِي إِفْكَ عَائِشَةَ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا-» ^(٣).

لَا يُذَكِّرُ الطَّهْرُ إِلَّا قِيلَ عَائِشَةُ رَمَزُ لَهُ وَهُوَ نُورٌ فِي مُحْيَاهَا نُجِلُّهَا نُطْرِبُ الدُّنْيَا بِرُوعَتِهَا إِذَا انْبَرَى بِكَلَامِ السُّوءِ أَشَقَّاهَا نَرْتُلُّ الْوَحْيَ صَفْوًا عَنْ طَهَارَتِهَا وَلَا نُبَالِي بِصَوْتِ خَاسِي تَاهَا ^(٤)
قال حَسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْدَحُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

حَصَانٌ ^(٥) رَزَانٌ ^(٦) مَا تُزَنُّ ^(٧) بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبَحُ غَرْنَى ^(٨) مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةٌ ^(٩) حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا ^(١٠) وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ

(١) انْظُرْ: قِصَّةَ الْإِفْكِ فِي «الْبُخَارِيِّ» (٤٧٥٠)، وَمُسْلِمٍ (٢٧٧٠).

(٢) الزَّمَخْشَرِيُّ مُعْتَزِلِيٌّ جَلَدٌ، قَالَ الْبُلْقَيْنِيُّ: «اسْتَخْرَجْتُ مِنَ الْكَشَافِ اعْتِرَافًا بِالْمَنَاقِشِ».

(٣) «الْكَشَافُ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ (٢٢٣/٣)، وَلَا نَنْصَحُ بِالْكِتَابِ إِلَّا لِلْعَالِمِ، أَوْ طَالِبِ عِلْمٍ.

(٤) «حَبِيبَاتُ الْمُصْطَفَى، أُمَهَّاتُ الْمُؤْمِنِينَ» (١١٦)، لِلْكَاتِبِ.

(٥) الْحَصَانُ: الْمَرْأَةُ الْعَفِيفَةُ.

(٦) الرَزَانُ: الْمَرْأَةُ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ وَقَارٍ.

(٧) مَا تُزَنُّ: مَا تُتَّهَمُ.

(٨) الْغَرْنَى: الَّتِي لَا تَغْتَابُ أَحَدًا.

(٩) الْعَقِيلَةُ: الْكَرِيمَةُ.

(١٠) الْخِيَمُ: الْأَصْلُ.

حَلِيلَةُ خَيْرِ الْخَلْقِ دِينًا وَمَنْصِبًا نَبِيُّ الْهُدَى وَالْمَكْرُمَاتِ الْفَوَاصِلِ
رَأَيْتُكَ وَلَيَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ حُرَّةً مِنْ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرَ ذَاتِ الْغَوَائِلِ^(١)



(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٣٣٤).

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ (الْأَحْزَابِ)

وَيَوْمُ أَقْبَلَتِ الْأَحْزَابُ وَانْهَزَمَتْ وَكُفَّ خَبَا لَهَبٍ بِالشَّرِكِ مَشْعُولٌ^(١)

١- وَقْتَهَا:

كَانَتْ سَنَةٌ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ السِّيَرَةِ.

٢- سَبَبُهَا:

سَبَبُهَا وَاحِدٌ لَا غَيْرَ - وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الْأَلْسُنُ - وَهُوَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

٣- كَيْفَ تَجَمَّعَ الْأَحْزَابُ؟:

ذَهَبَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ نَحْوَ مَكَّةَ لِيُؤَلِّبُوا أَهْلَهَا وَيُحَرِّضُوهُمْ عَلَى غَزْوِ الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا وَجَدُوا مِنْهُمْ اسْتِجَابَةً، تَوَجَّهُوا نَحْوَ غُطَفَانَ؛ لِيَكْتَمِلَ عَقْدُ الْأَحْزَابِ، وَتَدَاعَتْ الْجُمُوعُ، وَأَقْبَلَ الشَّرُّ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ، فَخَرَجَتْ مِنَ الْجَنُوبِ قُرَيْشٌ، وَكِنَانَةٌ، وَأَهْلُ تِهَامَةٍ، وَوَأَفَاهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ، وَخَرَجَتْ مِنَ الشَّرْقِ قَبَائِلُ غُطَفَانَ، وَكَذَلِكَ خَرَجَتْ بَنُو أَسَدٍ، وَاتَّجَهَتِ الْأَحْزَابُ الْكَافِرَةُ صَوْبَ الْمَدِينَةِ.

٤- عَدَدُ جَيْشِ الْأَحْزَابِ:

كَانَ عَدَدُ جَيْشِ الْأَحْزَابِ يَبْلُغُ عَشْرَةَ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، أَيْ يَزِيدُ عَلَى عَدَدِ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ رِجَالًا وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا، فِي جُوعٍ شَدِيدٍ، وَبَرْدٍ وَزَمْهَرِيرٍ، وَعُدَّةٍ قَلِيلَةٍ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

(١) «دَوَائِيقُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٩/ ٦٢).

٥- عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ:

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ - وَتَابَعَهُ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ السَّيَرَةِ - : أَنَّهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مُّقَاتِلٍ ^(١).

٦- انْقِسَامُ النَّاسِ تَجَاهَ الْأَحْزَابِ:

انْقَسَمَ النَّاسُ تَجَاهَ الْأَحْزَابِ إِلَى قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الْأَوَّلُ:

وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِوَعْدِ اللَّهِ، وَصَدَّقُوا بِنَصْرِ رَسُولِهِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ﴾ [الْأَحْزَابُ: ١٣].

القِسْمُ الثَّانِي:

وَهُمُ أَهْلُ النِّفَاقِ فَقَدْ تَزَعَزَعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَانْخَلَعَتْ صُدُورُهُمْ لِرُؤْيَا الْجَمْعِ وَالْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ﴾ [الْأَحْزَابُ: ١٢].

٧- حَفَرُ الْخَنْدَقِ:

اشْتَغَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِمُقَارَعَةِ الْعَدُوِّ، وَأَخَذَ الْعُدَّةَ، وَحَفَرَ الْخَنْدَقَ، وَكَانَ طُولُهُ خَمْسَةَ آلَافٍ ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهُ تِسْعَةَ أَذْرَاعٍ، وَعُمُقُهُ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ إِلَى عَشْرَةٍ، وَكَانَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَفَرٌ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا.

(١) «سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٢٢٠) ذَكَرَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِدُونِ إِسْنَادٍ.

وَقَدْ تَوَلَّى الْمُهَاجِرُونَ الْحَفَرَ مِنْ نَاحِيَةِ حِصْنٍ رَاجٍ فِي الشَّرْقِ إِلَى حِصْنِ
ذُبَابٍ، وَالْأَنْصَارُ مِنْ حِصْنِ ذُبَابٍ إِلَى جَبَلٍ عُيَيْدٍ فِي الْغَرْبِ، وَقَدْ تَمَّ حَفْرُهُ
بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ، وَفِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - فَقَطْ - رَغَمَ الْجَوُّ الْبَارِدَ، وَالْمَجَاعَةُ الَّتِي أَصَابَتْ
الْمَدِينَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ^(١).

٨- أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ فَوَضَعُوا فِي الْحِصُونِ.

فَوَاطَنَ أَطْرَافَ الْبَسِيطَةِ ذِكْرُهُ وَصِيَّتْ حِصُونٌ بِاسْمِهِ وَثَغُورُ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ
النُّسُورَةِ فِي أُطَمٍ ^(٢) حَسَّانَ فَكَانَ يُطَاطِيءُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَاطِيءُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ ^(٣).

٩- تَنْظِيمُ الْجَيْشِ:

كَرَوْضَةٍ أَخَذَتْ بِالْغَيْثِ زُخْرُفَهَا فَالرَّوْضُ مَتَّظِمٌ، وَالْغَيْثُ مُتَشَرُّ ^(٤)
رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَهُ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُمْ إِلَى جَبَلٍ سَلَعَ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ،
وَوُجَّهَهُمْ إِلَى الْخَنْدَقِ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَزَلُوا رُومَةَ ^(٥)
بَيْنَ الْجُرْفِ ^(٦) وَالْعَابَةِ وَنَقَمَى ^(٧) ^(٨).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).

(٢) الْأُطَمُ: الْحَصِينُ، وَجَمْعُهَا أَطَامٌ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٢٠)، مُسْلِمٌ (٢٤١٦).

(٤) «دِيَوَانُ الْمَعَانِي» (٧٢).

(٥) رُومَةُ - بِالضَّمِّ -: بَيْتٌ مَعْرُوفَةٌ عَلَى نِصْفِ فَرْسَخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ.

(٦) الْجُرْفُ - بِالضَّمِّ ثُمَّ الشُّكُونُ - مَوْضِعٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ.

(٧) نَقَمَى - بِزَيْتَةِ جَمَزَى - مِنْطِقَةٌ بِشَمَالِ الْمَدِينَةِ وَشَمَالُ أُحُدٍ.

(٨) انْظُرْ «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢١/ ١٢٩ - ١٣٠).

الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ^(١)

١٠- مُشَارَكَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ:

تَيَمَّمْتُهُ وَالسَّعْدُ حَوْلَكَ جَحْفَلُ وَقَارَعْتُهُ وَالنَّصْرُ دُونَكَ خَنْدَقُ^(٢)

ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ بِقُوَّةٍ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَيَحْمِلُونَ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ؛ وَفِيهِمْ مَنْ كَانَ لَا يَخْدُمُ نَفْسَهُ مِنَ التُّجَّارِ وَالزُّعَمَاءِ، وَقَدْ اسْتَوَوْا جَمِيعًا فِي الْحَفْرِ وَحَمَلَ الْأَتْرَبَةَ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْحَمَاسِ، يُرَدِّدُونَ الْأَهَازِيجَ، وَالرُّسُولُ ﷺ يَحْفَرُ مَعَهُمْ، وَيَنْقِلُ التُّرَابَ، حَتَّى اغْبَرَ بَطْنُهُ، وَوَارَى التُّرَابَ جِلْدَهُ، وَقَدْ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا لِفَرْطِ الْجُوعِ^(٣).

وَكَانَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ إِذَا عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ، فَيَأْخُذُ الْمِعْوَلَ، وَيَقْتَتِ الصَّخْرَةَ^(٤)، وَكَانَ ﷺ يُرَدِّدُ مَعَهُمُ الْأَهَازِيجَ وَالْأَرْجَازَ مُشَارَكَةً لَهُمْ وَتَوَاضُّعًا.

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا
وَكَانَ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا^(٥).

(١) «الْإِبَانَةُ عَنْ سَرَقاتِ الْمُتَنَبِّي» (٤٠).

(٢) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣/٤١٢).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٠٦)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٣).

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ - وَهُمْ يَخْفَرُونَ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ:
نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا
فَكَانَ ﷺ يُجِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ:
اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ
وَرُبَّمَا يَبْدُوهُمْ بِقَوْلِهِ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ^(١).

١١- نَقْضُ قَرِيبَةِ الْعَهْدِ:

وَرَأَيْتُ نَقْضَ الْعَهْدِ ذَنْبًا يُحْتَوَى أَبَدًا وَكَشَفَ السِّرَّ شَيْئًا مُفْجِئًا^(٢)
أَشَدَّ الْخَطْبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا بَلَغَهُمْ أَنَّ حُلَفَاءَهُمْ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ
قَدْ نَكَثُوا الْعَهْدَ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، وَكَانَتْ دِيَارُ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي الْعَوَالِي فِي الْجَنُوبِ
الشَّرْقِيِّ لِلْمَدِينَةِ عَلَى وَادِي مَهْزُوزٍ، فَكَانَ مَوْقِعُهُمْ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ إِيقَاعِ ضَرْبَةٍ
بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَلْفِ.

وَوَصَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْبَلَاءَ الَّذِي أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ بِوَصْفٍ عَجِيبٍ،
كَأَنَّ الْعَيْنَ تَرَاهُمْ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا^(١١) ﴿[الْأَحْزَابُ: ١٠-١١].

١٢- انْجِلَاءُ الْغَمَةِ:

لَا تَأْخُذْ الْغَمَةُ الْكُبْرَى مَا أَخَذَهَا مِنْكُمْ وَإِنْ صَغُرَتْ تَلْقَاءَهَا الْغَمُ^(٣)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٠٠)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٥).

(٢) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٧/٣١).

(٣) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٥/٢٦٦).

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ أَنْجِلَاءَ الْعُمَّةِ، وَتَفْرِيجُ الْكُرْبَةِ، صَنَعَ أَمْرًا مِنْ عِنْدِهِ، فَأَرْسَلَ عَلَى الْأَحْزَابِ رِيحَ الصَّبَا^(١)، فَاقْتَلَعَتْ خِيَامَهُمْ، وَكَفَّاتْ قُدُورَهُمْ، وَأَطْفَأَتْ نِيرَانَهُمْ، وَدَفَنْتْ رِحَالَهُمْ وَأَمَالَهُمْ، فَلَمْ تَدَعْ قَدْرًا إِلَّا كَفَّاتَهَا، وَلَا طُنْبًا^(٢)، إِلَّا قَلَعَتْهُ، وَلَا قَلْبًا إِلَّا أَهْلَعَتْهُ وَأَرْعَبَتْهُ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الْأَحْزَابُ: ٩].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ»^(٣).

بَعْدَهَا انْفَضَّ الْأَحْزَابُ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَتَنَفَّسَ الْمُسْلِمُونَ الصَّعْدَاءُ، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمِنَ الْأَوْخِيَاءِ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢٥].

رَامَتْ بِجَهْلَتِهَا أَمْرًا وَلَوْ عَلِمَتْ	مَاذَا أُعِدَّ لَهَا فِي الْغَيْبِ لَمْ تَرْمِ
فَخَيَّبَ اللَّهُ مَسْعَاهَا وَغَادَرَهَا	نَهَبَ الرَّدَى وَالصَّدَى وَالرَّيْحَ وَالطَّسَمِ
فَقَوَّضَتْ عُمْدَ التَّرْحَالِ، وَانْصَرَفَتْ	لَيْلًا إِلَى حَيْثُ لَمْ تَسْرَحْ وَلَمْ تَسْمِ
وَكَيفَ تَحْمَدُ عُقْبَى مَا جَنَتْ يَدَهَا	بَغِيًّا وَقَدْ سَرَحَتْ فِي مَرْتَعٍ وَخَمٍ؟!
قَدْ أَقْبَلَتْ وَهِيَ فِي فَخْرٍ وَفِي جَذَلٍ	وَأَذْبَرَتْ وَهِيَ فِي خِزْيٍ وَفِي سَدَمٍ
مَنْ يَرْكَبِ الْغَيَّ لَا يَحْمَدُ عَوَاقِبَهُ	وَمَنْ يُطِيعْ قَلْبُهُ أَمْرَ الْهَوَى بِهِمْ! ^(٤)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧/٥)، وَمُسْلِمٌ (٦١٧/٢).

(٢) الطَّنْبُ - بِضَمَّتَيْنِ - الْوَتْدُ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٠٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٩٠٠).

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١٦/١)، وَغَادَرَهَا: بَقَّاهَا، الرَّدَى: الْهَلَاكُ، وَالصَّدَى: الْعَطَشُ، =

وَقَالَ الصَّرصَرِي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

مؤيد الجيش بالأملاك تقدمه للنصر في حومة الهيجاء ربح صبا
فأصبح الدين معمور الجناح به ومربع الكفر أضحى مقفراً خرباً
١٣- مُدَّةُ لَبَثِ الْحِصَارِ:

فَذَاقُوا بِهِ مُرَّ الْحِصَارِ فَأَصْبَحُوا لَهُمْ ذَلِكَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ حَصِيرٌ^(١)
دَامَ الْحِصَارُ شَهْرًا^(٢)، قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ
مُعَاذٍ سَيِّدَ الْأَوْسِ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَرْبَعَةٌ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ
أَقْلَ الْغَزَوَاتِ قَتْلَى، وَلَمْ يَقَعْ التَّحَامُّ مَبَاشِرٌ بَيْنَهُمْ؛ حَيْثُ حَالَ الْخَنْدَقُ دُونَ
ذَلِكَ، وَكَانَ طَوْلُ الْحِصَارِ سَبَبًا فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّةِ الْأَحْزَابِ، وَاسْتَجَابَ
اللَّهُ ﷻ دَعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِي
السَّحَابِ، هَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلَهُمْ»^(٣).

١٤- الْبَشَارَةُ بِتَغْيِيرِ الْأَسْتِرَاطِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ:

بَعْدَ مَعْرَكَةِ الْأَحْزَابِ زُفَّتِ الْبَشَائِرُ، وَأَشْرَقَتِ الْمَدِينَةُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»^(٤).

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَغْيِيرِ الْأَسْتِرَاطِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ مَرَحَلَةِ الدَّفَاعِ إِلَى

= وَالطَّسَمِ -بِفَتْحَيْنِ-: الظَّلَامُ، وَالْجَذَلُ: الْفَرْحُ، وَالسَّدَمُ -بِفَتْحَيْنِ-: الْغَيْظُ مَعَ الْحُزْنِ.

(١) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٤/٩).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (١٢/١٢٨)، وَ«زَادُ الْمَعَادِ» (٢٤/٩).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٤٢).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٠).

مَرَحَلَةِ الْهُجُومِ.

ثُمَّ اسْتَشَارَتْ قُرَيْشٌ -وَهِيَ ظَالِمَةٌ- أَخْلَافَهَا وَأَتَتْ فِي جَحْفَلٍ لَهُمْ
تَسْتَمِرُّ الْبَغْيَ مِنْ جَهْلٍ، وَمَا عَلِمَتْ فَخَنَدَقَ الْمُؤْمِنُونَ الدَّارَ وَانْتَصَبُوا
لِحَرْبِهِمْ كَضَوَارِي الْأَسَدِ فِي الْأَجَمِ وَمَا اسْتَطَاعَتْ قُرَيْشٌ نَيْلَ مَا طَلَبَتْ
وَهَلْ تَنَالُ الثَّرِيًّا كَفُّ مُسْتَلِمٍ^(١)

١٥- مَا حَصَلَ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ:

له معجزات لا يُؤارى ضياؤها وكيف يُؤارى الصبح أم كيف يُكتم^(٢)
عن جابر رضي الله عنه قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم خَمَصًا شَدِيدًا^(٣)،
فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ^(٤)
فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ، فَفَرَعْتُ إِلَى فَرَاعِي^(٥)، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا^(٦)، ثُمَّ
وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: لَا تَفْضُخْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِمَنْ مَعَهُ
فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحْنَا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ
كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنِ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١٥/٦٠٦)، وَاللَّهُمَّ: الْأَكُونُ، وَاسْتَمِرَّ الطَّعَامُ: وَجَدَهُ مَرِيئًا (أَيُّ: هَيِّئًا حَوِيدَ الْمَغْبَةِ).

(٢) ابْنُ مَعْصُومٍ (٣٤٤).

(٣) خَمَصًا: أَيُّ جَوْعًا.

(٤) أَيُّ سَمِينَةً.

(٥) أَيُّ فَرَعْتُ مِنْ طَحْنِ الشَّعِيرِ حِينَ فَرَعْتُ مِنْ ذَبْحِ الْبُهَيْمَةِ.

(٦) الْبُرْمَةُ: الْقِدْرُ الَّتِي تُطْبَخُ فِيهَا.

جَابِرًا سُورًا^(١) فَحَيَّ هَلَا بِهِلْكُمُ^(٢)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزْنَ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ»، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بَكَ وَبَكَ^(٣)، قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُو حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا^(٤) وَإِنَّ بُرْمَتَنَا. لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبِزُ كَمَا هُوَ^(٥).



(١) السُّورُ: كَلِمَةٌ حَبْشِيَّةٌ مَعْنَاهَا الضَّعِيفُ.

(٢) أَي: هَلُّمُوا مُسْرِعِينَ.

(٣) أَي: تَعَابَيْتُهُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَأَنَّ الطَّعَامَ لَنْ يَكْفِيَنِي هَذَا الْعَدَدَ.

(٤) أَي: ذَهَبُوا.

(٥) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٠٢)، مُسْلِمٌ (٢٠٣٨).

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَا عَظَاهَا وَحَلَ بِحِصْنِهَا ذُلُّ ذَلِيلٌ^(١)

١- سَبَبُ الْغَزْوَةِ:

سَبَبُ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ هُوَ مَا تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ الْخَنْدَقِ مِنْ نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُعَاوَنَتِهِمُ الْأَحْزَابَ عَلَى حَرْبِهِ.

٢- وَقْتُهَا:

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَتْ - أَيْ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ - لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ.

وَكَانَ عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَجُلٍ وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا^(٢).

٣- تَعَجُّلُ النَّبِيِّ ﷺ لِقِتَالِهِمْ:

تَعَجَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ لِلْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصَّنُوا، وَيَأْخُذُوا الْعُدَّةَ لِذَلِكَ.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدُكُمْ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ،

(١) «دِيَوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١٧٥).

(٢) «فَتْحُ الْبَارِي» (٧ / ٤٧١) بِتَصْرُفٍ.

فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ^(١).

٤- جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْكِبٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛

الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ^(٢)
كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ يَتَقَدَّمُهَا جَبْرِيلُ فِي مَوْكِبٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ
السَّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا
وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «فَالَى أَيْنَ؟» قَالَ: هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي
قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ^(٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى غُبَارٍ سَاطِعٍ فِي سِكَّةِ
بَنِي غَنَمٍ، مَوْكِبِ جَبْرِيلَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى
بَنِي قُرَيْظَةَ^(٤).

حَيُّوا الْمَلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ يَقْدُمُهُمْ جَبْرِيلُ فِي غَمَرَاتِ الْهَوْلِ يَفْتَحِمُ
الْأَرْضَ تَرْجُفُ رُغْبًا وَالسَّمَاءُ بِهَا غَيْظٌ يَظَلُّ عَلَى الْكُفَّارِ يَحْتَدِمُ^(٥)

٥- حُكْمُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ؛

نَمَا سَيْدُ الْأَنْصَارِ سَعْدٌ، وَسَدَّدَتْ يَدُهُ فِي أَغْرَاضِهِ النَّصْرَ وَالسَّعْدَا^(٦)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٩).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرَايَا» (٤ / ١٥٠).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٧).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٨).

(٥) «دِيْوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٩٩١).

(٦) «دِيْوَانُ لِسَانِ الدِّينِ الْخَطِيبِ» (٤١٠).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو^(١) آثَارَ النَّاسِ، فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ^(٢) مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، يَحْمِلُ مِجَنَّهُ^(٣)، فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَتْ: فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ، فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ. قَالَتْ: فَمَرَّ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَقُولُ:

لَبَّثَ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا^(٤) حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ
قَالَتْ: فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ الْحَدِيقَةَ، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكَ، مَا جَاءَ بِكَ؟، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَجَرِيئَةٌ، مَا
يُؤْمِنُكَ أَنْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ أَوْ بَلَاءٌ؟!.

قَالَتْ: فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمَيَّيْتُ أَنَّ الْأَرْضَ قَدْ انْشَقَّتْ فَدَخَلْتُ
فِيهَا، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ نَصِيفَةٌ لَهُ، فَرَفَعَ الرَّجُلُ النَّصِيفَ^(٥) عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا
طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ.

فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عُمَرُ، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَأَيْنَ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ؟
قَالَتْ: وَرَمَى سَعْدًا رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ، بِسَهْمٍ

(١) أَقْفُو: اتَّبَعُ.

(٢) وَئِيدَ الْأَرْضِ أَيُّ: حِسَّهَا.

(٣) الْمِجَنَّةُ - بِالْكَسْرِ - الثَّرْسُ.

(٤) الْهَيْجَا: أَيُّ الْحَرْبِ.

(٥) النَّصِيفُ: الْخِمَارُ.

قَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ^(١) فَقَطَعَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَرَأَ كَلِمُهُ^(٢)، وَبَعَثَ اللَّهُ الرِّيحَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٥٥﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢٥].

فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ بِتِهَامَةَ، وَلَحِقَ عُيَيْنَةُ وَمَنْ مَعَهُ بَنَجْدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، فَتَحَصَّنُوا بِصَيَاصِيهِمْ^(٣)، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَضَرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَوَضَعَ السَّلَاحَ، قَالَتْ: فَاتَاهُ جَبْرِيلُ، فَقَالَ: أَوْقَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟!، فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةُ السَّلَاحَ، أَخْرِجْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالرَّحِيلِ، وَلَبَسَ لَأَمَتَهُ^(٤)، فَخَرَجَ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنَمٍ وَكَانُوا جِيرَانَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟ قَالُوا: مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَاتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ، فَقَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ. وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ، فَحَمِلَ عَلَى حِمَارٍ، وَعَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لَيْفٍ وَحَفٍّ بِهِ قَوْمُهُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ

(١) أَكْحَلَهُ: عَرَّقَ فِي الْيَدِ.

(٢) الْكَلِمُ - بِالْفَتْحِ - الْجُرْحُ.

(٣) الصَّيَاصِي: الْحُصُونُ، وَاحِدُهَا: صَيْصَةٌ - بِالْكَسْرِ -.

(٤) اللَّامَةُ: - بِالْفَتْحِ - الدَّرْعُ.

النكايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ ذَرَارِيِّهِمْ
الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: قَدْ أَنْ لَسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمٌ، فَلَمَّا
طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ».
قَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللَّهُ، قَالَ: «أَنْزِلُوهُ»، فَأَنْزَلُوهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَحْكُمْ فِيهِمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقَاتِلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتُسَبَى ذَرَارِيُّهُمْ،
وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ».
ثُمَّ دَعَا اللَّهَ سَعْدُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ
حَرْبٍ قُرَيْشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتُ قَطَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ،
فَانْفَجَرَ كُلُّهُمْ، وَكَانَ قَدْ بَرَأَ مِنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ الْحِمَصِ^(١).
قَالَتْ: فَارْجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَارْجَعَ سَعْدٌ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ: فَوَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَا أَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا
كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْفَتْحُ: ٢٥].

قَالَ عَلْقَمَةُ: فَقُلْتُ أَيُّ أُمَّه، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ؟. قَالَتْ:
كَانَ عَيْنَاهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ إِذَا وَجَدَ^(٢) إِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ^(٣).

(١) الْحِمَصُ - بِالْكَسْرِ - الْحَاءُ، وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ مَكْسُورَةً أَوْ مُفْتُوحَةً -: حُبٌّ مَعْرُوفٌ، وَالْعَوَامُّ
يَقُولُونَ: حُمَصٌ - بِضَمِّ الْحَاءِ وَالْمِيمِ الْمُشَدَّدَةِ -.

(٢) وَجَدَ: حَزَنَ.

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥١٤٠)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٧).

فَلَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ»^(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»^(٢).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةً حَرِيرٍ فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا أَوْ أَلَيْنُ»^(٣).

٦- ضَرْبُ أَعْنَاقِ الْيَهُودِ:

رَفَعُوا بِحَدِّ السَّيْفِ دِينَ هِدَايَةٍ لَوْلَا جَلِيلُ صَنْعِهِمْ مَا قَامَا^(٤) لَمَّا اسْتَنْزَلُوا مِنْ حُصُونِهِمْ، حَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارٍ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ، فَخَنَدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، يَخْرُجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حِيَّيْ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتْمَائَةٌ أَوْ سَبْعُمَائَةٌ، وَسُبْيٍ مَنْ لَمْ يَنْبُتْ مِنْهُمْ مَعَ النِّسَاءِ وَأَمْوَالِهِمْ»^(٥).

فَعَنْ عَطِيَّةِ الْقُرْظِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ، فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ». وَفِي

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٤٩)، الحاكم ٢/٣٠٧، وصححه الألباني «المشكاة» (٦٢٢٨).

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٣)، مسلم (٢٤٦٦).

(٣) رواه البخاري (٣٨٠٢)، مسلم (٢٤٦٨).

(٤) «ديوان أحمد محرم» (٩٠).

(٥) «محاسن التأويل» (١٣/٢٤٤).

رواية: «فكشفوا عانتي، فوجدوها لم تبت، فجعلوني من السبي»^(١).
ثم انتحى بوجوه الخيل ساهمةً بني قريظة في رجاجة حطم
خانوا الرسول فجازاهم بما كسبوا وفي الخيانة مدعاة إلى النقم^(٢)

٧- المرأة الوحيدة التي قتلت من بني قريظة:

قَتَلَتْ نَفْسًا بغيرِ نَفْسٍ فَكَيْفَ تَنْجُو مِنْ الْعَذَابِ
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ تُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ - تَعْنِي بَنِي قُرَيْظَةَ - إِلَّا
امْرَأَةً، إِنَّهَا لَعِنْدِي تُحَدِّثُ: تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ
بِالسُّيُوفِ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟ قَالَتْ: أَنَا، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُكَ؟
قَالَتْ: حَدَّثْتُ أَحَدَهُمْ^(٣)، قَالَتْ: فَأَنْطَلَقَ بِهَا، فَضْرِبْتُ عُنُقَهَا، فَمَا أَنْسَى عَجَبًا
مِنْهَا: أَنَّهَا تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا^(٤) وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ^(٥).



(١) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٤٠٤)، والتِّرْمِذِيُّ (١٥٨٤)، والنَّسَائِيُّ (٦/١٥٥)، وَابْنُ مَاجَةٍ (٢٥٤)، وَأَحْمَدُ (٤/٣١٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةٍ» (٢٥٤).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (١٥/٦٠٦) وَانْتَحَى: مَالَ وَتَوَجَّهَ إِلَى. وَفَرَسَ سَاهِمُ الْوَجْهِ: مَحْمُولٌ عَلَى كَرِيهَةِ الْجَزْيِ، وَقَدْ سُهُمَ. وَكَيْبَةُ رَجْرَاجَةٌ: تَمْوُجٌ وَلَا تَكَادُ تَسِيرُ لِكَثْرَتِهَا. حُطِمَ أَيُّ: عَنِيقَةٌ تَحْطُمُ مَا تَلْقَى.

(٣) طَرَحَتْ الرَّحَى عَلَى خَلَادَ بْنِ سُوَيْدٍ فَقَتَلَتْهُ.

(٤) قولها: [ظهرًا وبطنًا] معناه أَنَّهَا فِي غَايَةِ الْارْتِيَاعِ وَالسَّرُورِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ ارْتِيَاعِهَا وَطُمَأْنِينَتِهَا وَعَدَمِ حُصُولِ الْأَلَمِ وَالضُّجْرِ مِنْهَا. فَمِنْ شِدَّةِ ضَحْكِهَا قَدْ تَسْقَطَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَتَسْتَلْقِي عَلَى بَطْنِهَا.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد ٦/٢٧٧، أبو داود (٢٦٧١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ «صَحِيحُ سُنَنِ دَاوُدَ» (٢٣٢٥).

قَتَلَ أَبِي رَافِعٍ سَلَامَ بْنِ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيَّ

وَسَامَ أَعْدَاءَكَ الْأَشْقِينَ مَا كَسَبُوا وَمَنْ تَرَدَّاءَ رِدَاءَ الْغَدْرِ أَرَدَاهُ
أَبُو رَافِعٍ سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ مِمَّنْ حَزَبَ
الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ
الْيَهُودِيَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ
يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا
دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ:
اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ فَأَقْبَلَ حَتَّى
دَنَا مِنَ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ
الْبَوَّابُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ
الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِقَ
عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ
يُسَمِّرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عِلَالِيٍّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ،
فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنَّ الْقَوْمَ نَذَرُوا بِي
لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسَطَ عِيَالِهِ،
لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا، فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ
الصَّوْتِ فَأَضْرَبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهْشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ
مِنَ الْبَيْتِ، فَأَمَكْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا

رَافِع، فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبْهُ ضَرْبَةً أَثَخَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَّةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أَرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ فَاِنْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ، فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَاِنْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءُ فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَاِنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: ابْسُطْ رِجْلَكَ، فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَانَتْهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ»^(١).



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٣٩).

غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ

وَفِي الْحُدَيْبِيَّةِ الصُّلْحُ اسْتَبَّ إِلَى عَشْرِ وَلَمْ يَجْرِ فِيهَا مِنْ دَمٍ هَدَمَ^(١)

١- مَوْقِعُ الْحُدَيْبِيَّةِ:

الْحُدَيْبِيَّةُ اسْمٌ بِئْرٍ تَقَعُ عَلَى بُعْدِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كَيْلًا إِلَى الشَّامَالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَكَّةَ، وَتُعْرَفُ الْآنَ بِالشَّمِيسِيِّ، وَفِيهَا حَدَائِقُ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَسْجِدُ الرُّضْوَانِ^(٢)، وَأَطْرَافُهَا تَدْخُلُ فِي حُدُودِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، وَمُعْظَمُهَا مِنَ الْحِلِّ خَارِجَةٌ^(٣)، وَقَدْ سُمِّيَتْ الْغَزْوَةُ بِهَا؛ لِأَنَّ فُرِيْشًا مَنَعَتْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ وَهُمْ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ.

٢- وَقْتُهَا:

كَانَ خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ مُسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ بِإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ السَّيْرَةِ^(٤).

٣- الْمَقْصُودُ مِنْهَا:

قَصَدَ ﷺ بِخُرُوجِهِ الْعُمْرَةَ^(٥)، وَبَلَغَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةَ رَجُلٍ^(٦)، وَلَمَّا وَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ صَلُّوا، وَأَخْرَمُوا

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١٦/٦٠٦).

(٢) «نَسَبُ حَرْبٍ» (٣٥٠).

(٣) «رَأْدُ الْمِعَادِ» (٣/٣٨٠).

(٤) «دَلَائِلُ النَّبَوَّةِ» (٢/٢١٢).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٧٨).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٨٥٦).

بالعمرة^(١)، وساقوا الهدى سبعين بدنة^(٢) (٣).

٤- مشاوره النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم؛

فَشاوَرُ نَجُومَ السَّعْدِ رِوَالِقِ بَصْدَرِهَا إِلَى فَلَقٍ فِيهِ الصَّبَاحُ كَمِينٌ^(٤)
بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَيْنًا إِلَى مَكَّةَ، هُوَ بَسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْخَزَاعِيُّ الْكَعْبِيُّ^(٥)،
وَمَضَى الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَنْ وَصَلُوا عُسْفَانَ عَلَى ثَمَانِينَ كَيْلًا مِنْ مَكَّةَ، فَجَاءَهُمْ
بَسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْخَزَاعِيُّ الْكَعْبِيُّ بِخَبَرِ قُرَيْشٍ، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ بِمَسِيرِهِمْ، وَجَمَعَتْ
لَهُمُ الْجُمُوعَ لِمَصَدِّهِمْ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، وَأَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ خَرَجَ بِخَيْلِهِمْ
إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ - عَلَى بُعْدِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ كَيْلًا عَنْ مَكَّةَ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ
فِي أَنْ يَغِيرَ عَلَى دِيَارِ الَّذِينَ نَاصَرُوا قُرَيْشًا، وَاجْتَمَعُوا مَعَهَا؛ لِيَدْعُوا قُرَيْشًا،
وَيَعُودُوا لِلدَّفَاعِ عَنْ دِيَارِهِمْ، فَقَالَ: أَشِيرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَيَّ، أَتَرُونَ أَنْ
أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوَنَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ
يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ ﷻ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ
قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «أَمْضُوا
عَلَى اسْمِ اللَّهِ»^(٦).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٧٨).

(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/٣٢٣)، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

(٣) الْبَدَنَةُ: النَّاقَةُ، سُمِّيَتْ بَدَنَةً لِعِظَمِهَا وَصَخَامَتِهَا.

(٤) «دَوَاوِينَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨١/٤٥٣).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٧٨).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٧٨).

طَلَبَتْ عَزِيزًا لَا يَتَأَلَّ، فَإِنْ يَكُنْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ بِذَاكَ جَدِيرُ
رَضِيتَ بِهِ حَظًّا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَمَا بَعْدَهُ حُرٌّ إِلَيْهِ نُشِيرُ^(١)

٥- صَلَاةُ الْخَوْفِ:

أَنَاحَ بِهِمْ فِي الْأَمْنِ خَوْفُ أَرَاهُمْ كَانَهُمْ يَمْشُونَ فَوْقَ شَفِيرِ^(٢)
صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ، وَذَلِكَ فِي عُسْفَانَ، عِنْدَمَا
عَلِمَ بِقُرْبِ خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ^(٣)، فَيَكُونُ أَوَّلَ صَلَاةِ خَوْفٍ صَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بِعُسْفَانَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ.

٦- ثَنِيَّةُ الْمُرَارِ:

جَيْشٌ مَشَى جَبْرِيلُ تَحْتَ لِيَوَائِهِ وَ مَشَى النَّبِيُّ (مُجَاهِدًا) مِقْدَامًا^(٤)
سَلَكَ النَّبِيُّ ﷺ طَرِيقًا وَعِرَةً عَبْرَ ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ، وَهِيَ مَهْبَطُ الْحُدَيْبِيَّةِ.
وَقَالَ - كَمَا رَوَى عَنْهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحِطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ».
قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا خَيْلُ بَنِي الْخَزَرَجِ، ثُمَّ تَتَمَّ النَّاسُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ»، فَاتَيْنَاهُ
فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ. قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ^(٥) (٦).

(١) «الْحُلَّةُ السَّيْرَاءُ» لِابْنِ الْأَبَّارِ (٢/ ٢١٠).

(٢) «دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٢٠٠٥).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٦٦٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١١٣٣).

(٤) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٍ» (٨٩).

(٥) يَنْشُدُ ضَالَّةً أَيُّ: يَسْأَلُ عَنْهَا.

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٠).

وَقَدْ غَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرِيقَ جَيْشِهِ تَجَنُّبًا لِلِقَتَالِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَخِيَالَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا أَحَسَّ خَالِدٌ بِذَلِكَ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ.

فَأَصْبَحَتْ قَدْ غَادَرَتْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ لَهَا مِنْهُجٌ يَهْدِي الْأَدِلَاءَ لَهْجَمِ^(١)

٧- بُرُوكِ النَّاقَةِ:

تُصْنِي إِلَى أَمْرِ الزَّمَامِ كَمَا عَطَفَتْ يَدُ الْجَانِي ذُرَا الْغُصَنِ^(٢)

لَمَّا اقْتَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالُوا: خَلَّاتِ^(٣)

الْقَصَوَاءُ^(٤)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ

حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي حُطَّةً^(٥)، يُعْظَمُونَ

فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ^(٦)، إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: ثُمَّ عَدَلَ

عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ إِلَى أَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ فَنَزَلَ عَلَى بِئْرِ قَلِيلَةِ الْمَاءِ، فَاشْتَكَى

الْمُسْلِمُونَ الْعَطَشَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ

أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهَا، فَمَا زَالَ يَجِيئُ^(٧) بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَكَانَ تَكْثِيرُ

الْمَاءِ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ^(٨).

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٣٩٠٦) وَمِنْهُجٌ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، وَاللَّهْجَمُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْمُدَّلُّ الْوَاسِعُ.

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤١ / ١١) وَالذُّرَا: جَمْعُ ذُرْوَةٍ -بِالتَّثْنِيَةِ-، وَذُرْوَةُ الشَّيْءِ: أَعْلَاهُ.

(٣) خَلَّاتٌ: بَرَكَتْ.

(٤) الْقَصَوَاءُ: اسْمُ نَاقَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِيلَ: كَانَ طَرَفُ أُذُنِهَا مَقْطُوعًا، وَالْقَصُؤُ: قَطْعُ طَرَفِ الْأُذُنِ،

وَقِيلَ: كَانَتْ لَا تُسَبِّقُ، فَقِيلَ لَهَا الْقَصَوَاءُ؛ لِأَنَّهَا بَلَغَتْ مِنَ السَّبْقِ أَفْصَاهُ.

(٥) حُطَّةٌ أَيْ: خَصْلَةٌ.

(٦) يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ أَيْ: مِنْ تَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ.

(٧) يَجِيئُ: يَفُورُ.

(٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣١).

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مَعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَى لَيْلَةِ الظُّلَمِ
وَفِي عِطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءَ بَرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمٍ^(١)

٨- الْحِكْمَةُ مِنْ بُرُوكِ النَّاقَةِ:

وَاللَّهُ يَحْكُمُ، ثُمَّ يُمْضِي حُكْمَهُ فِي الْكَائِنَاتِ كَمَا يَرَى وَيَشَاءُ^(٢)
قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «إِنَّ ذَلِكَ لِيُعَلِّمَهُ اللَّهُ ﷺ أَنَّهُ أَرَادَ بَعْضُ أَهْلِ
مَكَّةَ خَيْرًا، وَأَنَّهُ لَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْهِمُ الْآنَ، وَأَنَّ دُخُولَهُ مَكَّةَ غَيْبٌ لَنْ يَأْتِ وَقْتُهُ،
فَهَذَا تَعْلِيمٌ لَهُ ﷺ وَتَأْدِيبٌ، وَتَعْلِيمٌ لِأُمَّتِهِ، لِيَرُدُّوا كُلَّ الْأَمْرِ لَهُ ﷺ^(٣)».

٩- إخبار النبي ﷺ قريشًا بمقصده:

وَلَيْسَ الْحَرْبُ مَرْكَبٌ كُلُّ يَوْمٍ وَلَا الدَّمُ كُلُّ آوَنَةٍ حَالًا^(٤)
أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقُرَيْشٍ عَنْ طَرِيقِ رَجَالٍ مُحَايِدِينَ، وَبِوَاسِطَةِ رُسُلٍ
أَرْسَلَهُمْ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ الْحَرْبَ، وَسَعَى لِيَبَانَ مَوْقِفِهِ أَمَامَ النَّاسِ جَمِيعًا أَنَّهُ يُرِيدُ زِيَارَةَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَتَعْظِيمَهُ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ تَتْرَى إِلَى قُرَيْشٍ يُعْلِنُونَ مَقْصَدَهُمْ، فَأَرْسَلَ
خِرَاشُ بْنُ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيِّ، فَأَرَادَتْ قُرَيْشٌ قَتْلَهُ، لَوْلَا أَنَّ مِنْهُمْ الْأَحَابِيشَ، وَأَرَادَ
أَنْ يُرْسَلَ عَمَرٌ، ثُمَّ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى عُثْمَانَ؛ عِنْدَمَا بَيْنَ عُمَرُ شَدِيدَ عِدَاوَتِهِ لِقُرَيْشٍ،
وَأَنَّهَا تَعْلَمُ ذَلِكَ، وَأَنَّ بَنِي عَدِيٍّ قَوْمَهُ لَا يَحْمُونُهُ، فَذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى قُرَيْشٍ، فَأَجَارَهُ
أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ، حَتَّى أَبْلَغَهُمْ رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ سَمَحَتْ لَهُ قُرَيْشٌ
بِالطَّوَافِ، فَأَبَى أَنْ يَسْبِقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

(١) «دِيَوَانُ مُحَمَّدٍ الْعِيدِ آلِ خَلِيفَةَ» (٤٣٣).

(٢) «المحاضرات في اللغة والأدب» (١٠٦٤).

(٣) «أُسْنَى الْمَطَالِبِ فِي أَحَادِيثِ مُخْتَلَفَةِ الْمَرَاتِبِ» لِذُرْوَيْشِ الشَّافِعِيِّ (١/١٠٣).

(٤) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ شَوْقِي» (١/٣٣٤).

١٠- بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ:

لَعَمْرِي؛ لَقَدْ شَدَّتْ عُرَا الدِّينِ بَيْعَةً أَعَزَّ بِهَا الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَحِّدٍ^(١)
 أَرْسَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى قُرَيْشٍ، فَحَبَسَتْهُ (أَي: أَخَرَتْهُ)
 فَحَسِبَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهَا قَتَلَتْهُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْبَيْعَةِ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَمُرَةٍ،
 فَبَايَعُوهُ جَمِيعًا إِلَّا الْجَدُّ بْنَ قَيْسٍ - وَكَانَ مُنَافِقًا - وَكَانَتِ الْبَيْعَةُ عَلَى الْمَوْتِ^(٢).
 وَقَدْ سُمِّيَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ رَضِيَ عَنْهُمْ بِهَا قَالَ ﷺ: ﴿لَقَدْ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ
 عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

١١- سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبَايِعُ النَّبِيَّ ﷺ ثَلَاثَ مَرَاتٍ:

هَمَّ مَضَتْ فِي الْغَابِرِينَ وَأُمَّةٌ مَا بَيْنَا مِنْهَا سِوَى الْأَخْبَارِ
 عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكُوْعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 وَنَحْنُ أَرْبَعٌ عَشْرَةَ مِائَةً وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا. قَالَ: فَقَعَدَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبَا الرِّكْيَةِ^(٣)، فِيمَا دَعَا وَإِمًّا بَصَقَ فِيهَا، قَالَ: فَجَاشَتْ فَسَقَيْنَا
 وَاسْتَقَيْنَا. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ، قَالَ:
 فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ، قَالَ:

(١) «مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ» (٣/ ١٠٦٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٦٩)، وَمُسْلِمٌ (١٨٦٠).

(٣) الْبَتْرُ.

«بَايَعْ يَا سَلَمَةَ!»، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»، قَالَ: وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَزَلًا - يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ - قَالَ: فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً^(١) ثُمَّ بَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ، قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أُعْطَيْتُكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقِيَنِي عَمِّي عَزَلًا، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ ابْعِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي»، ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ، حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ وَاصْطَلَحْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لِبَطْحَةِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَسْقِي فَرَسَهُ وَأَحْسُهُ وَأَخْدِمُهُ، وَأَكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا، فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا، قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَبْغَضْتُهُمْ فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، وَعَلَقْتُ سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ قَتَلَ ابْنُ زُنَيْمٍ، قَالَ: فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي^(٢)، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أَوْلِيكَ الْأَرْبَعَةَ، وَهُمْ رُقُودٌ فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِعْفًا^(٣) فِي يَدِي، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ

(١) الترس.

(٢) أَي سَلَّطْتُهُ.

(٣) حُزْمَةً.

بِهِمْ أَسْوَقُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ^(١) يُقَالُ لَهُ: مَكْرَزُ يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ^(٢) فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ»^(٣)، فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]^(٤).

١٢- ما حَصَلَ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ:

لِئَنَّ فَجَرَ النَّبِيعِ مُوسَى مِنَ الصَّفَا فَأَحْمَدُ أَرَوَى مِنْ أُنَامِلِهِ الرَّكْبَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْيَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ^(٥) فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، قَالَ: فَشَرَبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، فَقِيلَ لَجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً^(٦).

تَفَجَّرَ الْمَاءُ مِنْ إِبْهَامِ إصْبَعِهِ كَأَنَّهُ نَهْرٌ أَوْ هَاطِلٌ عَرِمٌ وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ أَحَادِيثٌ، مِنْهَا:

(١) بطن من قريش.

(٢) مجفف: أي عليه تجفاف وهو ثوب يلبسه الفرس ليقيه من السلاح.

(٣) أي: لهم بدء الفجور، وثناه: أي العودة إليه مرة ثانية.

(٤) مسلم (١٨٠٧).

(٥) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، والجمع ركاء.

(٦) رواه البخاري (٤١٥٢)، ومسلم (١٨٥٦).

قَوْلُهُ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ،
الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»^(١).

وَقَالَ ﷺ لِمَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ»^(٢).
هِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ يُشْرَعُ وَسْطُهَا بَابُ السَّلَامَةِ فَادْخُلُوا بِسَلَامٍ^(٣)
وَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ مَحْبُوسًا فِي قُرَيْشٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى:
«هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»، فَضْرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»^(٤).

ثُمَّ رَجَعَ عُثْمَانُ ﷺ بَعْدَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ مُبَاشَرَةً.

تَحُوطُكَ مِنْ عَلِيٍّ قُرَيْشٍ عَصَابَةٌ
جَرَرْتَ بِهِمْ مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
إِذَا مَرَّ مِنْهُمْ مُوكِبٌ لَاحَ مُوكِبٌ
بِكُلِّ فَتَى مَاضِي الْعَزَائِمِ لَهْذَمٍ
يَرُومُونَ مَجْدًا لَا تَنِي عَزَمَاتُهُمْ
دَفَعْتَ بِهِمْ فِي وَجْهِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
فَأَسَارَتْ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَعَادَرَتْ لِلْإِسْلَامِ صَرْحًا مُمَرَّدًا

لَهَا الْفَلَكَ الدَّوَّارُ تَعْنُو ذَوَائِبُهُ
كَتَائِبَ عَزَمٍ نَائِيَاتٍ رَغَائِبُهُ
تَمْجُّ زُغَافَ الْمَوْتِ صِرْفًا مَقَانِبُهُ
إِذَا اعْتَزَّ شَأْنُ الْعُرْبِ يَعْتَزُّ جَانِبُهُ
عَنِ الْمَجْدِ حَتَّى يُدْرِكَ الْمَجْدَ خَاطِبُهُ
فَخَاضُوا إِلَيْهَا الْمَوْتَ دَهْمًا مَسَارِبُهُ
جَدًّا لَمْ تَشْبُهُ بِالْأَذَاةِ شَوَائِبُهُ
تُنَاطِحُ أَغْنَانَ السَّمَاءِ مَنَاقِبُهُ^(٥)

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٥٤).

(٣) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ».

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٩٨).

(٥) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشُّعْرِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ» (٣٩)، وَنَائِيَاتٍ: بَعِيدَات. وَزُغَافَ الْمَوْتِ - بِالضَّمِّ - سَرِيْعُهُ. وَالْمَنَاقِبُ: جَمْعُ مَقْنَبٍ، وَهُوَ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْخَيْلِ. وَاللَّهْذَمُ: الْحَادُّ الْقَاطِعُ. =

صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ

يُدْفَعُ الشَّرُّ بِالشَّرِّ بِالْإِضْرَارِ رَبُّ صُلْحٍ مِنَ الْوَعَى مُسْتَفَادٌ^(١)
 أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ عَدَدًا مِنَ الرُّسُلِ لِلتَّفَاوُضِ، أَوْلَهُمْ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ،
 وَقَدْ لَاحَظَ تَعْظِيمَ الْمُسْلِمِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحُبَّهُمْ لَهُ، وَتَفَانِيَهُمْ فِي طَاعَتِهِ،
 فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ قَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ
 عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا -قَطُّ- يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ
 مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَحَّمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ
 رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ
 كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَمَا يُحَدِّثُونَ
 النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ: دَعُونِي أَتِيهِ. فَقَالُوا: أَتِيهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ،
 ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُذْنَ،
 فَابْعَثُوا لَهُ».

فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمٌ يُلَبُّونَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا
 يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ
 قَدْ قُلِدْتُ وَأُشْعِرْتُ^(٢)، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

=وَاللَّهِم: الْكَثِيرُ. وَالْمَسَارِب: الْمَرَاعِي. فَاسْأَرْتُ: فَابْتَقَيْتُ. وَغَادَرْتُ: تَرَكَتُ. وَالصَّرْح:
 الْقَصْرُ. وَالْمُرَدُّ: الْمُطْوَلُ.

(١) «دَوَائِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٧ / ٨٦) وَالْوَعَى: الْحَرْبُ.

(٢) أُشْعِرْتُ أَيُّ: جُعِلَتْ عَلَيْهَا عَلَامَةٌ؛ لِيُعْرَفَ أَنَّهَا هَذِي.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ: مُكَرَّرُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ لَهُمْ: دَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: آتِيهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مُكَرَّرُ بْنُ حَفْصٍ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ». فَجَاءَ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ».

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتُطَوَّفَ بِهِ».

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أَخَذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكُتِبَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي فُيُودِهِ^(١)،

(١) يَرْسُفُ فِي فُيُودِهِ أَيُّ: يَثْبُثُ وَثَبًا خَفِيفًا قَدَرِ اسْتِطَاعَتِهِ، فَالْرَّسْفُ: مِشْيَةُ الْمُقَيَّدِ.

وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ، أَوَّلُ مَا أَقْضَيْكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ - إِذَا - لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَجِزْهُ لِي.

قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى، فَافْعَلْ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مَكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ»^(١).

وَتَمَّ الاتِّفَاقُ عَلَى الْأُمُورِ الْآتِيَةِ:

عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشَرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ، وَيَكْفُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ بَغِيرِ إِذْنٍ وَلِيٍّ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ - أَيِ -: بَيْنَهُمْ صَدْرٌ نَقِيٌّ مِنَ الْغِلِّ وَالْخِدَاعِ مَطْوِيٌّ عَلَى الْوَفَاءِ بِالصُّلْحِ - وَإِنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ - أَيِ: لَا سَرِقَةً وَلَا خِيَانَةً -.

وَأَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ.

فَتَوَاتَبَتْ خُزَاعَةٌ، فَقَالُوا: نَحْنُ مَعَ عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ.

وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ.

وَأَنَّكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَنَا هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ،

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣١-٢٧٣٢).

خَرَجْنَا عَنْكَ، فَتَدْخُلُهَا بِأَصْحَابِكَ، وَأَقَمْتَ فِيهِمْ ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحَ الرَّائِبِ لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِ السُّيُوفِ.

هَكَذَا كَانَ صَلُحَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ تَدَمَّرُوا مِنْ هَذِهِ الْإِتْفَاقِيَّةِ، وَضَاقُوا بِهَا ذَرْعًا؛ لِتَصَوُّرِ مُعْظَمِهِمْ أَنَّ فِي شُرُوطِ الصُّلْحِ إِجْحَافًا بِهِمْ، أَدَّتْ إِلَى غَضَبِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى إِذَا أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنْ يَنْحَرُوا الْهَدْيَ، وَيَخْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ بِمَشُورَةٍ مِنْ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَذَبَحَ بُدْنَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ - «قَامُوا فَانْحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ لِبَعْضٍ حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا»^(١).

التَّهَيُّؤُ لِلْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ:

شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي التَّهَيُّؤِ لِلْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، بَعْدَ أَنْ قَامُوا فِي الْحُدَيْبِيَّةِ عِشْرِينَ يَوْمًا، وَبَعْدَ أَنْ تَحَلَّلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عُمْرَتِهِمْ، وَشَرَعَ التَّحَلُّلُ لِلْمُعْتَمِرِ، وَلَا يَلْزِمُهُ الْقَضَاءُ.

وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ نَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا

مُبِينًا ﴿١﴾﴾ [الْفَتْحُ: ١].

نزول سورة الفتح:

فِي مَرْجِعِهِمْ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ عِنْدَ ضَجْنَانَ نَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَدْ عَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَظِيمِ فَرَحِهِ بِقَوْلِهِ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ، سُورَةٌ لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ [الْفَتْحُ: ١]^(٢).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣١).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٧٧).

وَبَنَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ انْقَلَبَتْ كَابَةُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى فَرَحٍ غَامِرٍ، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحِيطُوا بِالْأَسْبَابِ وَالتَّائِجِ، وَأَنَّ التَّسْلِيمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ كُلُّ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَلِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ^(١).

وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أُعْطِيَتْهُ فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءٌ وَإِذَا مَشَيْتَ إِلَى الْعِدَا فَعَضَنْفَرٌ وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ النِّكْبَاءُ وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلْسَّفِيهِ مُدَارِيًّا حَتَّى يَضِيقَ بِعَرَضِكَ السَّفَهَاءُ^(٢) وَقَالَ عُمَرُ بْنُ صَبِيحٍ -حَفَظَهُ اللَّهُ-:

صُلِحَ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْفَتْحُ مُبَسِّمًا بِرَغَمٍ مَا فِيهِ مِمَّا يُورِثُ الْعَمَّا فَخَالَهُ بَعْضُهُمْ قَيْدًا وَمَا عَلِمُوا بِمَا تَرْتَبَ مِمَّا أَزْهَقَ الْهَمَّا

صُلْحُ الْحَدِيثِيَّةِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَتْوحِ:

فَتْحٌ تَكَادُ سَطُورُهُ مِنْ نُورِهَا تَبْدُو فَتُقْرَأُ خَلْفَ طَيَّاتِ الْكُتُبِ^(٣) صُلْحُ الْحَدِيثِيَّةِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَتْوحِ وَيَكْفِي أَنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ فَتَحًا مُبِينًا فَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ بِسَبَبِهِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَحَصَلَتْ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ عَرَفَ الصَّحَابَةُ عَظَمَةَ هَذَا الْفَتْحِ فِيمَا بَعْدُ.

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ

(١) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» د. العمري (١٤٦).

(٢) «ديوان شوقي» (٦)، وَالْعَضَنْفَرُ: الْأَسَدُ، وَالنِّكْبَاءُ: رِيحٌ تَجْرِي بَيْنَ الشَّمَالِ وَالْذَّبُورِ، وَهِيَ رِيحٌ تَقْشَعُ السَّحَابَ.

(٣) ديوان ابن دارج (٤٠).

الْحُدَيْبِيَّةَ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ فَقَالَ: بَلَى فَقَالَ: أَلَيْسَ قِتَالَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتْلَاهُمْ فِي النَّارِ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَعَلَى مَا نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا أَنْزِجُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: «ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا فَزَلَّتْ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ فَتَحَ هُوَ قَالَ: نَعَمْ^(١).

فَتَحَ الْفَتْوحِ أَتَاكَ فِي حُلِّ الرِّضَى بِعَجَائِبِ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ
فَتَحَ الْفَتْوحِ جَنَيْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرِ وَمِنْ أَنْصَارِ^(٢)

إِصَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِسِحْرِ الْيَهُودِ

سَجَايَا كُلِّهَا غَدْرٌ وَخُبْتُ تَوَارِثَهَا يَهُودٌ عَنْ يَهُودٍ
بَعْدَ رَجُوعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِقَلِيلٍ أَصِيبَ بِسِحْرِ يَهُودٍ سَحَرَهُ
لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ.

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ
يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا
يَفْعَلُهُ. قَالَتْ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
ثُمَّ دَعَا ثَمَّ دَعَا ثَمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ
جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ الَّذِي

(١) رواه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥).

(٢) ابن زُرَيْق (١١٣).

عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي مَا وَجَعُ
الرَّجُلُ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ
شَيْءٍ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طُلَعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ قَالَ: فِي بَيْتِ
ذِي أَرْوَانَ. قَالَتْ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا عَائِشَةُ لَكَ أَنَّ مَاءَهَا
نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ وَلَكَ أَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا
أَحْرَقْتَهُ قَالَ: لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا.
فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ^(١).



(١) رواه البخاري (٥٧٦٣).

إِرْسَالُ الْكُتُبِ لِدَعْوَةِ الْمُلُوكِ وَالْأَمَرَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ

وَأَرْسَلَ الرَّسُلَ تَتَرَى لِلْمُلُوكِ بِمَا فِيهِ بَلَاغٌ لِأَهْلِ الذِّكْرِ وَالْفَهَمِ^(١)
أَتَاخُ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ الْفُرْصَةَ لِتَوْسِيعِ نِطاقِ الدَّعْوَةِ دَاخِلَ الْجَزِيرَةِ
الْعَرَبِيَّةِ وَخَارِجَهَا، حَيْثُ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ دُحِيَّةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ،
وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كِسْرَى، وَعَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى
نَجَاشِيِّ الْحَبَشَةِ، وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيِّ إِلَى الْمُقَوْقِسِ حَاكِمِ مِصْرَ،
وَسَلَيْطَ بْنَ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ إِلَى هُوْذَانَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ فِي الْيَمَامَةِ^(٢).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ الْكُتُبَ لِدَعْوَةِ الْمُلُوكِ بَعْدَ صُلْحِ
الْحُدَيْبِيَّةِ - مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ دُحِيَّةَ أُرْسِلَ إِلَى هِرَقْلَ فِي آخِرِ سَنَةِ
سِتٍّ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَوَصَلَ إِلَى هِرَقْلَ فِي الْمُحَرَّمِ
سَنَةِ سَبْعٍ^(٣).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كُلِّ
جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَسَمَّى مِنْهُمْ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيَّ، قَالَ: وَلَيْسَ
بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي أَسْلَمَ»^(٤).

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْر» (١٩/٦٠٦).

(٢) «سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٤/٢٧٩)، وَ«تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٢/٢٨٨).

(٣) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (١/٣٨).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٩٧).

١- رسالة النبي ﷺ إلى قيصر:

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ، مِنْ فِيهِ إِلَيَّ فِي، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيَءَ بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ قَالَ: وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمٍ بَصْرِي، فَدَفَعَهُ عَظِيمٌ بَصْرِي إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: أَهَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بَتَرَجْمَانِهِ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَّبُوهُ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَائِمُّ اللَّهِ لَوْ لَا أَنْ يُؤَثَّرَ عَلَيَّ الْكَذِبُ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ لَتَرَجْمَانِهِ: سَلُهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فَيَكُفُّمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَنْ اتَّبَعَهُ؟ أَشْرَافُكُمْ أَمْ ضِعْفَاؤُكُمْ؟ قُلْتُ: بَلْ ضِعْفَاؤُنَا قَالَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخِطَةٌ لَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالًا يُصِيبُ مِنَّا، وَنُصِيبُ مِنْهُ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ:

لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هُدًى لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أُمْكِنَنِي مِنْ
كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا.
قَالَ لَتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ حَسَبِهِ فَقُلْتُ: إِنَّهُ فِينَا ذُو حَسَبٍ،
وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابٍ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؟
فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ،
وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضْعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشَدَّاؤُهُمْ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ
أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ
أَنْ: لَا، فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعِ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ
عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةُ
لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بِشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ
يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا يَزَالُ إِلَى أَنْ
يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَيَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ
سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ،
وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدُرُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ
قَالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ هَذَا الْقَوْلَ قَالَهُ أَحَدٌ
قَبْلَهُ قُلْتُ: رَجُلٌ اتَّيَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، قَالَ: بِمِ يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ،
وَالزَّكَاةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَاةِ، قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُهُ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ
أَنَّهُ لَخَارِجٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ،
وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلِكَيْلَا يَلْغَنَ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيْ.

قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمْتَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [أَلْ عِمْرَانُ: ٦٤] فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغْطُ وَأَمَرَ بِنَا فَأَخْرَجَنَا قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَدَعَا هِرَقْلُ عُظَمَاءَ الرُّومِ فَجَمَعَهُمْ فِي دَارٍ لَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ إِلَى الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ آخِرَ الْأَبَدِ؟ وَأَنْ يَثْبِتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ؟ قَالَ: فَحَاضُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِقَتْ قَالَ: فَدَعَاهُمْ فَقَالَ: إِنِّي اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمْ الَّذِي أَحْبَبْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ^(١).

٢- رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى كِسْرَى:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فدعا عليهم

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٧٨ - ٧١٩٦).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مَمَزَّقٍ»^(١).
 رَأَى الْيَتِيمَ أَبُو الْإِيْتَامِ غَايَتَهُ قُصَوِيَ فَشَقَّ إِلَيْهَا كُلَّ مِضْمَارٍ
 وَامْتَدَّتِ الْمِلَّةُ السَّمْحَايِرُ عَلَى جَبِينِهَا تَاجُ إِعْظَامٍ وَإِكْبَارِ



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٢٤).

غَزْوَةُ ذَاتِ الْقَرَدِ

هَيْهَاتَ! زُعِزَعَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوَ مُكْتَسِبٍ^(١)
كَانَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الْقَرَدِ بَعْدَ الْحُدَيْيَةِ، وَقَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ، وَذَاتُ
قَرَدٍ اسْمُ مَاءٍ قَرِيبٍ مِنْ خَيْبَرَ.

فَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ بِالْأُولَى - أَيْ
بِغَلَسٍ، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرَعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِينِي غَلَامٌ لِعَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أَخَذْتُ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟،
قَالَ: غَطَفَانُ.

قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ، يَا صَبَاحَاهُ، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتِي
الْمَدِينَةِ - أَيْ: طَرَفِهَا -، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، بِذِي قَرَدٍ، وَقَدْ
أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أُرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:
أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ
فَارْتَجِزْ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللَّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً.

قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ
الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ - أَيْ: مَنَعْتُهُمْ شُرْبَ الْمَاءِ -، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ.
فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكَتَ فَأَسْجِحْ - أَيْ: قَدَرْتَ فَاغْفُ -».

(١) «دِيَوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٢).

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ^(١).
وَأَمَّ ذَا قَرَدٍ فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ يَسْتَنُّ فِي لَاحِبٍ بَادٍ وَفِي نَسَمٍ^(٢)
وجاء بلفظٍ آخر: عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يحكي قِصَّةَ الحديبية،
ومبايَعَتَهُ للنبي ﷺ ثلاثَ مراتٍ قال: ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَزَلْنَا
مَنْزِلًا، بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لَحْيَانَ جَبَلٌ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَأَصْحَابِهِ، قَالَ سَلَمَةُ: فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسٍ طَلْحَةَ أُنْدِيهِ مَعَ الظَّهْرِ^(٣)، فَلَمَّا
أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ
أَجْمَعَ وَقَتَلَ رَاعِيَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَبَّاحُ خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرَحِهِ^(٤)، قَالَ:
ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكْمَةٍ^(٥)، فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا يَا صَبَاحَاهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ
فِي آثَارِ الْقَوْمِ قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى، قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرَحِ^(٦)
وَاللَّهُ مَا فَارَقْنَا مِنْذُ غَلَسِ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا، قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ
نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةً، قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكُنُونِي

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٩٤) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٦).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ» (٦٠٦/١٦)، وَالْجَحْفَلُ اللَّجِبُ: ذُو الْجَلْبَةِ وَالصِّيَاحِ، وَاللَّاحِبُ: الطَّرِيقُ
الْوَاضِحُ. وَالنَّسَمُ -مُتَحَرِّكَةً-: نَفْسُ الرِّيحِ إِذَا كَانَ صَعِيفًا.

(٣) أُنْدِيهِ مَعَ الظَّهْرِ: قَالَ النُّوويُّ: وَمَعْنَاهُ: أَنْ يُوْرَدَ الْمَاشِيَةُ الْمَاءَ فَتُسْقَى قَلِيلًا ثُمَّ تُرْسَلُ إِلَى الْمَرْعَى،
ثُمَّ تُرَدُّ الْمَاءَ فَتَرِدُ قَلِيلًا، ثُمَّ تُرَدُّ إِلَى الْمَرْعَى. ١. هـ «شَرْحُ مُسْلِمٍ» ٦/٣٥٧.

(٤) سَرَحُهُ: أَي مَاشِيَتُهُ الَّتِي يُسْرَحُ بِهَا.

(٥) الْأَكْمَةُ: هِيَ الْكُومَةُ مِنَ الرَّمْلِ أَصْغَرُ مِنَ الْجَبَلِ.

(٦) الْبَرَحُ: أَي شِدَّةُ.

مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي، قَالُوا: لَا وَمَنْ أَنْتَ، قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَذَرْتُهُ وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيَذَرُكَنِي، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ^(١)، قَالَ: فَارْجِعُوا فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، قَالَ: فَإِذَا أَوَّلَهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقْدَادَبْنُ الْأَسْوَدُ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بَعْنَانَ الْأَخْرَمِ، قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ احْذَرْهُمْ لَا يَقْتِطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: يَا سَلَمَةُ إِنْ كُنْتُ تَوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَيْتُهُ فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَعَقَرَ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتَبَعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيْ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا غِبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرْدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، قَالَ: فَظَرُّوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ فَخَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - يَعْنِي: أَجَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونُ فِي ثِيَابِهِ^(٢)، قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُعْصِ كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا.

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قَالَ: يَا ثَكِلَتُهُ أُمُّهُ أَكْوَعُهُ بُكْرَةً^(٣)، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ أَكْوَعُكَ

(١) أَظُنُّ هُنَا بِمَعْنَى الْيَقِينِ، أَي: أَنَا أَتَيَّقُنُ وَأَعْلَمُ هَذَا.

(٢) الثَّيْبَةُ: الطَّرِيقُ أَعْلَى الْجَبَلِ، وَيَسْتَدُونُ: أَي يُسْرِعُونَ.

(٣) أَكْوَعُهُ بُكْرَةً: أَي أَنْتَ الْأَكْوَعُ الَّذِي كُنْتُ فِي أَوَّلِ هَذَا النَّهَارِ.

بُكَرَةً، قَالَ: وَأَرَدُوا^(١) فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسْوَقَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذَقَةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ^(٢)، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّاهُمْ عَنْهُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُمَحٍ وَبُرْدَةٍ وَإِذَا بَلَّالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، وَأَرْتَجِزُ أَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ^(٣)

فَالْحَقُّ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ^(٤) سَهْمًا فِي رَحْلِهِ حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَضَاقَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَاقِقِهِ عُلُوتُ الْجَبَلِ فَجَعَلْتُ أُرْدِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتَّبِعُهُمْ، حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً

(١) أَرَدُوا: أَي تَرَكُّوا.

(٢) السطيحة: إناء من جلودٍ سطَحَ بعضها على بعضٍ، مَذَقَةٌ: قِيلَ: لَبَنٌ مَمْزُوجٌ بِمَاءٍ.

(٣) الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ: أَي يَوْمُ اللَّثَامِ، حَيْثُ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ سَرَقَةَ اللَّبَنِ مِنَ الشَّاةِ أَوْ النَّاقَةِ لِيَشْرِبَهُ لَا يَحْلُبُهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ يَشْرِبُهُ لِئَلَّا يَسْمَعَ أَصْحَابُهَا صَوْتَ اللَّبَنِ وَهُوَ يُحْلَبُ فِي الْإِنَاءِ، إِنَّمَا كَانَ يَضَعُ فَمَهُ فِي ضَرْعِ النَّاقَةِ أَوْ الشَّاةِ فَيَشْرِبُ كَالَّذِي يَرْضَعُ فَلَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ وَهَذَا فَعْلُ اللَّثَامِ مِنَ السَّرَقَةِ.

(٤) أَصُكُّ: أَضْرِبُ.

وثلّاثين رُمحًا يَسْتَخِفُّونَ وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى أَتَوْا مُتَضَائِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فَلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَضَحُّونَ - يَعْنِي: يَتَغَدَّونَ - وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ، وَسَنَامِهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلْنِي، فَأَنْتَخَبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةً رَجُلٌ فَاتَّبِعُ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ^(١)، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا»، قُلْتُ: نَعَمْ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَقْرُونَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرُ لَهُمْ فَلَانٌ جَزُورًا، فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْقَوْمُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَالِنَا سَلَمَةُ»، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ سَهْمِ الْفَارِسِ وَسَهْمَ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَى الْعُضْبَاءِ^(٢) رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبِقُ شَدًّا^(٣)، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ أَلَا مُسَابِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ، قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَايَ وَأُمِّي ذَرْنِي فَلَأُسَابِقَ الرَّجُلَ، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ» قَالَ: قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ وَثْنَيْ رَجُلِي فَطَفَرْتُ^(٤) فَعَدَوْتُ، قَالَ:

(١) أي: فلا يبقى منهم أحدٌ يخبرُ من وراءهم فيستمدُّونهم علينا.

(٢) العضباء: ناقةٌ رسولِ الله ﷺ، وكانت ناقةً نجيبَةً لَا تُسْبَقُ.

(٣) شَدًّا: أي جريًا.

(٤) طفرتُ: أي قفزتُ.

فَرَبَطْتُ^(١) عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفْسِي^(٢)، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ، قَالَ: فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سُبِقْتَ وَاللَّهِ، قَالَ: أَنَا أَظُنُّ، فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ^(٣).

وكانت غزوةُ ذي قردٍ قبلَ الحديبيةِ بثلاثٍ كما ذكرَ ذلكَ سَلَمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
كما سيأتي في غزوةِ خَيْبَرٍ - إن شاء الله - وَرَجَّحَ ذلكَ أنها كانت في السنةِ
السابعةِ قبلَ خَيْبَرٍ بثلاثٍ^(٤).



(١) رَبَطْتُ: أي تَوَقَّفْتُ عن الجَرْيِ.

(٢) أَسْتَبْقِي نَفْسِي: أي أُرِيحُهَا.

(٣) صَحِيحٌ: سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(٤) صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ، بَابُ: غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ، كِتَابُ الْمَغَازِي، وَرَجَّحَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ»

٥٢٦/٧، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ» ٤/ ١٧٤.

غَزْوَةُ خَيْبَرَ

وَمِنْ عَزَمِهِ تَخْرِبُ خَيْبَرَ مِثْلَ مَا قُرَيْظَةُ قَرْضُ وَالنَّظِيرُ نَضِيرٌ^(١)

١- مَوَاقِعُهَا:

تَقَعُ خَيْبَرُ فِي الشَّامِلِ الشَّرْقِيِّ لِلْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَعَلَى بُعْدِ حَوَالِي مِائَةِ وَثَمَانِيَةِ وَسِتِّينَ كَيْلًا.

٢- سَبَبُهَا:

لَمْ يُبْدِ يَهُودُ خَيْبَرَ أَيَّ عِدَاءٍ لِلْمُسْلِمِينَ، حَتَّى لَحِقَ بِهِمْ زُعْمَاءُ بَنِي النَّضِيرِ، عِنْدَمَا أُجْلُوا عَنْ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَكْبَرُ زُعْمَاءِ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ غَادَرُوا الْمَدِينَةَ، وَنَزَلُوا خَيْبَرَ وَهُمْ:

١- سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ.

٢- كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ.

٣- حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ.

فَلَمَّا نَزَلُوها، دَانَ لَهُمْ أَهْلُهَا.

٣- وَقْتُهَا:

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ بَعْدَ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى سَارَ إِلَى خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ (أَيَّ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ)، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

(١) «دَوَائِئُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧٧/٤٥٣).

٤- الاستعداد للمعركة:

وَعَجِيبٌ خُلِفَتْ لِلْحَرْبِ لَيْثًا وَسَجَايَاكَ كُلُّهُنَّ سَلَامٌ
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا
بَلِيلٌ لَمْ يُغْرِبْهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ^(١)،
وَمَكَاتِلِهِمْ^(٢)، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^(٣)، فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «خَرِبْتُ خَيْبَرَ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»^(٤).

فَحَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِضِعِّ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ، كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَقِيلَ أَكْثَرَ
مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَأَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ^(٥).

٥- فَتْحُ خَيْبَرَ:

رَمَاهَا إِمَامُ الرُّسُلِ بِالْأَسَدِ الَّذِي فَرَأَيْتُهُ الْآسَادُ حَالَ اغْتِلَامِهَا^(٦)
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى
يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ^(٧) لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ،

(١) الْمَسَاحِي: جَمْعُ مِسْحَةٍ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ الْمَجْرَفَةُ مِنَ الْحَدِيدِ.

(٢) الْمَكَاتِلُ: جَمْعُ مَكْتَلٍ - بِالْكَسْرِ - وَهُوَ الزَّيْبِيلُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ، غَيْرَ
عَالِمِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَيْشِهِ.

(٣) الْخَمِيسُ: الْجَيْشُ؛ لِأَنَّهُ يَنْقَسِمُ عَلَى خَمْسِ أَقْسَامٍ: مَيْمَنَةٍ، وَمَيْسَرَةٍ، وَمُقَدَّمَةٍ، وَسَاقَةٍ، وَقَلْبٍ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٩٧)، وَمُسْلِمٌ (١٣٦٥).

(٥) الْمَخْمَصَةُ: الْمَجَاعَةُ الشَّدِيدَةُ.

(٦) «دِيَوَانُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ» (٢٦).

(٧) يَدُوكُونَ: يَخُوضُونَ وَيَمْوُجُونَ.

غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟!».

فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَارْسَلُوا إِلَيْهِ»، فَأَتِي بِهِ، فَبَصَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا.

فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رَسُولِكَ - أَيَّ اتِنْدَ وَلَا تَعَجَلْ -، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ؛ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «... خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَجَعَلَ عَمِّي يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ:

تَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَنْزَلَنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ هَذَا؟، قَالَ: أَنَا عَامِرٌ؟، قَالَ: غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ؟،
قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَاسٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتَشْهَدَ؟، قَالَ: فَنادَى
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ؟، يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ لَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ؟،
قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطُرُ بِسَيْفِهِ^(٢) وَيَقُولُ:

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٠٦).

(٢) يَخْطُرُ بِسَيْفِهِ - بِكَسْرِ الطَّاءِ - أَيَّ: يَرْفَعُهُ مَرَّةً، وَيَضَعُهُ أُخْرَى.

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنِّي مَرْحَبُ
شَاكِي السَّلَاحِ ^(١) بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ
قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ فَقَالَ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ ^(٢)
قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تَرْسِ عَامِرٍ وَذَهَبَ عَامِرُ
يَسْئَلُ لَهُ ^(٣)، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ.

قَالَ سَلَمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَخَرَجْتُ إِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ:
بَطَلٌ عَمَلٌ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ.

قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَطَلٌ عَمَلٌ
عَامِرٍ؟.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟!»، قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ،
قَالَ: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ».

ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَاتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُوْدَهُ وَهُوَ
أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ،
وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ:

(١) شَاكِي السَّلَاحِ أَيُّ: تَأَمَّ السَّلَاحِ.

(٢) مُغَامِرٌ أَيُّ: يَرْكَبُ غَمَرَاتِ الْحَرْبِ وَشِدَائِدَهَا، وَيُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا.

(٣) يَسْئَلُ لَهُ أَيُّ: يَضْرِبُهُ مِنْ أَسْفَلِهِ.

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ
شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ
فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ^(١)
كَلَيْثٌ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرَةِ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(٢)
قَالَ: فَضْرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ^(٣).

وَجَاءَ خَيْبَرَ فِي جَأَوَاءٍ كَالِحَةٍ^(٤) بِالْخَيْلِ كَالسَّيْلِ وَالْأَسْيَافِ كَالضَّرَمِ
حَتَّى إِذَا امْتَنَعَتْ شُمُّ الْحُصُونِ عَلَى مَنْ رَامَهَا بَعْدَ إِيغَالٍ^(٥) وَمُقْتَحَمِ
قَالَ النَّبِيُّ سَأُعْطِي رَايَتِي رَجُلًا يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ اللَّهَ ذَا الْكَرَمِ
ذَا مِرَّةٍ^(٦) يَفْتَحُ اللَّهُ الْحُصُونَ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَّارٍ وَلَا بَرِمٍ^(٧)
فَمَا بَدَا الْفَجْرُ إِلَّا وَالزَّعِيمُ عَلَى جَيْشِ الْقِتَالِ عَلِيٌّ رَافِعُ الْعَلَمِ

(١) حَيْدَرُهُ: اسْمٌ لِلْأَسَدِ لِغُلْظِهِ وَقُوَّتِهِ، وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيٍّ سَمَّتَهُ أَوَّلَ وَلَادَتِهِ أَسَدًا بِاسْمِ جَدِّهِ لِأَمِّهِ

أَسَدُ بْنُ هِشَامٍ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ غَائِبًا، فَلَمَّا قَدِمَ سَمَّاهُ عَلِيًّا.

(٢) السَّنْدَرَةُ: مِكْيَالٌ وَاسِعٌ. وَالْمَعْنَى: أَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ قَتْلًا وَاسِعًا ذَرِيعًا.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٧).

(٤) الْجَأَوَاءُ: هِيَ الَّتِي يَعْلُوهَا لَوْنُ السَّوَادِ لِكَثْرَةِ الدُّرُوعِ.

(٥) الْإِيغَالُ: الْإِمْعَانُ فِي السَّرِّ، وَالْمُبَالَعَةُ فِيهِ.

(٦) الْمِرَّةُ - بِالْكَسْرِ - الْقُوَّةُ.

(٧) الْبَرِمُ: الصَّغِيرُ.

فَسَارَ مُعْتَزِمًا حَتَّى أَنَافَ عَلَى^(١) حُصُونِ خَيْبَرَ بِالمَسْلُولَةِ الخُذْمِ^(٢)
فَلَمْ يَزَلْ صَائِلًا^(٣) فِي الحَرْبِ مُقْتَحِمًا غِيَابَةً^(٤) النَّقْعِ^(٥) مِثْلَ الحَيْدَرِ^(٦) القَرَمِ^(٧)
حَتَّى تَبَلَّجَ فَجْرُ النَّصْرِ وَانْتَشَرَتْ^(٨) بِهِ البَشَائِرُ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ^(٩)^(١٠)

٦- تَعَجُّيلُ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ:

قَدْ حَمِدْنَا عِنْدَ الصَّبَاحِ سُرَانًا وَغَنِمْنَا غَنَائِمَ الشُّجْعَانِ^(١١)
كَانَتْ غَنَائِمُ خَيْبَرَ وَعَدًّا مِنَ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَبَعْدَ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَّةِ أَنْزَلَ
اللَّهُ ﷻ: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الْفَتْحُ: ٢٠].
فَتَحَقَّقَ وَعْدُ اللَّهِ لَهُمْ؛ إِذْ عَجَّلَ لَهُمْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾.

٧- قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ:

مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْمُبَاحُ لَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ تَقْسِيمٌ وَتَنْفِيلٌ^(١٢)

(١) أَنَافَ: أَشْرَفَ وَارْتَفَعَ.

(٢) الخُذْمُ: السُّيُوفُ القَوَاطِعُ.

(٣) صَائِلًا: وَائِبًا.

(٤) الغِيَابَةُ: كُلُّ مَا أَظَلَّ الْإِنْسَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ، مِثْلُ: السَّحَابَةِ، وَالْغُبَرَةِ، وَالظُّلْمَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(٥) النَّقْعُ: الْغُبَارُ.

(٦) الْحَيْدَرُ: الْأَسَدُ.

(٧) الْقَرَمُ: الشَّدِيدُ الشَّهْوَةِ لِلْحَمِ.

(٨) تَبَلَّجَ الْفَجْرُ: إِذَا أَشْرَقَ وَأَنَارَ.

(٩) السَّهْلُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا لَانَ. وَالْعَلَمُ -مُنْحَرَكَةً-: الْجَبَلُ.

(١٠) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِي» (٦٠٦/١٦).

(١١) «دِيَوَانُ مُحَمَّدِ الْعِيدِ آلِ خَلِيفَةَ» (٢٤٥).

(١٢) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٥٩/٩) وَالتَّنْفِيلُ: إِعْطَاءُ شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَى سِهَامِ الْغَانِمِينَ.

عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ مَوْلَى الْأَنْصَارِ عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا، جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ، وَعَزَلَ النِّصْفَ الْبَاقِي لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ، وَنَوَائِبِ النَّاسِ^(١).

تَبَاشَرَتِ الْأَقْطَارُ مِنْ فَرَحٍ بِهِ فِي كُلِّ ثَغْرِ مِنْ ظِبَاهِ مَبَاسِمٍ وَمَا تَحْمِلُ الْخَيْلُ الْأَعَادِي جَهَالَةً بِهِ، بَلْ رَجَاءً أَنَّهُنَّ غَنَائِمُ^(٢)

٨- حكاية الشاة المسمومة:

حَلَاوَةٌ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ فَمَا تَأْكُلُ الشَّهَدَ إِلَّا بِسْمِ^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرَ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ». فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟». قَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟»، قَالُوا: أَبُونَا فَلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فَلَانٌ»، قَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ، عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبَائِنَا.

(١) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠١٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٦٠٣).

(٢) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤/٤٧).

(٣) «الْكَشْكُولُ» (١٩/٢).

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ أَهْلُ النَّارِ؟»، فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلِفُونَنَا فِيهَا.

قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتُمْ، اخْسُئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلِفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟».

قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ^(١). وقد بلغ أثر السهم برسول الله ﷺ إلى انقطاع الأبهري منه ﷺ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: « يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ »^(٢).



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٦٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٢٨).

زواجه صلى الله عليه وسلم من صفية رضي الله عنها

حَصَانُ إِنَّ التَّقْوَى اسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا فَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الْجَهْرُ^(١)
كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ سَيِّدَةً قُرَيْظَةً وَالنَّضِيرَ، وَبِنْتُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ.
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ... فَجُمِعَ السَّبْيُ،
فَجَاءَ دَحِيَّةٌ فَقَالَ: أَعْطِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ. قَالَ: «أَذْهَبُ فَخُذُ
جَارِيَةً». فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ
أَعْطَيْتَ دَحِيَّةَ صَفِيَّةَ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ؟ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ.
قَالَ: «ادْعُوهُ بِهَا»، فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «خُذْ جَارِيَةً
مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا».

قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا^(٢).

وكَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ رَأَتْ رُؤْيَا قَبْلَ مَجِيءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
إِلَى خَيْبَرَ: أَنَّهَا سَوْفَ تَكُونُ مِنْ نِسَائِهِ ﷺ.
فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ بَعَيْنِي صَفِيَّةُ خُضْرَةَ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ:
«مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ بَعَيْنُكَ؟».

فَقَالَتْ: قُلْتُ لِرِزْوَجِي: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي

(١) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ عِبْرَ الْعُصُورِ» (٢٦/٨).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧١).

فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: أَتُرِيدِينَ مَلِكٌ يَثْرِبُ؟^(١).

وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَاتَ جَمَالٍ بَاهِرٍ إِلَى نَسَبٍ شَرِيفٍ، فَهِيَ مِنْ نَسْلِ نَبِيِّ
اللَّهِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَدِمْنَا خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ
ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَّ بْنِ أَخْطَبَ - وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا -
فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ،
فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيٍِّّ، وَإِنَّ
عَمَّكَ لَنَبِيٍِّّ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍِّّ»^(٣).

وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ وَجَدَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا،
فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا؛ حَتَّى ذَهَبَ مَا فِي نَفْسِهَا، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ صَفِيَّةَ
أَنَّهَا قَالَتْ: «وَمَا كَانَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ قَتَلَ أَبِي وَزَوْجِي، فَمَا
زَالَ يَعْتَذِرُ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي»^(٤).

كَمْ قَدْ عَذَرْتَ أَنْاسًا دُونَ مَعْدِرَةٍ مَآذَا وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ تَعْتَذِرُ؟!

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٦٧/٢٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٧٩٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١١).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٣/٣)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٨٩٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي
«الْمَشْكَاةِ» (٩١٨٣).

(٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٦٧/٢٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي
«الصَّحِيحَةِ» (٢٧٩٣).

وَكُلُّ فِعْلِكَ خَيْرٌ، وَالصَّوَابُ بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرًا
بِالْحَقِّ وَافَيْتَ وَالظُّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ
وَكُلُّ قَوْلِكَ خَيْرٌ صَادِقٌ نَصْرٌ
وَهَلْ يُلَامُ امْرُؤٌ لِلَّهِ يَأْتِمِرُ؟!
فَسَارَ فِي دَرْبِكَ الْأَنْوَارُ وَالظَّفَرُ^(١)



(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

قُدُومُ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِ السَّفِينَةِ

زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحُسْنِ فَعَالِهِمْ وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحُسْنِ وَجْهِهِ^(١)
عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا
مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي، أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بَرْدَةَ، وَالْآخَرُ أَبُو
رُهِمٍ، إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ، أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ
رَجُلًا مِنْ قَوْمِي.

فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ.

فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا
مَعَنَا، فَأَقِمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا.

قَالَ: فَوَافَقَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا وَلَمْ يُسْهِمْ لِأَحَدٍ
غَابَ عَنْ خَيْبَرَ إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ.
قَالَ: فَكَانَ أَنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا -يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ-: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ
النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ
عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟
قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ.

(١) «دِيَوَانُ الْفَرَزْدَقِ» (١٠٣).

قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟.

فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ.

فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَخُنْ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَعَضِبْتَ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلَّا، وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعْطُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعْدَاءِ الْبُغْضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَطْعِمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَادَّكَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلَا أَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلُ السَّفِينَةِ، هِجْرَتَانِ»^(١).

قَوْمٌ عَلَى كَتِفِ الزَّمَانِ لَبُوسُهُمْ ثَوْبٌ بِحُسْنِ فَعَالِهِمْ مَوْسُومٌ
أَنَارُهُمْ فِي الْحَادِثِينَ حَدِيثُهُ وَفَخَارُهُمْ فِي الْأَقْدَمِينَ قَدِيمٌ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ:

أَبْشَرَ بِهِ يَوْمَ فَتَحَ قَدْ أَضَاءَ بِهِ وَجْهُ الزَّمَانِ، فَأَبْدَى بِشَرِّ مُبْتَسِمٍ
أَتَى بِهِ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ، فَاِبْتَهَجَتْ بِعَوْدِهِ أَنْفُسُ الْأَصْحَابِ وَالْعُزَمِ
فَكَانَ يَوْمًا حَوَى عَيْنَيْنِ فِي نَسَقٍ فَتَحًا وَعَوْدَ كَرِيمٍ طَاهِرٍ الشَّيَمِ^(٣)



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٣٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٠٢).

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٦٩/٢٥).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٦٠٦/١٧) وَالْعُزَمُ: جَمْعُ عَزْمَةٍ - بِالضَّمِّ - وَهِيَ أَسْرَةُ الرَّجُلِ وَقَبِيلَتُهُ.

زَوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

مصونة من غبار الظلم طاهرة فالقسط في غيرها للناس لم يقم
فَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ
فَمَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ فَزَوَّجَهَا النَّجَاشِيُّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّهَرَهَا عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ^(١)،
وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ^(٢).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أُمُّ حَبِيبَةَ مِنْ بَنَاتِ عَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ فِي أَزْوَاجِهِ
مَنْ هِيَ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَيْهِ مِنْهَا، وَلَا مِنْ نِسَائِهِ مَنْ هِيَ أَكْثَرُ صَدَاقًا، وَلَا مَنْ
تَزَوَّجَ بِهَا وَهِيَ نَائِيَةُ الدَّارِ أَبْعَدَ مِنْهَا وَأَمَّا صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ،
عَمَةُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣).

قِصَّةُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَلَاطٍ السَّلْمِيِّ مَعَ قُرَيْشٍ:

فَاعْلَمْ أَنَّكَ لَمْ تَخَادِعْ جَاهِلًا إِنْ الْكَرِيمَ يَفْعَلُهُ يَتَخَادَعُ
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ
عِلَاطٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لِي بِمَكَّةَ مَالًا وَإِنْ لِي بِهَا أَهْلًا وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ
فَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ نِلْتُ مِنْكَ أَوْ قُلْتُ شَيْئًا؟ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ مَا
(١) يَعْنِي: دَرْهَمًا.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢١٠٧)، والنسائي (١١٩/٦)، وصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح أبي داود» (١٨٥٣)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المُسنَد» (١٥٥٢).

(٣) السير (٢١٩/٢).

شَاءَ قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ حِينَ قَدِمَ فَقَالَ: أَجْمَعِي لِي مَا كَانَ عِنْدَكَ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ قَدْ اسْتَبِيحُوا وَأُصِيبَتْ أَمْوَالُهُمْ قَالَ: وَفَشَا ذَلِكَ بِمَكَّةَ فَأَوْجَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَظْهَرَ الْمُشْرِكُونَ فَرَحًا وَسُرُورًا وَبَلَغَ الْخَبْرُ الْعَبَّاسَ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَعَقَرَ فِي مَجْلِسِهِ وَجَعَلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي الْجَزْرِيُّ عَنْ مِقْسَمٍ قَالَ: فَأَخَذَ الْعَبَّاسُ ابْنًا يُقَالُ لَهُ: قُثْمٌ وَكَانَ يُشَبِّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَلْقَى فَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

جَبِّي قُثْمَ جَبِّي قُثْمَ شَبِيهُ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ
نَبِيِّ رَبِّ ذِي النِّعَمِ بِرَغَمِ أَنْفٍ مَنْ رَغَمَ

قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ: ثُمَّ أُرْسِلَ غُلَامًا لَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ عَلَاطٍ فَقَالَ: وَيْلَكَ مَا جِئْتَ بِهِ وَمَاذَا تَقُولُ؟ فَمَا وَعَدَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتَ بِهِ قَالَ الْحَجَّاجُ لِغُلَامِهِ: أَقْرِيءْ، أبا الفضل السَّلامَ وَقُلْ لَهُ: فليُخَلِّ لي بَعْضَ يَوْمِيهِ لِأَتِيَهُ فَإِنَّ الْخَبَرَ عَلَى مَا يَسْرُهُ فَجَاءَ غُلَامُهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ: أَبْشِرْ أبا الفضل فَوَثَبَ الْعَبَّاسُ فَرَحًا حَتَّى قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ الْحَجَّاجُ فَأَعْتَقَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ وَجَرَتْ سِهَامُ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُبَيْبٍ وَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ وَخَيْرَهَا بَيْنَ أَنْ يُعْتِقَهَا فَتَكُونَ زَوْجَتَهُ أَوْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ وَلَكِنِّي جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ لِي هَاهُنَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ وَأَذْهَبَ بِهِ فَاسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْتُ فَأَخَفَ عَنِّي ثَلَاثًا ثُمَّ أَذْكَرُ مَا بَدَا لَكَ قَالَ: فَجَمَعَتْ امْرَأَتُهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حُلِيِّ وَمَتَاعٍ جَمَعَتْهُ فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ أَتَى

الْعَبَّاسُ امْرَأَةُ الْحَجَّاجِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ زَوْجُكَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ وَقَالَتْ: لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ قَالَ: أَجَلٌ لَا يُخْزِينِي اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَاهُ وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ خَيْرَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكَ فَالْحَقِّي بِهِ قَالَتْ أَظُنُّكَ وَاللَّهِ صَادِقًا قَالَ: فَإِنِّي صَادِقٌ وَالْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتُكَ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ حَتَّى أَتَى مَجَالِسَ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ أَبَا الْفَضْلِ قَالَ: لَمْ يُصِيبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ أَنَّ خَيْرَ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أُخْفِيَ عَنْهُ ثَلَاثًا وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَا كَانَ لَهُ ثُمَّ يَذْهَبَ قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ الْكَاتِبَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَتِبًا حَتَّى أَتَوْا الْعَبَّاسَ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ فَسَرَّ الْمُسْلِمُونَ وَرَدَّ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ كَاتِبَةٍ أَوْ غِيْظٍ أَوْ خِزْيٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ^(١).



(١) أخرجه أحمد (١٢٤٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيح» (٥٤٥).

غزوة ذات الرقاع

لا تسألنَّ القوافي عن مآثرهم إن شئت فاستنطق القرآن والصُّحفَا
سببُ تسميتها؛

سُمِّيتْ هذه الغزوة بذاتِ الرقاع؛ لأنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم لفؤا على أَرْجُلِهِم
الْخِرَقَ بعد أن تَنَقَّبَتْ خِفَافُهُمْ.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةٌ
نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا، وَتَقَبَّتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي. وَكُنَّا
نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ، فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنْ
الْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا^(١).

وَقْتُهَا:

كَانَ وَقْتُهَا بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه:
أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي الْخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السَّابِعَةِ، غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ^(٢).

سَبَبُهَا:

سَبَبُهَا هُوَ مَا بَلَغَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أَنَّ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِهِ
وَمَحَالَّتْهُمْ بِنَخْلَةِ قُرْبِ مَكَّةَ وَلَمْ يَجِدْ فِي مَحَالَّتِهِمْ أَحَدًا غَيْرَ النَّسُوءِ فَأَخَذَهُنَّ وَفِيهِنَّ
جَارِيَةٌ وَضِيئَةٌ وَهَرَبَتْ الْأَعْرَابُ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

(٢) رواه البخاري (٤١٢٧).

قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَحْلِ فَلَقِي جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ رَكَعَتَيِ الْخَوْفِ^(١).

ما حصل في غزوة ذات الرقاع:

حاصلٌ في هذه الغزوة أمورٌ وذلك اثناء رجوعه ﷺ إلى المدينة فمنها:

١- اختراط رجل من المشركين لسيف رسول الله ﷺ:

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَذْرَكَتْهُمْ الْقَافِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعَصَا، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنَمَنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ» ثَلَاثًا، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ، وَجَلَسَ^(٢).

٢- قِصَّةُ جَمَلِ جَابِرٍ:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ خِلَافُهُ تُبَيِّنُكَ بِالْخَبَرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكُنْتُ عَلَى جَمَلٍ ثِفَالٍ. إِنَّمَا هُوَ فِي آخِرِ الْقَوْمِ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ «مَنْ هَذَا؟» قُلْتُ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «مَالِكَ؟» قُلْتُ: إِنِّي عَلَى جَمَلٍ ثِفَالٍ. قَالَ: «أَمَعَكَ قَضِيبٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «أَعْطِيهِ». فَأَعْطَيْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ فَضْرَبَهُ فَزَجَرَهُ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي أَوَّلِ الْقَوْمِ. قَالَ: «بِعَيْنِهِ» فَقُلْتُ: بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ

(١) رواه البخاري (٤١٢٧).

(٢) رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

الله. قَالَ: «بِعَيْنِهِ، قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ، وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ».

فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَجِلُ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلَا مِنْهَا. قَالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ». قُلْتُ: إِنْ أَبِي تَوَفَّى وَتَرَكَ بَنَاتٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً قَدْ جَرَّبْتُ خَلَا مِنْهَا. قَالَ: «فَذَلِكَ». فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ: «يَا بِلَالُ، اقْضِهِ وَزِدْهُ» فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وَزَادَهُ قِيرَاطًا. قَالَ جَابِرٌ: لَا تُفَارِقْنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمْ يَكُنْ الْقِيرَاطُ يُفَارِقُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ.

هَذَا نَصُّ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عَنْ مَكِّيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ أَتَمُّ.

وَاخْتَصَرَهُ مُسْلِمٌ، فَلَمْ يُخْرِجْ مِنْهُ إِلَّا طَرَفًا مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قَدْ أَخَذْتُ جَمَلَكَ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ، وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ» لَمْ يَزِدْ.

وَأَخْرَجَا هَذَا الْمَعْنَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَمْرٍو عَامِرِ بْنِ شَرَا حِيلَ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا حَقَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا عَلَى نَاضِحٍ لَنَا قَدْ أَغْيَا، فَلَا يَكَادُ يَسِيرُ، فَقَالَ لِي: «مَا لِبُعِيرِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: أَعْيَا. قَالَ: فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ. فَقَالَ لِي: «كَيْفَ تَرَى بُعِيرَكَ؟». فَقُلْتُ: بِخَيْرٍ، قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ. قَالَ: «أَفْتَيْعُنِيهِ؟» قَالَ: فَاسْتَحْيَيْتُ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَاضِحٌ غَيْرُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَبَعْتُهُ إِيَّاهُ عَلَى أَنَّ لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ حَتَّى أَبْلُغَ الْمَدِينَةَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

إِنِّي عَرُوسٌ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ، فَأَذِنَ لِي، فَتَقَدَّمْتُ النَّاسَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقَيْتَنِي خَالِي يَسْأَلُنِي عَنِ الْبَعِيرِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا صَنَعْتُ فِيهِ، فَلَامَنِي. قَالَ: وَقَدْ كَانَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ: «هَلْ تَزَوَّجْتَ بَكْرًا أَمْ ثِيًّا؟» قُلْتُ: تَزَوَّجْتُ ثِيًّا. فَقَالَ: «هَلَّا تَزَوَّجْتَ بَكْرًا تُلَاعِبُكَ وَتُلَاعِبُهَا».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُوفِّي وَالِدِي - أَوْ اسْتَشْهِدْ - وَلِي أَخَوَاتٌ صَغَارٌ، فَكِرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فَلَا تُؤَدِّبُهُنَّ وَلَا تَقُومَ عَلَيْهِنَّ. فَتَزَوَّجْتُ ثِيًّا لِتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبُهُنَّ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَدَوْتُ عَلَيْهِ بِالْبَعِيرِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَهُ وَرَدَّهُ عَلَيَّ^(١).

٣- أَفْرَاحُ الْحُمْرَةِ وَقَرْيَةُ النَّمْلِ:

جَلَوْتُ عَمَايَاتِ الْقُلُوبِ فَأَبْصَرْتُ وَزِيحَتُ عَنِ اللَّبِّ السَّلِيمِ غِيَاهُ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدَيْهَا رُدُّوْا وَلَدَيْهَا إِلَيْهَا وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَقْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»^(٢).

٤- قِصَّةُ عَبَادَ بْنِ بَشْرٍ وَعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

حُبُّ الرِّسُولِ تَعَلُّقٌ بِصِفَاتِهِ وَتَخَلُّقٌ بِخُلُقِهِ الْأَطْهَارِ

(١) رواه البخاري (٢٩٦٨)، ومسلم (٧١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٧٥)، وصححه الحافظ في «الفتح» ٦ / ١٤٩، وقال: أخرجه أبو داود بإسناد صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٢٩).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأَصَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ امْرَأَةً رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا أَتَى زَوْجَهَا - وَكَانَ غَائِبًا - فَلَمَّا أُخْبِرَ حَلَفَ لَا يَتَّهِي حَتَّى يُهْرِيقَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ دَمًا فَخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْزَلًا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَكْلَأُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟» فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ ﷺ: «فَكُونَا بِفَمِ الشَّعْبِ» قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنَ الْوَادِي فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشَّعْبِ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيكَ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: أَكْفِيهِ أَوَّلَهُ قَالَ قَالَ: فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَآتَى زَوْجَ الْمَرْأَةِ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَيْبَةُ الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتْ قَائِمًا يُصَلِّي ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ وَثَبَتْ قَائِمًا يُصَلِّي ثُمَّ عَادَ لَهُ الثَّلَاثَةَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ فَسَجَدَ ثُمَّ أَهْبَ صَاحِبَهُ وَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أَتَيْتُ فَوَثَبَ فَلَمَّا رَأَاهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ نَذَرَ بِهِ فَهَرَبَ فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَفَلَا أَهْبَيْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ؟! قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَأُهَا فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أَنْفِذَهَا فَلَمَّا تَابَعَ عَلَيَّ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَاذْنَبْتُكَ وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ أُضِيعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقَطَعْتُ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أَنْفِذَهَا^(١).



(١) أخرجه أحمد (١٤٧٠٤) وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٩٣).

إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَعَمَرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

جَمَالَ ذِي الْأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ جَمَالُ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ^(١)
كَانَ صَلُحُ الْحُدَيْبِيَّةِ فَتَحًا لِلْقُلُوبِ، دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ،
الَّذِي كَانَ قَائِدَ فُرْسَانَ فُرَيْشٍ، وَبَطَلَ مَعَارِكَ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ».

وَقَدْ أَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ الْفُتُوحَ.

وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ، أَحَدُ ذُهَاهِ الْعَرَبِ، وَأَحَدُ كِبَارِ
الْقَادَةِ وَالْأُمَرَاءِ، وَفَاتِحُ مِصْرَ، وَقَدْ قَدِمَا بَعْدَ صَلُحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَبِالتَّحْدِيدِ فِي
شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ.

يُرْوَى ذَلِكَ عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَكَانَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ
يَا أَبَا سُلَيْمَانَ.

قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ^(٢)، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٍّ، اذْهَبْ - وَاللَّهُ -
فَأَسْلِمْ، فَحَتَّى مَتَى؟

قَالَ: قُلْتُ: فَأَنَا وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِلْإِسْلَامِ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى

(١) «الْمَحَاضِرَاتُ وَالْمَحَاوِرَاتُ» (٣٩٤).

(٢) اسْتَقَامَ الْمَيْسَمُ: أَيِ: اتَّصَحَّ الْأَمْرُ.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَا أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمْرُو، بَايِعْ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا».

قَالَ: فَبَايَعْتُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ^(١).

سُبْحَانَ مَنْ يَهْدِي الْقُلُوبَ إِلَى التَّقَى مَهْمَا اسْتَطَالَ الظُّلُمُ وَالْإِظْلَامُ!
خَاضُوا الضَّلَالَ وَبِالْمَحَارِمِ أَفْطَرُوا حَتَّى اهْتَدَوْا؛ فَعَنِ الْمَحَارِمِ صَامُوا^(٢)



(١) (حَسَنٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٩٨)، وَالبَغَوِيُّ فِي «التَّارِيخِ» (٢/ ٣١١) مُخْتَصَرًا، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «التَّارِيخِ» (٢/ ١٤٦) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَهُوَ فِي «الْمَغَازِي» (٣/ ٢٧٠)، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٥/ ١٢٣).
(٢) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا - حِفْظُهُ اللَّهُ -.

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

هَوَى جَبَلٌ مِنَ الْعُدَوَانِ عَالٍ وَزُلْزَلَ لِأَذَى صَرْحٍ مَشِيدٍ^(١)
١ - وَفَتْهَا:

كَانَتْ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، حَيْثُ خَرَجَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ قَاصِدًا الْعُمْرَةَ، كَمَا اتَّفَقَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي صَلَاحِ الْحُدُوبِ.
وَتُسَمَّى عُمْرَةُ الْقَضِيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى قُرَيْشًا عَلَيْهَا، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ قَضَى
الْعُمْرَةَ الَّتِي صُدَّ عَنِ الْبَيْتِ فِيهَا؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فَسَدَتْ بِصُدِّهِمْ عَنِ الْبَيْتِ، بَلْ
كَانَتْ عُمْرَةً تَامَّةً مُتَقَبَّلَةً، فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي عُمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُنَّ أَرْبَعُ عُمَرٍ:

١ - عُمْرَةُ الْحُدُوبِ.

٢ - عُمْرَةُ الْقَضَاءِ.

٣ - عُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ.

٤ - الْعُمْرَةُ الَّتِي قَرَنَهَا مَعَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ:

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَارُ
قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدُوبِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَى
أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سِيُوفًا، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا
مَا أَحْبَبُوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالِحَهُمْ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ
بِهَا ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ»^(٢).

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٦٩٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٠).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا هَلَ هَلَالُ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قِصَاءَ عُمَرَتِهِمْ، وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدُوبِيَّةَ، فَخَرَجُوا إِلَّا مَنْ اسْتَشْهَدَ، وَخَرَجَ مَعَهُ آخَرُونَ مُعْتَمِرِينَ، فَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ أَلْفَيْنِ سِوَى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»^(١).

٢- كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ؟

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقِصَاءِ وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ فَقَالَ عُمَرُ: يَا بَنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ شِعْرًا؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ»^(٢).

٣- إظهارُ القوةِ والجلدِ:

إِنَّ التَّعَاوُنَ قُوَّةٌ عُلُوبِيَّةٌ تَبْنِي الرِّجَالَ، وَتُبْدِعُ الْأَشْيَاءَ^(٣) حَتَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى إظهارِ القوةِ والجلدِ فِي طَوَافِهِمْ. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ

(١) «فَتْحُ الْبَارِي» (٧/ ٥٧٢).

(٢) «صَحِيحُ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٩/ ٣٢٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ النَّسَائِيِّ» (٢٨٧٣).

(٣) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ شَوْقِي» (٦٢٧).

الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ لَيَقْدِمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَهُمْ حُمَى يَثْرِبَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا^(١) الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ^(٢)، وَلَمْ يَمْنَعَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ^(٣).

وكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ تَرَكْتَ مَكَّةَ إِلَى جَبَلٍ قُيُقَعَانِ^(٤)، تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَطُوفُونَ، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ قُوَّتِهِمْ^(٥).

٤- خوف الصحابة على نبيهم ﷺ من أهل مكة:

أولئك أبطال الصحابة تحتمي بأسيا فيهم إن داهمتها العظام لما دخل رسول الله ﷺ مكة كان أصحابه ﷺ مُحَدِّقِينَ بِهِ، قَدْ تَوَشَّحُوا السُّيُوفَ يُلْبَثُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُصَابَ بِأَذَى، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «لَمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَتَرْنَاهُ مِنْ غِلْمَانِ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»^(٦).

وعنه - أَيضًا - قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاعْتَمَرْنَا مَعَهُ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ طَافَ وَطُفْنَا مَعَهُ وَأَتَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ وَأَتَيْنَاهَا مَعَهُ وَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَرْمِيَهُ أَحَدٌ^(٧).

(١) الرَّمْلُ: إِسْرَاعُ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الْخُطَا، وَهَزُّ الْكَتِفَيْنِ.

(٢) وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ أَيُّ: حَيْثُ لَا تَقَعُ عَلَيْهِمُ أَعْيُنُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّهُمْ مَا كَانُوا فِي تِلْكَ الْجِهَةِ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٦٠٢)، وَمُسْلِمٌ (١٢٦٦).

(٤) قُيُقَعَانُ: هُوَ جَبَلٌ يُوَاجِهُهُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ مِنَ الْكَعْبَةِ.

(٥) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٣٢٠ / ٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ النَّسَائِيِّ» (٢٨٧٣).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٥٥).

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٧٩١).

٥- مُدَّةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ:

وَمَا الدَّهْرُ يَوْمًا وَاحِدًا فِي اخْتِلَافِهِ وَمَا كُلُّ أَيَّامِ الْفَتَى بِسَوَاءٍ ^(١)
أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ الْمُشْرِكُونَ الْوَفَاءَ بِالْعَقْدِ، فَأَذَّنَ
بِالرَّحِيلِ.

فَعَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «... فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الْأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا:
قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ
فَنَادَتْ: يَا عَمُّ يَا عَمُّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دُونَكَ
ابْنَةُ عَمِّكَ أَحْمِلِيهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا
وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي.

وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي.

فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِحَالَتِهَا - وَقَالَ: «الْحَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ» ^(٢).



(١) «دِيَوَانُ أَبِي الْعَتَاهِيَّة» (١).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٩٩).

زَوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

كَرِيمَةً مِنْ ذَوَاتِ الطُّهْرِ فَاضِلَةً قَدْ كَانَ مِثْلَ اسْمِهَا طَبَقًا مُسَمَّاهَا^(١)
تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ فِي رِحْلَةِ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ.
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ»^(٢).
عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَبَنَى
بِهَا بِسْرَفٍ»^(٣).

وَمَيْمُونَةُ هِيَ آخِرُ نِسَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْتًا بَعْدَهُ، وَالْعَجَبُ أَنَّهَا مَاتَتْ
بِسْرَفٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَكَانُ عُرْسِهَا هُوَ مَكَانُ
دَفْنِهَا.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ عَنْ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا
حَلَالًا وَبَنَى بِهَا حَلَالًا وَمَاتَتْ بِسْرَفٍ فَدَفَنَّاها فِي الظُّلَّةِ الَّتِي بَنَى بِهَا فِيهَا
فَنَزَلَتْ فِي قَبْرِهَا أَنَا وَابْنُ عَبَّاسٍ»^(٤).

(١) «دِيَوَانُ إِبْرَاهِيمَ الْيَازَجِيِّ» (٢٠٢).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٥٩).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٩٩).

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٣٣/٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٠٣/٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِحْسَانِ فِي التَّعْلِيقِ

عَلَى صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ» (٤١٣٤).

تَصَالُحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِ خَيْبَرَ

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ أَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ حِينَ ظَهَرَ عَلَيْهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَأَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، فَسَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْرَهُمْ بِهَا عَلَى أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا، وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُقْرُكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا»^(١).

فَكَانَ الصُّلْحُ مَعَ يَهُودِ خَيْبَرَ مُشْرُوطًا بِإِخْرَاجِهِمْ إِذَا شَاءَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ. وَلِذَلِكَ أَخْرَجَهُمْ عُمَرُ رضي الله عنه فِي إِمَارَتِهِ وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَامِلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نَخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، وَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيَلْحِقْ بِهِنَ وَإِنِّي مُخْرِجُ يَهُودَ، فَأَخْرَجَهُمْ^(٢).

وَكَانَ سَبَبُ إِخْرَاجِهِمْ أَنَّهُمْ اعْتَدَوْا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عِنْدَمَا ذَهَبَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ لَيْلًا، فَقَامَ عُمَرُ رضي الله عنه خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامِلَ أَهْلِ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: نُقْرُكُمْ مَا أَقْرَكُمْ اللَّهُ وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ فَعُدِي عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ فَفَدَعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ^(٣)،

(١) رواه البخاري (٣١٥٢)، ومسلم (١٥٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠٧)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٥٩): حسن صحيح.

(٣) الفدع: هو زوال المفصل، وأخرج البخاري حديثاً معلقاً: أنهم ألقوه من فوق بيت ففدعوا يديه.

وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، هُمْ عَدُوُّنَا وَتَهْمَتُنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقْرَنَّا مُحَمَّدٌ ﷺ وَعَامَلْنَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ بَكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْرٍ تَعْدُو بِكَ قُلُوبُكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ»^(١)، فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ^(٢)، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيَمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ مَالًا وَإِبِلًا وَعُرُوضًا مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٣).

وكان النبي ﷺ قد صالح أهل خيبر على أن لا يكتُموا ولا يُغيبوا شيئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ، فَغَيَّبُوا مَسْكَ لَحِيٍّ بْنِ الْحَطَبِ، وَقَدْ كَانَ قَتْلَ قَبْلِ خَيْبَرَ، كَانَ اخْتَمَلَهُ مَعَهُ يَوْمَ بَنِي النُّضِيرِ حِينَ أَجْلَبَتِ النُّضِيرُ، فِيهِ حُلِيِّهِمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَعِيَّةَ^(٤): «أَيْنَ مَسْكَ حِيٍّ بْنِ أَحْطَبٍ؟»، قَالَ: أَذْهَبَتْهُ الْحُرُوبُ وَالنَّفَقَاتُ، فَوَجَدُوا الْمَسْكَ، فَقَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَهُمْ وَأَرَادَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ دَعْنَا نَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَلَنَا الشَّطْرُ مَا بَدَا لَكَ وَلَكُمْ الشَّطْرُ^(٥).



(١) القُلُوصُ - بفتح القاف -: الناقَةُ الصابرةُ على السيرِ، وقيل: الشَّابَّةُ، وفي ذلك إشارةٌ من النبي ﷺ إلى أخراجهم من خيبرَ وكان ذلك من إخبارِهِ بِالْغِيَبَاتِ قبل وقوعِهَا.

(٢) هُزَيْلَةٌ: تصغيرُ هَزَلٍ، وهو ضدُّ الجِدِّ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٢٧٣٠).

(٤) عَمُّ حِيٍّ بْنِ أَحْطَبٍ.

(٥) أخرجهُ أبو داود (٣٠٠٦)، وَحَسَنَهُ الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (٢٦٥٨).

غزوة مؤتة^(١)

قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غَيْرَ سُرُورٍ^(٢)

١- وَقْتُهَا:

فِي جَمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا قَوَامُهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ إِلَى الشَّامِ، وَعَيْنَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِيرًا عَلَيْهِ، فَإِنْ أَصِيبَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «^(٣)».

وَهَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي يَتَّخِذُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ هَذِهِ الْأَحْيَاطِ، وَرُبَّمَا كَانَ مُتَوَقِّعًا أَنْ تَحُفَّ الْأَخْطَارُ هَذِهِ الْحَمْلَةَ لَوَجْهَتِهَا الْبَعِيدَةُ، وَلِعَدَمِ وَقُوعِ احْتِكَالِ سَابِقِ بِمَنَاطِقَ تَخْضَعُ لِنُفُوذِ دَوْلَةٍ قَوِيَّةٍ: كَالْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ قَبَائِلُ الشَّامِ وَأَطْرَافِهَا مُوَالِيَةً لَهَا سِيَاسِيًّا.

٢- الْمَلْحَمَةُ:

وَشَبَابٍ مَأْسَدَةٍ كَأَنَّ سَيُوفَهُمْ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ بُرُوقُ رُعودٍ^(٤) وَصَلَ الْجَيْشُ إِلَى مَعَانَ^(٥) عِنْدَمَا وَصَلَتْهُ أَخْبَارُ وَصُولِ هِرَقْلٍ بِأَرْضِ مَابَ

(١) مُؤْتَةُ: قرية بأدنى بلاد الشام في منطقة البلقاء.

(٢) «دِيَوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٨٩).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٦١).

(٤) «الْحَمَاسَةُ الْبَصَرِيَّةُ» (١٧٨/١).

(٥) مَعَانَ - بِالْفَتْحِ - حِصْنٌ كَبِيرٌ بِالْأَرْدَنِ.

-وَهِيَ الْبَلْقَاءُ- فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ، وَ مِائَةِ أَلْفٍ أُخْرَى مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ: لَحْمٍ، وَجُذَامٍ، وَقَضَاعَةَ (بَهْرَاءَ، وَبَلْيَ، وَبَلْقَيْنَ).

فَانْدَفَعَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِالنَّاسِ إِلَى مَنْطِقَةِ مُوتَةَ جَنُوبِ الْكَرْكِ بَيْسِيرٍ، حَيْثُ أَثَرَ الْأَصْطِدَامُ بِالرُّومِ هُنَاكَ، فَكَانَتْ مَلْحَمَةً، سَجَلُ فِيهَا الْقَادَةُ الثَّلَاثَةُ بِطُولَاتٍ عَظِيمَةً، انْتَهَتْ بِاسْتِشْهَادِهِمْ، فَشَاطِ (١) زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ عَنْ رِمَاحِ الرُّومِ فَاسْتُشْهِدَ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ، فَعَقَرَ فَرَسَهُ (٢) الشَّقْرَاءَ، وَقَاتَلَ بِالرَّايَةِ، فَقُطِعَتْ يَمِينُهُ، فَأَمْسَكَهَا بِشِمَالِهِ، فَقُطِعَتْ، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَتَرَدَّدَ يَسِيرًا، ثُمَّ انْدَفَعَ، فَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمَ، وَنَادَى فِي الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَخْتَارُوا قَائِدًا، فَاخْتَارُوا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَقَدْ أَدْرَكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ خُطُورَةَ الْمَوْقِفِ، فَأَعَادَ تَنْظِيمَ الْجَيْشِ، وَبَدَّلَ الْمَيْسِرَةَ بِالْمَيْمَنَةِ، وَجَعَلَ قِسْمًا مِنَ الْجَيْشِ يَتَقَدَّمُونَ مِنَ الْخَلْفِ، وَكَانَهُمْ أَمْدَادُ جَدِيدَةٍ لِإِيْهَامِ الرُّومِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ الْقِيَامِ بِالنِّسْحَابِ مُنْظَمٍ، لَمْ يُفْقِدْهُ إِلَّا الْيَسِيرَ مِنْ رِجَالِهِ، حَيْثُ سَمَّتِ الْمَصَادِرُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهِيدًا (٣).

وَسَارَ زَيْدُ أَمِيرًا نَحْوَ مُوتَةَ فِي بَعَثٍ فَلَاقَى بِهَا الْأَعْدَاءَ مِنْ كَثَمٍ فَعَبَّأَ الْمُسْلِمُونَ الْجُنْدَ وَاقْتَتَلُوا قِتَالٌ مُنْتَصِرٍ لِلْحَقِّ مُنْتَقِمٍ فَطَاحَ زَيْدٌ وَأَوْدَى جَعْفَرُ وَقَضَى تَحْتَ الْعَجَاجَةِ عَبْدُ اللَّهِ فِي قُدَمٍ

(١) فَشَاطِ أَيُّ: سَالَ دَمُهُ.

(٢) عَقَرَ فَرَسَهُ أَيُّ: ضَرَبَ قَوَائِمَهَا بِالسَّيْفِ وَهِيَ قَائِمَةٌ.

(٣) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٣/ ٤٣٠-٤٤٧)، وَلَمْ يُسَنِّدِ ابْنُ إِسْحَاقَ قِصَّةَ الْوَاقِعَةِ سِوَى عَقْرِ جَعْفَرٍ لِفَرَسِهِ، وَخَبَرَ تَرَدُّدَ ابْنِ رَوَاحَةَ، ثُمَّ إِفْدَامِهِ، حَيْثُ سَافَهُمَا بِإِسْنَادٍ حَسَنِ، وَفِيهِ جَهَالَةٌ أَسْمِ الصَّحَابِيِّ، وَلَا تَضُرُّ. انْظُرْ: «حَاشِيَةُ السِّيَرَةِ الصَّحِيحَةِ» لِلْعَمَرِيِّ (٢/ ٤٦٨).

لَا عَارَ بِالْمَوْتِ فَالْشَّهْمُ الْجَرِيءُ يَرَى
وَقَالَ أَسْتَأْذِنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - :
أَنَّ الرَّدَى فِي الْمَعَالِي خَيْرٌ مُغْتَمٍّ^(١)

وَيَوْمَ مُؤْتَةَ بِأَسْمِ الْمَوْتِ قَدْ قُرِنَتْ
لَمْ يَرْهَبُوا الْجَمْعَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً
نُفُوسُهُمْ تَسْتَظِلُّ الْمَوْتَ أَوْسَمَةً
وَالْأَسَدُ مَا بَيْنَ مَلْثُومٍ وَمُلْتَمَمٍ
حُبُّ الشَّهَادَةِ يَمْحُو رَهْبَةَ الْعَمَمِ
وَأَنْفُسُ الْكُفْرِ تَبْنُو عَنْهُ فِي الْأَكَمِ
٣- عَبْقَرِيَّةُ خَالِدٍ :

كَتَائِبُ مِنْ أَقْوَامِنَا خَالِدِيَّةٌ وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا خَالِدٌ وَكَتَائِبُهُ^(٢)
لَقَدْ أَظْهَرَتْ عَبْقَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْإِنْسِحَابِ الْمُنْظَمِ النَّاجِحِ
فَتْحًا عَظِيمًا، حَيْثُ تَمَكَّنَ مِنْ إِنْقَازِ جَيْشِهِ مِنْ بَحْرِ مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ، وَمِنْ فَيَالِقِ
تَرْبُو عَلَيْهِمْ سَبْعِينَ ضِعْفًا بِخَسَائِرِ طَفِيفَةٍ، مَعَ الْإِثْخَانِ فِي الرُّومِ، وَإِصَابَتِهِمْ
بِقَتْلَى وَجَرَحَى.

فَهَا هُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا «لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ،
فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ»^(٣).

وَقَدْ سَمَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدًا سَيْفًا مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ، وَسَمَّى عَمَلَهُ
هَذَا فَتْحًا.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ
أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١٧/٦٠٦) وَالْكَثْمُ - مُتَحَرِّكَةٌ - : الْقُرْبُ.

(٢) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٧٨).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٦٥).

أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، -وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ- حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ
اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(١).

غَطَّارِفَةٌ تَمْضِي الْعُصُورُ وَذِكْرُهُمْ فَتِي شَبَابٍ كُلَّمَا شَخِنَ أَفْغَعَا
وَلَوْ أَغْفَلَ التَّارِخُ ذَكَرَ فِعَالِهِمْ دَعَا نَاطِقُ الْأَثَارِ مِنْهَا فَأَسْمَعَا^(٢)

٤- جَنَاحَانِ لَجَعْفَرٍ فِي الْجَنَّةِ:

فَلَا يَشُبُّ أَجَرَ الْجِهَادِ الَّذِي فُزْتُ بِهِ دُونَ الْوَرَى مَأْتُمْ^(٣)
أَبْلَى جَعْفَرٌ بَلَاءٌ حَسَنًا، يُحَدِّثُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ -وَكَانَ حَاضِرًا-: «لَقَدْ
وُجِدَ فِي جَسَدِ جَعْفَرٍ أَكْثَرُ مِنْ تِسْعِينَ إِصَابَةً بِالرَّمَّاحِ وَالسَّهَامِ»^(٤).
وَمَا أَقْعَدَهُ ذَلِكَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى الرَّمَقِ الْأَخِيرِ.

وَقُطِعَتْ يَدَاهُ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ يَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي
طَالِبٍ مَلَكًا يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ»^(٥).

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ»^(٦).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٦٢).

(٢) «دِيَوَانُ إِبْرَاهِيمَ الْيَازِجِيِّ» (٩٧)، وَالْعَطَّارِفَةُ: جَمْعُ غَطَّارِيفٍ -بِالْكَسْرِ- وَهُوَ السَّيِّدُ الْكَرِيمُ
الشَّرِيفُ السَّخِيُّ.

(٣) «دِيَوَانُ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ» (٤١٨).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٦).

(٥) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٧٦٣)، وَالْحَاكِمُ (٤٩٣٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٢٢٦).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٠٩).

ثَوُوا فِي الثَّرَى مِنْ بَعْدَمَا سُرِبُوا الْعَلَا وَمِنْ بَعْدَمَا سَمُّوا نُجُومَ الْمَحَافِلِ
مَصَارِعُ لَمْ تُورَثْ شَنَارًا، وَإِنَّهَا لَيُرْتَعُ فِيهَا شَامِتٌ عِنْدَ جَاهِلٍ^(١)
٥- مَكَانَةٌ شُهَدَاءِ مُؤْتَةٍ:

هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ^(٢)
ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شُهَدَاءَ مُؤْتَةٍ، وَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُمْ عِنْدَنَا». أَوْ قَالَ:
«مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»^(٣).

هُمْ الْقَوْمُ فَازُوا بِالشَّهَادَةِ وَالرِّضَا عَنْ الْقَوْمِ لَا تَسْأَلُ، وَعَنْ نَفْسِكَ اسْأَلِ
لَهُمْ عِنْدَ مَوْلَاهُمْ جَنَانٌ تَزَيَّتَ وَجَنَاتُ رَبِّي فَوْقَ كُلِّ تَخِيلٍ
فَيَا نَفْسُ، سِيرِي سَيْرَهُمْ وَافْتَدِي بِهِمْ فَإِنَّكَ فِي دَرْبِ الْيَقِينِ الْمُؤَجَّلِ^(٤)



(١) «ذِيوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٥٣٤) وَالشَّنَارُ - بِالْفَتْحِ - أَقْبَحُ الْعَيْبِ وَالْعَارُ.

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٩ / ٦٥).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٩٨).

(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

هُمُومُ ضَارِبُوا عَنْهُ، فَصَانُوا ذِمَارَهُ بِصَارِمٍ عَزِمَ مَا يُرَدُّ مَضَاوُهُ^(١)
لَمْ تَمْضِ سِوَى أَيَّامٍ عَلَى عَوْدَةِ الْجَيْشِ مِنْ مُوتَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى
جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا بِقِيَادَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ؛ وَذَلِكَ
لِتَأْدِيبِ قُضَاعَةَ الَّتِي غَرَّهَا مَا حَدَثَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي مُوتَةٍ الَّتِي اشْتَرَكَتْ فِيهَا
إِلَى جَانِبِ الرُّومِ، فَتَجَمَّعَتْ تُرَيْدُ الدُّنُوِّ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَتَقَدَّمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي دِيَارِهَا، وَمَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ
يَسْتَعِينَ بِبَعْضِ فُرُوعِ قُضَاعَةَ، وَقَدْ بَلَغَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ جُمُوعَهَا كَبِيرَةٌ،
فَاسْتَمَدَّ الرَّسُولَ ﷺ، فَأَمَدَّهُ بِمِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ
وَعُمَرُ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ تَوَغَّلَ الْجَيْشُ فِي قُضَاعَةَ الَّتِي هَرَبَتْ وَتَفَرَّقَتْ، وَقَدْ أَعَادَتْ هَذِهِ
الْحَمْلَةَ الْهَيْبَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ، تِلْكَ الْهَيْبَةُ الَّتِي كَانَتْ أَحْدَاثُ
غَزْوَةِ مُوتَةٍ قَدْ زَعَزَعَتْهَا^(٢).

أُولَئِكَ إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ فَإِنَّ لَدَيْهِمْ حَسَبًا وَجُودًا
هُمُ خَيْرُ الْمَعَاشِرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَوْرَاهَا إِذَا قُدِحَتْ زُنُودًا^(٣)

(١) «دِيُونُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٥) وَالذَّمَارُ - بِالْكَسْرِ - مَا يَلْزُمُكَ حِفْظُهُ وَحِمَايَتُهُ.

(٢) «انْظُرْ: السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ»، لِلْعِمْرِيِّ (٥٠٨).

(٣) «طَبَقَاتُ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ» (١/١٤٦) وَالْإَوْرَاءُ: إِشْعَالُ النَّارِ. وَالزُّنُودُ: جَمْعُ زَنْدٍ - بِالْفَتْحِ - وَهُوَ
الْعُودُ الَّذِي يُقَدِّحُ بِهِ النَّارَ.

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

لَهُ اللَّهُ فِي عَيْنِهِ بَذْرٌ وَمُؤْتَةٌ وَفِي قَلْبِهِ ذَاتُ السَّلَاسِلِ وَالْجِسْرِ



قِصَّةُ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةٍ

الْحَزْمُ هَادٍ وَالسِّيَاسَةُ مَرْكَبٌ وَالْعَزْمُ حَادٍ وَالْمَضَاءُ قَرِينٌ^(١)
بَعْدَ غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ قَدِمَ رَجَالٌ مِنْ قَبِيلَتِي عُكْلٍ وَعُرَيْنَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ،
وَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ، ثُمَّ طَلَبُوا أَنْ يَسْكُنُوا الرَّيْفَ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَوْخِمُونَ الْمَدِينَةَ،
فَأَمَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِنِيقٍ وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا
وَأَبْوَالِهَا، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الْحَرَّةِ، كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَقَتَلُوا
رَاعِي النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَأْفَقُوا النِّيقَ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ،
فَجَاءُوهُ بِهِمْ، حَيْثُ سُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ^(٢)، وَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ، وَتَرَكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ
حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ.

وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهَا عَنِ الْمُثَلَّةِ^{(٣)(٤)}.



(١) «ذِيوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٦٠).

(٢) سُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ أَي: فُقِئَتْ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٩٢)، وَمُسْلِمٌ (١٦٧١).

(٤) الْمُثَلَّةُ - بَوْرُنِ الْغُرْفَةِ - هِيَ الزِّيَادَةُ بَعْدَ الْقَتْلِ مِنْ جَدْعِ أَنْفٍ، أَوْ أُذُنٍ، أَوْ أَطْرَافٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وفاة النجاشي

مَلِكٌ يَرَى الدُّنْيَا بِأَيْسَرِ لَحْظَةٍ وَيَرَى الْآخِرَةَ رَحِمًا مِنَ الْأَرْحَامِ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهَجْرَةِ تَوَفَّى مَلِكُ الْحَبَشَةِ أَصْحَمَةُ النِّجَاشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَنَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ، فَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْغَائِبِ. وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ صَلَّى ﷺ عَلَى غَائِبٍ سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ بَيْنَ نَصَارَى، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ خَرَجُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَامَ خَيْبَرَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى لَهُمُ النِّجَاشِيَّ، صَاحِبَ الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُم»^(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ مَاتَ النِّجَاشِيُّ: مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُم أَصْحَمَةَ^(٢).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ: «صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النِّجَاشِيِّ فَصَفَّنَا وَرَاءَهُ فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوْ الثَّلَاثِ»^(٣).



(١) رواه البخاري (٣٨٨٠)، ومسلم (٩٥١).

(٢) رواه البخاري (٣٨٧٧)، ومسلم (٩٥٢).

(٣) رواه البخاري (٣٨٧٨)، ومسلم (٩٥٢).

فَتْحُ مَكَّةَ

فَيَا لَكَ مِنْ فَتْحٍ غَدَا زِينَةَ الْعُلَى وَوَاسِطَةَ الدُّنْيَا، وَفَائِدَةَ الْعَصْرِ^(١)
 فَتْحُ مَكَّةَ الْحَدِيثُ عَنْهُ ذُو شُجُونٍ، فَهُوَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ
 بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ، وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الْأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ
 هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي اسْتَبَشَرَ بِهِ
 أَهْلُ السَّمَاءِ، وَضَرَبَتْ أَطْنَابُ^(٢) عِزِّهِ عَلَى مَنَاكِبِ الْجَوَازِ^(٣)، وَدَخَلَ النَّاسُ
 بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا^(٤).

فَتْحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ، أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ
 فَتَحُّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ^(٥)
 ١ - وَقْتُهَا:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَكَّةَ فَانْهَضَ لَهَا فَاللَّهُ جَلَّ بِنَصْرِهِ لَكَ مُنْجِدُ^(٦)
 كَانَتْ فِي عَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ
 مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ.

(١) «دِيَوَانُ الثَّعَالِبِيِّ» (٧٩).

(٢) الْأَطْنَابُ: جَمْعُ طُنْبٍ -بِضْمَتَيْنِ-، وَهُوَ الْوَتْدُ.

(٣) الْجَوَازَاءُ: بُرْجٌ فِي السَّمَاءِ.

(٤) «زَادُ الْمِعَادِ» (٣/ ٣٤٧).

(٥) «دِيَوَانُ أَبِي تَمَامٍ» (١٨)، وَالْقُشْبُ: جَمْعُ قَشِيبٍ، وَهُوَ الْجَدِيدُ.

(٦) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٥/ ٤٧٠).

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «عَزَا غَزْوَةَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ»^(١).
وَعَنْهُ قَالَ: «صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ - الْمَاءَ الَّذِي بَيْنَ
قَدِيدٍ وَعُسْفَانَ - أَفْطَرَ؛ فَلَمْ يَزَلْ مُفْطِرًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ»^(٢).
وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَذَلِكَ
عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنُصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، فَسَارَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
إِلَى مَكَّةَ يَصُومُونَ وَيَصُومُونَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقَدِيدٍ،
أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا»^(٣).

٢ - سَبَبُهَا:

شَادَ الْعُلَى بِمَعَارِفٍ وَعَوَارِفٍ وَرَمَى الْعَدَى بِصَوَارِمٍ وَصَوَاهِلٍ^(٤)
لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ، وَسَبَبُ فَتْحِ مَكَّةَ نَقْضُ قُرَيْشٍ لِمُعَاهِدَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ.
فَعَنِ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا: كَانَ فِي صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ
أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي
عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ... وَفِيهِ أَنَّ خُزَاعَةَ فِي عَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَهْدِهِ،
وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرِ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، فَمَكَّثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ
أَوْ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ لَيْلًا، بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ:
الْوَتِيرُ. وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٧٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٧٥)، وَمُسْلِمٌ (١١٣).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٧٦)، وَمُسْلِمٌ (١١٣).

(٤) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٢/٣٣).

وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بَنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ. فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِم بِالْكَرَاعِ^(١) وَالسَّلَاحِ، وَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ، لِلضَّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرِ بِالْوَتِيرِ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ»^(٢).

فِي كَفِّكَ الشَّهْمِ مِنْ قَبْلِ الْهُدَى طَرْفٌ عَلَى الصَّرَاطِ، وَفِي أَرْوَاحِنَا طَرْفٌ هِيَاهُ رِحْلَةُ مَسْرَانَا جَحَافِلُنَا كَمَا عَهِدْتُ، وَعَزَمَاتُ الْوَرَى أَنْفٌ وَقَالَ أَسْتَادُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

بُشْرَاكَ يَا عَمْرُو، هَذَا الْوَعْدُ مُنْجِزُهُ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ يُؤْفِي كُلَّ مَا يَعِدُ جَحَافِلُ النُّورِ تَسْرِي خَلْفَ مَوْكِهِ وَمَكَّةُ الْخَيْرِ بِالْأَشْوَاقِ تَتَقَدُّ

٣- السَّرِيَّةُ التَّامَّةُ:

ضَعِ السَّرَفِي صَمَاءَ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلُودٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ وَلَكِنَّهُ قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِيزَةٍ يَرَى ضَيْعَةَ الْأَسْرَارِ قَاصِمَةَ الظَّهِرِ^(٣)

شَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْجِهَازِ إِلَى مَكَّةَ، وَأَحَاطَ ذَلِكَ بِسَرِيَّةٍ تَامَّةٍ، بَلْ وَسَّأَلَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَغْمِيَ عَلَى قُرَيْشٍ الْأَخْبَارَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﷻ، لِذَلِكَ لَمَّا كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، يُعَلِّمُهُمْ فِيهِ بِمَا هُمْ بِهِ

(١) الكُراع - بِالضَّمِّ -: الدَّوَابُّ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْحَرْبِ.

(٢) (حَسَنٌ) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٦/ ٥٠٨) مِنْ طَرِيقِ الطَّبْرِيِّ فِي «تَارِيخِهِ» (٢/ ١١١)، وَالْبَيْهَقِيُّ

فِي «دَلَالَتِهِ» (٥/ ٥-٧)، بِسَنَدٍ حَسَنِ إِلَى ابْنِ إِسْحَاقَ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ.

(٣) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣/ ٤٣٦).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَزْمِ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ امْرَأَةٍ، وَقَدْ تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً تَعُوذُ عَلَيْهِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَصَدَقَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْيَةِ ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، قَالَ عَلِيٌّ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ^(١)، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا^(٢)، فَاتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَخْبَيْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عَنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ صَدَقَكُمُ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

(١) الظَّعِينَةُ: الْمَرْأَةُ فِي هَوْدَجِهَا.

(٢) عِقَاصِهَا - بِالْكَسْرِ - أَيُّ: شَعْرُهَا الْمُضْفُورُ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ السُّورَةَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١).

لِيَهِنَ رُكْبَ سَرَوَا لَيْلًا، وَأَنْتَ بِهِمْ لَسِيرِهِمْ فِي صَبَاحٍ، مِنْكَ، مُنْبَلَجٍ
فَلْيُضَنِّعِ الْقَوْمُ مَا شَاءُوا لِأَنْفُسِهِمْ هُمْ أَهْلُ بَدْرٍ، فَلَا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجٍ (٢)

٤- لِقَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ قَدِمَ مُهَاجِرًا:

تَأْتِي الْبَشَائِرُ بَعْدَ طُولٍ مَشَقَّةٍ كَالْغَيْثِ بَعْدَ الْبَرَقِ وَالْإِرْعَادِ
وَفِي الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ لَقِيَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، وَقِيلَ
بِالْجُحْفَةِ (٣)، فَأَسْلَمَ وَرَجَعَ مَعَهُ وَبَعَثَ أَهْلَهُ وَمَتَاعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَفِي الطَّرِيقِ -أَيْضًا- قَدِمَ بَعْضُ زُعَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ،
فَفِي الْأَبْوَاءِ قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الرِّضَاعَةِ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَأَسْلَمَا وَكَانَا شَدِيدَيْنِ فِي مُعَادَاةِ الْإِسْلَامِ،
فَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَهْجُو الْمُسْلِمِينَ، وَيُقَاتِلُهُمْ فِي سَائِرِ الْحُرُوبِ
عِشْرِينَ سَنَةً، حَتَّى قَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الْإِسْلَامَ، وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، فَكَانَ أَحَدَ
الَّذِينَ صَمَدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ حِينَ فَرَ النَّاسُ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ ﷺ
عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَصَهْرُهُ، فَهُوَ أَخُو أُمِّ سَلَمَةَ -أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ- لِأَبْنَاهَا،

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٧٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٩٤).

(٢) «الْكَشْكُولُ» (٣٠ / ٢) لِيَهِنَ أَيُّ: هَنِئًا لَهُمْ. وَ مُنْبَلَجٍ: مُتَضَحٍ.

(٣) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢ / ٤٠٠).

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ السُّقْيَا وَالْعَرْجِ عَلَى طَرِيقِ (الْمَدِينَةِ مَكَّةَ)،
فَأَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاسْتُشْهِدَ فِي حِصَارِ الطَّائِفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

أَحَاطَ بِكَ التَّوْفِيقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَجَاءَتْكَ مِنْ كُلِّ الْبِلَادِ الْبَشَائِرُ (٢)

٥- زيارة الرسول ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ:

فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا وَوَجْهًا تَرَى فِيهِ الْكَأَبَةَ تَجْنُبُ
مَرَّ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَبْوَاءِ فزارَ قَبْرَ أُمِّهِ فَعَنَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفَرَ
لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛
فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْمَوْتَ» (٣).

٦- وصول النبي ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ:

وَلَيْهِنَّ مَقَامُكَ الصَّعِيدَ وَمَنْ بِهِ وَمَنِ الْبَشِيرُ لِمَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى
وَاصِلَ النَّبِيِّ ﷺ سَيْرُهُ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ صَائِمٌ وَالنَّاسُ صِيَامٌ مَعَهُ، فَلَمَّا
انْتَهَى إِلَى الْكَدِيدِ، بَيْنَ عَسْفَانَ وَقَدِيدَ، وَهُوَ اسْمُ وَادٍ شِمَالِ مَكَّةَ.
أَفْطَرَ وَأَفْطَرَ النَّاسُ مَعَهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ
عَشْرَةُ آلَافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، فَسَارَ
هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ يَصُومُونَ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ،

(١) «تَمَّةُ الْيَتِيمَةِ» (٥١ / ٥).

(٢) «ذِيوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (٣٤٥).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٦).

وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقَدِيدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا^(١).

وفي « صحيح مسلم » مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ « إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدْوِكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ » قَالَ: فَكَانَتْ رُخْصَةً فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فَقَالَ: « إِنَّكُمْ مُصَبِّحُوا عَدْوَكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطَرُوا » فَكَانَتْ عَزْمَةً فَأَفْطَرْنَا^(٢).

٧- جني الكباث:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْصِي جَلِيلَ خِصَالِهِ وَهُنَّ بِحُورٌ مَا لَهُنَّ سَوَاحِلُ
لَمَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي عُسْفَانَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ يَجْنُونَ ثَمَرَ الْكَبَاثِ^(٣).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْنِي الْكَبَاثَ
وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَطْيَبُ ». قَالُوا: أَكُنْتَ تَرَعَى
الْغَنَمَ؟ قَالَ: « وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا؟ »^(٤).

٨- عَسْكَرَ الْجَيْشِ فِي مَرِّ الظَّهْرَانِ:

فَسَارَ مِنْ نَفْسِهِ فِي جَحْفَلٍ حَرْدٍ وَسَارَ مِنْ جَيْشِهِ فِي عَسْكَرٍ لَجِبٍ
عَسْكَرَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَرِّ الظَّهْرَانِ، فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ،
وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَاقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَإِذَا هُمْ بِبَنِيَّانٍ كَانَتْهُمَا نِيرَانُ عَرْفَةَ، فَقَالَ
أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ؟ لَكَانَتْهُمَا نِيرَانُ عَرْفَةَ.

(١) رواه البخاري (٤٢٧٦).

(٢) رواه مسلم (٩٧٦).

(٣) (الكباث) النضيج من ثمر الأراك حبه فوق حب الكزبرة في القدر.

(٤) رواه البخاري (٣٤٠٦).

فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرِو.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمَرُوا أَقْلًا مِنْ ذَلِكَ، فَرَأَاهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَذْرَكُوهُمْ، فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: «أَحْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الْخَيْلِ^(١)، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ».

فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةً، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ.

قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارٍ. ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ ابْنُ هُذَيْمٍ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمٌ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتِ كَتِيبَةُ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ، حَبِّدَا يَوْمَ الدِّمَارِ^(٢)، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقْلُ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟.

قَالَ: «مَا قَالَ؟»، قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: «كَذَبَ سَعْدُ^(٣)، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةُ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»^(٤).

(١) خَطْمُ الْخَيْلِ: اَزْدَحَامُهَا، وَهُوَ يَكُونُ عِنْدَ مَضِيقِ الْجَبَلِ، فَلَا يَفُوتُهُ إِذَا وَقَفَ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْجَيْشِ.

(٢) يَوْمُ الدِّمَارِ: أَي: يَوْمُ الْهَلَاكِ.

(٣) كَلِمَةُ «كَذَبَ» كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى أَخْطَأَ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨٠).

٩- اسْتَعْرَضَ الْجَيْشُ:

مَا جَاشَ فِي صَدْرِ الْمُلْطَفُ صَدْرُهُ إِلَّا ظَنَنْتُ الْجَيْشَ قَدْ مَلَأَ الْفَضَا^(١)
اسْتَعْرَضَ الْجَيْشُ أَمَامَ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَذْرَكَ أَبُو سُفْيَانَ قُوَّةَ الْمُسْلِمِينَ،
وَأَنَّهُ لَا قِبَلَ لِقَرِيشٍ بِهِمْ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «يَا عَبَّاسُ، أَحْبَبُّهُ
بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ^(٢)، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا».

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
أَنْ أَحْبِسَهُ قَالَ: وَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ،
مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبَّاسُ،
مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِمُزَيْنَةَ، حَتَّى نَفَدَتِ الْقَبَائِلُ، مَا تَمُرُّ
بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا يَسْأَلُنِي عَنْهَا، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ، قَالَ: مَالِي وَلِبَنِي فُلَانٍ، حَتَّى مَرَّ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ^(٣)، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لَا
يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنَ الْحَدِيدِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَالَ: مَا
لَأَحَدٍ بِهِؤُلَاءِ قَبْلُ^(٤) وَلَا طَاقَةَ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ

(١) «دَوَاوِينَ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٦/٤٨).

(٢) خَطْمُ الْجَبَلِ - بِالْفَتْحِ - : أَنْفٌ يَتَقَدَّمُهُ، وَهُوَ مَحَلُّ ضَبِّقٍ، وَفِي رِوَايَةٍ: «خَطْمُ الْخَيْلِ».

(٣) الْكِتَابَةُ: الطَّائِفَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَيْشِ مُجْتَمِعَةً، وَالْجَمْعُ كِتَابٌ.

(٤) الْقَبْلُ - بِزَيْتَةِ الْعَنْبِ - : الطَّاقَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا يَبْلُغُهُمْ﴾ [النَّمْلُ: ٣٧]، أَيُّ لَا =
طَاقَةُ لَهُمْ بِهَا، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُقَاوَمَتِهَا.

أَخِيكَ الْغَدَاةَ^(١) عَظِيمًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ. إِنَّهَا النُّبُوَّةُ.

قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ^(٢).

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
فَهُمْ يَتَسَاقُونَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ رِقَاقُ الْمَضَارِبِ^(٣)

١٠- حِكَايَةُ دُخُولِ الْجَيْشِ الْمُظَفَّرِ مَكَّةَ:

فَثَبَتَ اللَّهُ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتِ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرَا^(٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَجَعَلَ خَالِدُ
ابْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرُ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ
أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَازِقَةِ^(٥) وَبَطْنِ الْوَادِي، فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: «ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ».

فَدَعَوْتُهُمْ فَجَاءُوا يَهْرَوِلُونَ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: «هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ

قُرَيْشٍ؟».

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «انْظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا»،
وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا».

(١) الْغَدَاةُ أَيُّ: صَبَاحَ الْيَوْمِ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٠/٨)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرِكِ» (٤٣/٣)،
وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (٢٣/٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٣٤١).

(٣) «الزُّهْرَةُ» (١٨٠) وَفُلُولُ السَّيْفِ: ثُلُمُهُ. وَقِرَاعُ الْكَتَائِبِ: هُوَ أَنْ تَضْرِبَ بَعْضُ الْجُيُوشِ بَعْضًا،
وَهُوَ مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الدَّمَ. وَالْبِيضُ: جَمْعُ أَبْيَضَ، وَهُوَ السَّيْفُ.

(٤) «الْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِي» (١٨٦).

(٥) الْبَيَازِقَةُ: هُمُ الرِّجَالُ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِخِفَتِهِمْ، وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ مَعَهُمْ مَا يُثْقِلُهُمْ.

قَالَ: فَمَا أَشْرَفَ يَوْمٍ لَّهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا مُؤَمُّهُ^(١).

قَالَ: وَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّفا، وَجَاءَتْ الْأَنْصَارُ، فَأَطَافُوا بِالصَّفا فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُبَيِّدْتُ خَضْرَاءَ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»^(٢).

خَفَقَتْ لَهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ رَايَةٌ فِي الْخَافِقِينَ سَرَتْ لَهَا أَخْبَارُ وَالرُّعْبُ يَسْرِي لِلْجَوَانِبِ قَبْلَهُ فُتْرَاعٌ قَبْلَ وُرُودِهِ الْأَقْطَارِ^(٣)
١١- كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ؟

وَدَخَلَتْ مَكَّةَ -يَا حَبِيبُ- مُظْفَرًا بِفَيْالِقِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءِ الْتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ^(٤)، خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ، شَاكِرًا لِرَبِّهِ آلَاءَهُ وَإِنْعَامَهُ عَلَى نَاقَتِهِ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ^(٥).

وَكَانَ دُخُولُهُ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ كَدَاءِ الْتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ تَحْقِيقًا لِقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ هَجَا قُرَيْشًا، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ خَيْلَ اللَّهِ سَتَدْخُلُ مِنْ كَدَاءِ.

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ

(١) أَنَا مُؤَمُّهُ أَي: قَتَلُوهُ «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (٥ / ١٣١).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٠).

(٣) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٧ / ٤٥٠).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٩٠)، وَمُسْلِمٌ (١٢٥٨).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨١).

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍ فَشَرُّكُمَْا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
تَكَلْتُ^(١) بُنَيْتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ^(٢) مِنْ مَوْعِدْهَا كَدَاءُ
يُبَارِينَ^(٣) الْأَعْنَةَ^(٤) مُضْعِدَاتٍ^(٥) عَلَى أَكْتَفِهَا الْأَسْلُ^(٦) الظَّمَاءُ^(٧)
تَظَلُّ جَيَادُنَا^(٨) مُتَمَطَّرَاتٍ^(٩) تُلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ^(١٠) النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ^(١١)
ثُمَّ طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْكَعْبَةِ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمَحْجَنِهِ^(١٢)؛ كَرَاهَةً أَنْ يَرَا حِمَّ
النَّاسِ، وَتَعْلِيمًا لِأَمَّتِهِ^(١٣)، وَبَيَّنَّ حُرْمَةَ مَكَّةَ، وَأَنَّهَا لَا تُغْزَى بَعْدَ الْفَتْحِ^(١٤).

(١) الثُّكُلُ: فَقْدَانِ الْوَلَدِ.

(٢) تُشِيرُ النَّقْعَ أَيُّ: تَرْفَعُ الْغُبَارَ وَتَهَيِّجُهُ.

(٣) يُبَارِينَ الْأَعْنَةَ أَيُّ: أَنَّ الْخِيُولَ لَصَرَامَتِهَا وَقُوَّةُ نَفْسِهَا تُضَاهِي أَعْنَتَهَا بِقُوَّةٍ جَذِبَهَا لَهَا، وَهِيَ مُنَازَعَتَهَا لَهَا - أَيْضًا -.

(٤) الْأَعْنَةُ: جَمْعُ عِنَانٍ - بِالْكَسْرِ -، وَهُوَ سَيْرُ اللَّجَامِ الَّذِي تُمْسِكُ بِهِ الدَّابَّةُ.

(٥) مُضْعِدَاتٍ أَيُّ: مُقْبِلَاتٍ إِلَيْكُمْ وَمُتَوَجِّهَاتٍ.

(٦) الْأَسْلُ - بِفَتْحَيْنِ -: الرَّمَاخُ.

(٧) الظَّمَاءُ: الْعِطَاشُ لِلدَّمَاءِ الْأَعْدَاءِ.

(٨) الْجِيَادُ: الْخَيْلُ.

(٩) مُتَمَطَّرَاتٍ أَيُّ: بِالْعَرَقِ مِنْ سُرْعَةِ الْجَرِيِّ.

(١٠) الْخُمْرُ: جَمْعُ خِمَارٍ، وَهُوَ مَا تُغَطِّي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا، أَيُّ: يُزْلَنَ عَنْهُنَّ الْغُبَارُ، وَهَذَا لِعِزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا عِنْدَهُمْ.

(١١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٠).

(١٢) الْمَحْجَنُ - بِكَسْرِ الْمِيمِ - عَصَا مَحْنِيَّةُ الطَّرْفِ.

(١٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٤ / ١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١٦٤٢).

(١٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٨٣ / ٣)، وَصَحَّحَهُ وَالْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٧٣٧٢).

وَأَعْلَى مَكَانَةِ قُرَيْشٍ، فَأَعْلَنَ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا^(١) بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٢).

١٢- تَطْهِيرُ الْبَيْتِ مِنَ الْأَوْثَانِ:

وُخْبِرْتُ الْأَوْثَانُ أَنَّ زَمَانَهَا تَوَلَّى وَرَاحَ الْجَهْلُ وَالْجُهْلَاءُ^(٣) أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ، وَتَطْهِيرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مِنْهَا، وَشَارَكَ ذَلِكَ بِيَدِهِ، فَكَانَ يَهْوِي بِقَوْسِهِ إِلَيْهَا، فَتَسَاقَطُ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٨١] ^(٤).

وَكَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةٍ نُصْبٍ^(٥).^(٦)

وَلَطَّخَ بِالزَّغْفَرَانِ صُورَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَهُمْ يَسْتَقْسِمُونَ بِالْأَزْلَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الصُّورُ دَاخِلَ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ: «قَاتِلَهُمُ اللَّهُ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ»^(٧).

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَدْخُلِ الْكَعْبَةَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مُحِيتَ هَذِهِ الصُّورُ مِنْهَا»^(٨).

(١) قُتِلَ صَبْرًا أَي: مَحْبُوسًا مَأْسُورًا لَا فِي مَعْرَكَةٍ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٢).

(٣) «دِيَوَانُ عَلِيِّ الْجَارِمِ» (٢).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨١).

(٥) النَّصْبُ - بَضْمَتَيْنِ -: وَاحِدُ الْأَنْصَابِ، وَهُوَ مَا نُصِبَ، فَعُدَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٨١).

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨٨).

(٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨٨).

ثُمَّ دَخَلَ، فَصَلَّى فِيهَا رَكَعَتَيْنِ، وَذَلِكَ بَيْنَ الْعُمُودَيْنِ الْمُقَدَّمَيْنِ مِنْهَا، وَكَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ مُتَوَازِيَةٍ، وَقَدْ جَعَلَ بَابَ الْكَعْبَةِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَتَرَكَ عُمُودَيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، وَعُمُودًا عَنْ يَمِينِهِ، وَثَلَاثَةً وَرَاءَهُ^(١).

ثُمَّ خَرَجَ، فَدَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَعْطَاهُمْ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ الْحِجَابَةُ فِي بَنِي شَيْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَبْقَاهَا بِأَيْدِيهِمْ^(٢).

١٣- طواف النبي ﷺ بالبيت:

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، وَطَافَ مُهَلِّلاً مُكَبِّراً، ذَاكِرًا شَاكِرًا، وَكَانَ غَيْرُ مُحْرَمٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ الْمَغْفَرُ، ثُمَّ لَبَسَ عِمَامَةً سَوْدَاءَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، لِمَنْ لَمْ يُرِدْ حَجًّا وَلَا عُمْرَةً^(٣).

غَنَّتْ بَوَاكِرُ الصَّبَاحِ فَحَرَّكَتْ شَجْوُ الطُّيُورِ وَلَهْفَةَ الْأَزْهَارِ
غَنَّتْ فَمَكَّةُ وَجْهَهَا مُتَأَلِّقُ أَمَلًا وَوَجْهَ طُغَاتِهَا مُتَوَارِي
هَلَّ الْهَلَالُ فَلَا الْعُيُونُ تَرَدَّدَتْ فِيمَا رَأَتْهُ وَلَا الْعُقُولُ تُمَارِ
أَوْ مَا تَرَى الْبُطْحَاءَ تَفْتَحُ قُلُوبَهَا فَرَحًا بِمُقَدِّمِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
عَطَشَى يَلْمِضُهَا الْحَيْنَ وَلَمْ تَزَلْ تَهْفُو إِلَى غِيثِ الْهَدَى الْمُدْرَارِ

١٤- هَدْمُ أَوْثَانِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا:

بَيِّتٌ بِهِ عِبَدُ الْإِلَهِ وَبُطِّلَتْ بَعْدَ الْغُلُوِّ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ^(٤)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨٩)، وَمُسْلِمٌ (١٣٩٩).

(٢) (صَحِيحُ) مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ «(٥/ ٨٣-٨٤-٨٥).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨٩)، وَمُسْلِمٌ (١٣٢٩).

(٤) «دِيَوَانُ ابْنِ رَشِيْقٍ» (١٣٥).

مَا إِنْ تَمْ فَتَحَ مَكَّةَ، وَطَهَّرَتِ الْكَعْبَةَ، حَتَّى أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ^(١)، لِهَدْمِ الْعُزَى، الَّتِي كَانَتْ مُضِرًّا جَمِيعًا تُعْظَمُهَا، فَهَدَمَهَا^(٢).

وَأَرْسَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى سَوَاعٍ صَنِمٍ لِهَذِيلٍ، فَهَدَمَهُ^(٣).

وَأَرْسَلَ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيَّ إِلَى مَنَاةَ بِالْمُشَلَّلِ (نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ الْمَدِينَةِ) فَهَدَمَهَا^(٤).

وَبِذَلِكَ أُرِيْلَتْ أَكْبَرُ مَرَائِزِ الْوَثْنِيَّةِ، حَيْثُ ذَكَرَهَا اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿أَفْرَيْتُمْ اللَّتَّ وَالْعُزَى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)﴾ [النَّجْمُ: ١٨-١٩].

وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ نَزَلَتْ سُورَةُ النَّصْرِ^(٥): ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾.

وَدَخَلَتْ مَكَّةَ -يَا حَبِيبُ- مُظْفَرًا بِفَيْالِقِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ لَوْ أَمَرْتَ تَوَائِبُوا لِلْمَوْتِ كَالْأَشْطَانِ دُونَ تَوَانٍ
بِيضِ الصَّوَارِمِ وَالثِّيَابِ قُلُوبُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَفَرَائِصُ الْأَوْبَاشِ تَرَعْدُ بَعْدَمَا فَعَلُوا مِنَ الْإِجْرَامِ وَالْبُهْتَانِ
ظَنُّوكَ مُنْتَقِمًا كَعَادَةِ ظَنَّهُمْ مُذْ جِئْتَ بِالتَّوْحِيدِ لِلدِّيَانِ

(١) نَخْلَةٌ: موضع قريب من مَكَّةَ.

(٢) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٤٣٦)، و«طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٢/ ١٤٥).

(٣) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٢/ ١٤٦).

(٤) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٢/ ١٤٦).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٩٤).

فَدَخَلَتْ مُنْكَسِرًا لِرَبِّكَ خَاضِعًا مُتَوَاضِعًا صَفْوًا مِنَ الْأَضْغَانِ^(١)

١٥- دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ مِنْ دُونِ إِحْرَامٍ؛

وَفَتَحَ مَكَّةَ ضَاعَتِ الدُّنْيَا بِهِ مُذْ جَاءَهَا بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءِ^(٢)

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا لِرَبِّهِ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ»^(٣).

وَبَفَتَحَ مَكَّةَ وَالرَّجَالُ ذَوَاهِلُ حَيٍّ بِخُلُقٍ -لَوْ فَقِهَتْ- جَدِيدٍ

قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ الشَّقَاءَ وَأَهْلَهُ وَأَتَى بِحِزْبٍ لَا يُرَامُ سَعِيدٍ

مِنْ كُلِّ فَحْلٍ فِي الْعَرَمِ صَائِلٍ سَامِي الْجَنَابِ مُهَذَّبٍ صَنِيدٍ^(٤)

وَقَالَ آخَرُ:

هُوَ الْفَتْحُ مَنْظُومًا عَلَى أَثَرِهِ الْفَتْحُ وَمَا فِيهِمَا عَهْدٌ، وَلَا فِيهِمَا صَلَاحٌ

سِوَى أَنْ صَفْحًا كَانَ مِنْ بَعْدِ قُدْرَةٍ وَأَحْسَنُ مَقْرُونٍ إِلَى قُدْرَةٍ صَفْحُ^(٥)

وَقَالَ آخَرُ:

وَحِينَ خَاسَتْ قُرَيْشٌ بِالْعُهُودِ وَلَمْ تُنْصَفْ وَسَارَتْ مِنَ الْأَهْوَاءِ فِي نَقَمٍ

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٧ / ٤١٢).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٥٨).

(٤) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٧ / ٤٤٢). وَالْجَيْشُ الْعَرَمَرُمُ أَيُّ: الْكَثِيرُ، وَالصُّنْدِيدُ -بِالْكَسْرِ-: السَّيِّدُ الشُّجَاعُ.

(٥) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (١٥ / ٣٠٩). وَالصَّفْحُ: إِزَالَةُ أَثَرِ الذَّنْبِ مِنَ النَّفْسِ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْعَفْوِ؛ فَقَدْ لَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ بِالذَّنْبِ، لَكِنَّهُ يَذْكُرُ لِلْمُذْنِبِ إِسَاءَتَهُ وَعُدْوَانَهُ.

وْظَاهَرَتْ مِنْ بَنِي بَكْرِ حَلِيفَتَهَا
قَامَ النَّبِيُّ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُعْتَرِمًا
فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى أَنْفَ عَلَى
فَاقْبَلُوا يَسْأَلُونَ الصَّفْحَ حِينَ رَأَوْا
وَأَقْبَلَ النَّصْرُ يَتْلُو وَهُوَ مُبْتَسِمٌ
عَلَى خُزَاعَةَ أَهْلِ الصَّدَقِ فِي الدِّمِ
بِجَحْفَلٍ لِحُجُوعِ الشَّرِكِ مُخْتَرِمٍ
أَرْبَاضٍ مَكَّةَ بِالْفُرْسَانِ وَالْبُهِمِ
أَنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى النَّدَمِ
الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ^(١)

١٦- دخول الناس في دين الله أفواجًا؛

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ^(٢)
لَمَا انتَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَرِيشٍ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا؛
لِأَنَّ قَرِيشًا كَانُوا أَيْمَّةَ النَّاسِ وَسَادَتِهِمْ وَأَهْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَكَانَتْ الْعَرَبُ
قَاطِبَةً تُعَظِّمُ قَرِيشًا كَمَا تُعَظِّمُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا بِمَاءِ مَمَرِ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ،
فَنَسَأَلُهُمْ مَا لِلنَّاسِ مَا لِلنَّاسِ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ
أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ أَوْحَى اللَّهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرِّفِي
صَدْرِي، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلُومُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ
إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ. فَلَمَّا كَانَتْ وَقَعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ
بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ
النَّبِيِّ حَقًّا، فَقَالَ: صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينَ كَذَا وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينَ
كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤْمِكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرَانًا، فَنَظَرُوا فَلَمْ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ» (١٧-١٨/٦٠٦). وَالْأَرْبَاضُ: جَمْعُ رَبَضٍ -بِفَتْحَتَيْنِ-، وَهُوَ مَا حَوْلَ مَدِينَةِ

أَوْ قَصْرِ مَنْ مَسَاكِينِ جُنْدٍ أَوْ غَيْرِهِمْ. وَالْبُهِمُ: جَمْعُ بُهْمَةٍ، وَهِيَ الْكَتِيبَةُ.

(٢) دِيوَانُ جَرِيرٍ (٩٣).

يَكُنْ أَحَدُ أَكْثَرِ قُرَآنَا مِنِّي لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصْتُ
عَنِّي، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْحَيِّ: أَلَا تَغَطُّوْنَا عَنَّا اسْتِ قَارِئِكُمْ؟ فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا
لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرَحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ الْقَمِيصِ^(١).



(١) رواه البخاري (٤٣٠٢).

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

١- هَوَازِنُ تَحْمَلُ رَايَةَ الشَّرْكِ:

لِلَّهِ يَوْمُ حُنَيْنٍ حِينَ كَانَ بِهِ كَسَاعَةُ الْبَعْثِ تَهْوِيلٌ وَتَطْوِيلٌ^(١)
 بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ سَقَطَتْ زَعَامَةُ قُرَيْشٍ، فَحَمَلَتْ هَوَازِنُ رَايَةَ الشَّرْكِ، وَهِيَ
 قَبِيلَةُ عَرَبِيَّةٍ شَهِيرَةٌ، مُضَرِّيَّةٌ عَدْنَانِيَّةٌ، تَفَرَّعَتْ مِنْهَا فُرُوعٌ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ، مِنْهَا ثَقِيفٌ
 الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي الطَّائِفِ الْحَصِينَةِ، فِي حِينَ انْتَشَرَتْ بُطُونُ هَوَازِنُ الْأُخْرَى
 عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ مِنْ حُدُودِ الشَّامِ إِلَى حُدُودِ الْيَمَنِ.
 تَجَمَّعَتْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ فِي «حُنَيْنٍ»، وَالَّتِي تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ سِوَى عِشْرِينَ
 كَيْلًا شَرْقِيَّ مَكَّةَ، وَتَعْرِفُ الْآنَ بِالشَّرَائِعِ^(٢).

٢- عَدَدُ جَيْشِ هَوَازِنَ:

فَإِنْ تَكُ فِي عَلِيَا هَوَازِنَ شَوْكَةً تُخَافُ فَفَيْكُمْ حَدُّ نَابٍ وَمُخَلَبٍ
 كَانَ عَدَدُ جَيْشِ هَوَازِنَ - كَمَا ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ - عِشْرِينَ أَلْفًا^(٣)، وَرَجَّحَ
 ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ^(٤)، وَذَلِكَ بِقِيَادَةِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ، وَكَانَ فِي
 الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ، وَقَدْ عُرِفَ بِالشَّجَاعَةِ وَحُسْنِ الْبَلَاءِ فِي الْقِتَالِ، وَأَسْلَمَ
 فِيمَا بَعْدُ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ^(٥).

(١) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٦٢ / ٩).

(٢) انْظُرْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ» لِلْعُمَرِيِّ (٤٨٩ / ٢).

(٣) «مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ» (٨٩٣ / ٣).

(٤) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (٢٩ / ٨).

(٥) «الْفُصُولُ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٢٤١).

٣- استعداد النبي ﷺ لغزوة حنين:

أخو الحرب إن عصت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرتاً^(١)
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «سار إلى حنين لما
فرغ من فتح مكة، جمع عوف بن مالك النصرى بني نصر، وبني جشم، وبني
سعد بن بكر، وأوزاعاً^(٢)، من بني هلال - وهم قليل - وناساً من بني عمرو بن
عامر، وعوف بن عامر، وأوعب^(٣) معه ثقيف الأخلاف^(٤)، وبنو مالك.

ثم سار بهم إلى رسول الله ﷺ، وساق معه الأموال والنساء والأبناء،
فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، بعث عبد الله بن أبي حذرٍ الأسلمي، فقال:
اذهب فادخل في القوم، حتى تعلم لنا من علمهم.

فدخل فيهم، فمكث فيهم يوماً أو اثنين، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره
خبرهم، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: «ألا تسمع ما يقول ابن
أبي حذرٍ؟»

فقال عمر: كذب.

فقال ابن أبي حذرٍ: والله لئن كذبتني يا عمر لرُبما كذبت بالحق.
فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حذرٍ؟، فقال:
قد كنت يا عمر ضالاً فهذاك الله، ثم بعث رسول الله ﷺ إلى صفوان بن
(١) «الأسباة والنظائر» (٦٠).

(٢) أوزاعاً أي: جماعاتٍ متفرقة.

(٣) أوعب بني فلان: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٤) لأن ثقيفاً فرقتان: بنو مالك بن حطيظ بن جشم بن قيس بن منبه بن بكر بن هوازن، وبنو عوف
بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهم الأخلاف، وسُموا بذلك لتحالفهم على بني مالك.

أُمِّيَّةً، فَسَأَلَهُ أَدْرَاعًا عِنْدَهُ، مِائَةَ دِرْعٍ، وَمَا يُصْلِحُهَا مِنْ عُدَّتِهَا.
فَقَالَ: أَغَضِبَا يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: «بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نُوَدِّيَهَا إِلَيْكَ».
ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَائِرًا^(١).

٤- عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ:

كَانَهُ وَحْدَهُ جَيْشٌ لَهُ لَجَبٌ صَوَاهِلُ الْأَرْضِ شَتَّى مِنْ صَوَاهِلِهِ^(٢)
سَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي الْفَتْحِ، وَالْفَيْنِ
مِنْ طُلُقَاءِ مَكَّةَ، وَشَهِدَ مَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمِّيَّةَ حُنَيْنًا، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، وَكَانَ
ذَلِكَ فِي خَمْسٍ خَلَتْ مِنْ شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ.

٥- ذَاتُ أَنْوَاطٍ:

فَهَذَا عَظِيمُ الشَّرِكِ قَدْ جَاءَ خَاضِعًا وَأَلْقَى بِكَفِّهِ إِلَيْكَ مُحَكَّمًا^(٣)
مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَجَرَةٍ يُعْظَمُهَا الْمُشْرِكُونَ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ^(٤)،
فَقَالَ بَعْضُ جُهَالِ الْأَعْرَابِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْتُمْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:
﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٣٨]، لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٥).

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٤٨/٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» (١٥١٥).

(٢) «دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٣٥٦٩).

(٣) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٦/٤٢).

(٤) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُنَوِّطُونَ بِهَا سِلَاحَهُمْ - أَيْ: يُعَلِّقُونَهُ بِهَا - وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا
يَوْمًا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ كُلَّ سَنَةٍ.

(٥) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٩٨/٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٨٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَوَارِدِ
الْظَّمَانِ» (١٥٤٠).

٦- المَعْرَكَةُ:

فَانْهَضَ بِحِجْدِكَ قَاطِنًا أَوْ ظَاعِنًا وَأَقْطَعَ بِحَدِّكَ مُعَمِّدًا أَوْ مُتَّصِيًا^(١)
 نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَافَى حُنَيْنًا - وَهُوَ وَادٍ حَدُورٌ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةٍ -
 وَقَدْ كَمَنْتَ لَهُمْ هَوَازِنُ فِيهِ، وَذَلِكَ فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ - أَيُّ: ظَلَامِهِ -، وَحَمَلُوا
 عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمَلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ^(٢).
 فَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى -: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ
 حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ
 الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٣) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ
 وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الْكَافِرِينَ^(٤) ﴿٢٦﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٥-٢٦].

أَنَعِمَ بِهِ جَارًا، وَطِبَّ نَفْسًا، فَمَا سَقَطَ اللِّوَاءُ، وَلَا خَلَا الْمَيْدَانُ
 وَاللَّهُ نِعَمَ الْمُسْتَعَانَ إِذَا الْهَوَى غَلَبَ النُّفُوسَ، وَقَلَّتِ الْأَعْوَانُ
 لِلْحَقِّ صَوْلَتُهُ وَشِدَّةُ بَأْسِهِ وَلَمَنْ يُحَارِبُ جُنْدَهُ الْخِذْلَانُ^(٥)
٧- ثَبَاتُ النَّبِيِّ ﷺ:

يَسِيرُونَ لِلْهَيْجَاءِ مِلءَ صُدُورِهِمْ ثَبَاتٌ وَعَزْمٌ لَا يُبَالُونَ بِالْقَتْلِ^(٦)

(١) «دَوَاوِينَ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٦ / ٤٨) قَاطِنًا أَوْ ظَاعِنًا أَيُّ: مُقِيمًا أَوْ مُرْتَجِلًا. مُعَمِّدًا أَوْ مُتَّصِيًا أَيُّ:
 دَاخِلَ غَمْدِهِ أَوْ خَارِجَهُ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٧٦-٣٧٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٨٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي
 حَاشِيَةِ «فِقْهُ السَّيَرَةِ» (٤٤٢).

(٣) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٌ» (١٠٠٩).

(٤) «دِيَوَانُ ابْنِ سَخْنُونٍ» (١٢٠)، وَالْهَيْجَاءُ: الْحَرْبُ.

ثَبَّتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَفِرَّ، قَالَ الْبَرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ: أَفَرَزْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟

فَقَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، كَانَتْ هَوَازِنُ رُمَاهُ، قَالَ: وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا، فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ فَاسْتُقْبِلْنَا بِالسَّهَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ أَخَذَ بِزِمَامِهَا: وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ»^(١).

كَأَنَّ ثُبُوتَ الرَّاسِيَّاتِ ثُبُوتُهُ إِذَا خَفَّ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلِّ مُحْجَمٍ
كَأَنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ رَاحَةً كَفَّهِ وَفِي بَسْطِهَا قَبْضٌ عَلَى كُلِّ مُجْرِمٍ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ:

أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا الْأَبْطَالُ ذَاهِلَةٌ وَالْهُنْدَوَانِيُّ فِي الْأَعْنَاقِ وَاللَّمَمُ
فَكُنْتَ أَتْبَتَهُمْ قَلْبًا وَأَوْضَحَهُمْ دَرْبًا، وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ رِيْبَةِ التُّهَمِ^(٣)
٨- شِدَّةٌ يَعْقُبُهَا فَرْجٌ:

كَمْ بَابَ نَصْرٍ، وَكَمْ بَابًا إِلَى فَرْجٍ فَتَحْتَ يَا فَائِزَ الْمَسْعَى وَظَافِرُهُ^(٤)
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ فَلَمْ نَفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءُ أَهْدَاهَا لَهُ فَرَوْهُ بَنُ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣١٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٧٦).

(٢) «خَرِيدَةُ الْقَصْرِ» (١٢٧)، وَالْمُحْجَمُ: الْمُتَأَخَّرُ عَنِ الْأَمْرِ. وَأَدِيمُ الْأَرْضِ: ظَاهِرُهَا.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّة» (٥٦٠/٧٥). وَالْهُنْدَوَانِيُّ - بِالْكَسْرِ وَتَضَمُّ إِتْبَاعًا لِلدَّالِ - السَّيْفُ

الْمَطْبُوعُ مِنَ حَدِيدِ الْهِنْدِ. وَاللَّمَمُ - بِالْكَسْرِ - جَمْعُ لِمَةٍ، وَهِيَ الشَّعْرُ الْمُسْتَرْسَلُ إِلَى الْمَنْكَبِ.

(٤) «دِيَوَانُ ابْنِ نُبَاتَةَ» (٨٤٤).

نُفَاةُ الْجَذَامِيِّ، فَلَمَّا التَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ^(١) قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ عَبَّاسٍ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»^(٢).

فَقَالَ عَبَّاسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: -وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا-^(٣)، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطَفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَيْتَكَ، يَا لَيْتَكَ، قَالَ: فَاقْتُلُوا وَالْكَفَّارَ، وَالِدَعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوُطَيْسُ»^(٤).

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزُمُوا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا^(٥)، وَأَمَرَهُمْ مُدْبِرًا^(٦).

(١) يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ أَيُّ: يَضْرِبُهَا بِرِجْلِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى كَبِدِهَا لِتُسْرِعَ.

(٢) أَصْحَابُ السَّمُرَةِ: هِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي بَايَعُوا بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ، وَالْمَعْنَى: نَادِ أَهْلَ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ.

(٣) صَيِّتًا أَيُّ: قَوِيَّ الصَّوْتِ.

(٤) الْوُطَيْسُ: التَّنُورُ يُسْجَرُ فِيهِ، وَيُضْرَبُ مَثَلًا لِشِدَّةِ الْحَرْبِ الَّتِي يُشَبَّهُ حَرَّهَا حَرَّهُ.

(٥) حَدَّهُمْ كَلِيلًا أَيُّ: قُوَّتُهُمْ ضَعِيفَةٌ.

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٥).

٩- سَبَبُ هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوَّلَ الْأَمْرِ:

فَلَا يَأْسُ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَالَتْ مِنْ النَّصْرِ الْمُرَجَّى فِي الْخِتَامِ^(١)
 قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ - أَيُّ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ -
 دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ فِرَارَهُمْ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلِ الْفِرَارُ مِنْ جَمِيعِهِمْ،
 وَإِنَّمَا فَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنْ مُسْلِمَةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُؤَلَّفَةِ، وَمُشْرِكِيهَا
 الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَسْلَمُوا، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ فَجَاءَةً لِانْصِبَابِهِمْ عَلَيْهِمْ دَفْعَةً
 وَاحِدَةً وَرَشَقِهِمْ بِالسَّهَامِ، وَلَا خِتْلَاطٍ أَهْلَ مَكَّةَ مَعَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ الْإِيمَانُ فِي
 قَلْبِهِ، وَمِمَّنْ يَتَرَبَّصُ بِالْمُسْلِمِينَ الدَّوَائِرُ، وَفِيهِمْ نِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ خَرَجُوا لِلْغَنِيمَةِ
 فَتَقَدَّمَ إِخْفَاؤُهُمْ فَلَمَّا رَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلَّوْا فَانْقَلَبَتْ أَوْلَاهُمْ عَلَى أَخْرَاهُمْ إِلَى
 أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سَكِينَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ»^(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا - أَيُّ: سَكِينًا
 ذَاتَ حَدَّيْنِ -، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ
 سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟»، قَالَتْ:
 اتَّخَذْتُهُ إِنَّ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْتُلْ مَنْ بَعَدَنَا - أَيُّ: مَنْ سَوَانَا - مِنْ
 الطُّلُقَاءِ^(٣) انْهَزْمُوا بِكَ^(٤)؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٣٠).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (١٢/١١٥).

(٣) الطُّلُقَاءُ: هُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْلَقَهُمْ، وَكَانَ
 فِي إِسْلَامِهِمْ ضَعْفٌ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدُ.

(٤) انْهَزْمُوا بِكَ أَيُّ: انْهَزْمُوا عَنْكَ، فَالْبَاءُ بِمَعْنَى عَنْ، وَرَبَّمَا تَكُونُ لِلْسَّبَبِيَّةِ، أَيُّ: انْهَزْمُوا بِسَبَبِكَ لِنَفَاقِهِمْ.

كَفَى وَأَحْسَنَ»^(١).

هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ، وَلِأَبِي دَاوُدَ نَحْوُهُ، وَفِيهِ: «أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ عَشْرِينَ رَجُلًا فَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ»^(٢).

١٠- النَّصْرُ الْعَظِيمُ:

سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ يَسْمُو إِلَى الْوَعَى يَهْزُ لِيَوَاءَ النَّصْرِ، وَالنَّصْرُ بِاسْمِ^(٣) عَنْ سَلَمَةَ ابْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ، تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثِيَّيَّ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرَمِيهِ بِسَهْمٍ، فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ، فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثِيَّيَّ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرْجَعُ مُنْهَزِمًا وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَرِّرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى، فَاسْتَطَلَقَ إِزَارِي فَجَمَعْتُهِمَا جَمِيعًا. وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَعْغَتِهِ الشَّهْبَاءِ^(٤)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا فَلَمَّا غَشَا»^(٥) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبُعْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»^(٦)، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ^(٧).

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٩).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٧١٨).

(٣) «دِيُونُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٢١٢).

(٤) الشَّهْبَةُ فِي الْأَلْوَانِ: الْبَيَاضُ الْغَالِبُ عَلَى السَّوَادِ.

(٥) فَلَمَّا غَشَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ: أَتَوْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

(٦) شَاهَتِ الْوُجُوهُ: أَيُّ قَبِحَتْ.

(٧) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٧).

أَبَى إِلَهٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ النَّصْرُ وَأَنْ يَهْدِمَ الْإِيمَانُ مَا شَادَهُ الْكُفْرُ
وَأَنْ يُرْجَعَ الْأَعْلَاجُ بَعْدَ عِلَاجِهَا خَزَايَا عَلَى آثَارِهَا الذُّلُّ وَالْقَهْرُ^(١)

١١- نزول الملائكة:

وببابه وقفت صدور أولي النهى ومشت ملائكة العلى بركابه
أَيَّدَ اللَّهُ ﷻ رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ أُنْزَلَ الْمَلَائِكَةُ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ
نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ
عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ (٢٥)
ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

قال النووي رحمه الله: «الْمَلَائِكَةُ تُقَاتِلُ وَأَنَّ قِتَالَهُمْ لَمْ يَخْتَصَّ يَوْمَ بَدْرٍ
وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ»^(٢).

١٢- تَعَقَّبُ الْفَارِيزَ نَحْوَ نَخْلَةٍ أَوْطَاسٍ:

إِذَا مَا رَكِبْتَ الْحَزْمَ مُسْتَبِطِنًا لَهُ سَبَقَتْ بِهِ مَنْ لَا تَظُنُّ لَهُ سَبَقًا^(٣)
انْحَاذَتْ طَوَائِفُ مِنْ هَوَازِنَ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ
أَبَا عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ، مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا

(١) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٠٨/٧). وَالْأَعْلَاجُ: جَمْعُ عِلْجٍ -بِالْكَسْرِ-، وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّخْمُ
مِنْ كِبَارِ الْعَجَمِ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يُطْلَقُ عَلَى الْكَافِرِ مُطْلَقًا.

(٢) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (٦٦/١٥).

(٣) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٥٢/٤١).

عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أُوطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ ابْنَ الصَّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، قَالَ: فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمَّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي، تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي.

قَالَ أَبُو مُوسَى: فَقَصَدْتُ لَهُ فَأَعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَلِيَّ عَنِّي ذَاهِبًا، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟، أَلَسْتَ عَرَبِيًّا؟، أَلَا تَبُتُّ؟ فَكَفَّ، فَالْتَمَيْتُ أَنَا وَهُوَ، فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ ضَرْبَتَيْنِ، فَضْرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ. (أَي: ظَهَرَ وَجَرَى).

فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ يَسِيرًا، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ^(١)، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَثَرُ رِمَالِ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ: يَسْتَغْفِرْ لِي.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ» حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) مُرْمَلٌ: هُوَ الَّذِي يُنْسَجُ فِي وَجْهِهِ بِالسَّعْفِ وَغَيْرِهِ، وَيُسَدُّ بِشَرِيطٍ وَنَحْوِهِ.

فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ - أَوْ مِنَ النَّاسِ -، فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَعْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدْخَلًا كَرِيمًا»^(١).

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلَ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدَمٍ^(٢)

وَسَلَ حُنَيْنًا وَسَلَ بَدْرًا وَسَلَ أَحَدًا فُصُولٌ^(٣) حَتْفٍ^(٤) لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ^(٥)

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ^(٦) فَتَحَسِبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي^(٧)

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رَبَّا^(٨) مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزْمِ^(٩)

طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا^(١٠) فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهِمِ^(١١) (١٢)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٢٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٩٨).

(٢) الْمُصْطَدَمُ: مَكَانَ الاضْطِدَامِ، أَيِ: مُلْتَقَى الْجَيْشِ.

(٣) الْفُصُولُ: الْمَوَاسِمُ.

(٤) الْحَتْفُ: الْمَوْتُ.

(٥) الْوَحْمُ: الْوَبَاءُ.

(٦) نَشْرُهُمْ أَيِ: رَائِحَتِهِمْ.

(٧) الْكِمِّي - بَزِيَّةُ الْغِنِيِّ -: لَا بَسَّ السَّلَاحِ وَالشُّجَاعِ.

(٨) الرُّبَا: جَمْعُ رُبْوَةٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ.

(٩) الْحَزْمُ - بِالْفَتْحِ - ضَبْطُ الْأَمْرِ، وَالْأَخْذُ مِنْهُ الثِّقَةُ. وَالْحُزْمُ - بِضَمِّتَيْنِ - جَمْعُ حِزَامٍ، وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ الْوَسْطُ.

(١٠) الْفَرَقُ - بِفَتْحَتَيْنِ - الْخَوْفُ.

(١١) الْبُهِمُ - بِالْفَتْحِ - جَمْعُ بُهْمَةٍ، وَهِيَ أَوْلَادُ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ. الْبُهِمُ - بِزِيَّةِ الْغُرْفِ - جَمْعُ بُهْمَةٍ - بِالضَّمِّ -، وَهُوَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَسْتَبِيهُمُ مَا تَأْتَاهُ عَلَى أَقْرَانِهِ (أَيِ: تَخْفَى عَلَيْهِمْ مُقَاتِلُهُ).

(١٢) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧٥ / ٩).

١٣- عَدَدٌ مِّنْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

وَهَنَنْتُمْ مَا نِلْتُمْ مِنْ كَرَامَةٍ إِلَى كَرَمٍ فُزْتُمْ بِهِ وَمَكَارِمٌ^(١)
كَانَ أَبُو عَامِرٍ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ اسْتُشْهِدُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَالثَّانِي أَيْمَنُ ابْنُ أُمِّ
أَيْمَنَ، وَالثَّلَاثُ يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ، وَالرَّابِعُ سُرَاقَةُ بْنُ الْحَارِثِ مِنَ
الْأَنْصَارِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَقَتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ^(٢).

قَالَ حَسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ اتَّصَلُ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا^(٣)



(١) «دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٤١٦٠).

(٢) «الْفُصُولُ» (٢٣٧).

(٣) «الْحِمَاسَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ» (١/ ٥٧٣).

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

عَاجُوا إِلَى الطَّائِفِ الْحِصْنِ الْحَصِينِ، وَقَدْ ظَنُّوا بِهَا رَادِعًا عَنْ كُلِّ مُضْطَدَمٍ^(١) بَعْدَ أَنْ شَتَّتَ الْمُسْلِمُونَ هَوَازِنَ، وَتَعَقَّبُوهَا فِي نَخْلَةٍ وَأَوْطَاسٍ، اتَّجَّهُوا إِلَى مَدِينَةِ الطَّائِفِ، الَّتِي تَحَصَّنَتْ فِيهَا ثَقِيفٌ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ قَائِدُ هَوَازِنَ.

١- حَالُ الطَّائِفِ:

تَبَعْدُ الطَّائِفُ عَنْ مَكَّةَ حَوَالِي تِسْعِينَ كَيْلًا، وَتَمْتَازُ بِمَوْقِعِهَا الْجَبَلِيِّ، وَبِأَسْوَارِهَا الْقَوِيَّةِ، وَحُصُونِهَا الدَّفَاعِيَّةِ، وَلَيْسَ إِلَيْهَا مَنفذٌ سِوَى الْأَبْوَابِ الَّتِي أَغْلَقَتْهَا ثَقِيفٌ، بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَتْ مِنَ الْأَقْوَاتِ مَا يَكْفِي لِسِنَةِ كَامِلَةٍ، وَهَيَّأتْ مِنْ وَسَائِلِ الْحَرْبِ مَا يَكْفُلُ لَهَا الصُّمُودَ طَوِيلًا^(٢).

٢- حِصَارُ الطَّائِفِ:

حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ، أَهْلَ الطَّائِفِ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَذِنَ بِالرَّحِيلِ^(٣).

٣- الْإِيذَانُ بِالرَّحِيلِ:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَنْلِ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَنْزِجْ وَلَمْ نَفْتَحْهُ؟

(١) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٢) انْظُرْ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ» لِلْعُمَرِيِّ (٢/ ٥٠٧).

(٣) «جَوَامِعُ السِّيَرَةِ» لِابْنِ حَزْمٍ (٢٤٨).

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ غَدًا»، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ،
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: فَأَعْجَبَهُمْ
ذَلِكَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ:

«مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ قَصَدَ الشَّفَقَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَالرَّفْقَ بِهِمْ بِالرَّحِيلِ
عَنِ الطَّائِفِ لِصُعُوبَةِ أَمْرِهِ، وَشِدَّةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ فِيهِ، وَتَقْوِيَتِهِمْ بِحِصْنِهِمْ وَمَعَ
أَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَوْ رَجَا أَنَّهُ سَيَفْتَحُهُ بَعْدَ هَذَا بِلَا مَشَقَّةٍ كَمَا جَرَى، فَلَمَّا رَأَى
حِرْصَ أَصْحَابِهِ عَلَى الْمُقَامِ وَالْجِهَادِ أَقَامَ، وَجَدَّ فِي الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ
الْجِرَاحُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ قَصْدَهُ أَوَّلًا مِنَ الرَّفْقِ بِهِمْ فَفَرِحُوا بِذَلِكَ؛ لِمَا رَأَوْا
مِنَ الْمَشَقَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَلَعَلَّهُمْ نَظَرُوا فَعَلِمُوا أَنَّ رَأْيَ النَّبِيِّ ﷺ أَبْرَكَ وَأَنْفَعُ
وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً، وَأَصُوبُ مِنْ رَأْيِهِمْ، فَوَافَقُوا عَلَى الرَّحِيلِ، وَفَرِحُوا فَضَحِكَ
النَّبِيُّ ﷺ تَعَجُّبًا مِنْ سُرْعَةِ تَغْيِيرِ رَأْيِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢).

إِذَا مَا دَنَوْا أَدْنَاهُمْ، وَإِذَا هَفَوْا تَجَاوَزَ عَنْهُمْ نَاطِرًا فِي الْعَوَاقِبِ
شَفِيقٌ عَلَى الْأَقْصَيْنِ أَنْ يَرْكَبُوا الرَّدَى فَكَيْفَ بِهِ فِي وَاشْجَاتِ الْأَقَارِبِ؟!^(٣)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٢٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٧٨).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (١٢/ ١٢٤).

(٣) الْأَبْيَاتُ لِابْنِ الْمَوَلَى، كَمَا فِي «الْأَغَانِي» (٣/ ٢٩٠)، يُقَالُ: رَحِمَ وَاشْجَتُ أَيُّ: مُشْتَبِكَةٌ مُتَّصِلَةٌ
مُتَدَاخِلَةٌ.

٤- حِكَايَةُ عَبِيدِ الطَّائِفِ:

تَسْتَعْبِدُونَ بِهَا الْأَحْرَارَ دَهْرَكُمْ فَكُمْ عَبِيدٌ لَكُمْ فِي النَّاسِ أَحْرَارٌ
وَجَهَ النَّبِيُّ ﷺ نِدَاءً إِلَى عَبِيدِ الطَّائِفِ:

أَنَّ مَنْ نَزَلَ مِنْهُمْ مِنَ الْحِصْنِ، وَخَرَجَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ حُرٌّ، فَخَرَجَ
ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ مِنَ الْعَبِيدِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ فَأَسْلَمُوا فَأَعْتَقَهُمْ.

فَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، أَوْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا وَأَبَا بَكْرَةَ
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: عَاصِمٌ قُلْتُ: لَقَدْ شَهِدَ عِنْدَكَ رَجُلَانِ حَسْبُكَ بِهِمَا، قَالَ:
أَجَلٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَنَزَلَ إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ^(١).

إِنَّمَا النَّاسُ جَمِيعًا أُخُوَّةٌ لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ عَبِيدٍ أَوْ خَدَمٍ
هُمُ سَوَاءٌ، وَلِكُلِّ حَقُّهُ ذَاكَ حُكْمُ اللَّهِ، لَا حُكْمُ الصَّنَمِ^(٢)

٥- عُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ:

لَا تَخْلُ مَعْشَرًا قَضَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ هِ مَوْتَى، بَلْ هُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ^(٣)
اسْتَشْهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالطَّائِفِ جَمَاعَةً، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ مِنَ الطَّائِفِ إِلَى الْجِعْرَانَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مِنْهَا مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فَقَضَى عُمْرَتَهُ،
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ^(٤).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٢٧).

(٢) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (١٠٥٠).

(٣) «دِيَوَانُ مُحَمَّدَ الْعَيْنِدِ آلِ خَلِيفَةَ» (٣٩٧).

(٤) «رَأْدُ الْمَعَادِ» (٤٩٨ / ٣).

وَفِي حُنَيْنٍ إِذْ أَرْتَدَّتْ هَوَازُنُ عَنْ سَرَى إِلَيْهَا بِيحْرٍ مِنْ مُلْمَلَمَةٍ^(١) حَتَّى اسْتَدَلَّتْ وَعَادَتْ بَعْدَ نَحْوَتِهَا وَيَمَّمُ^(٤) الطَّائِفَ الْغَنَاءَ^(٥) ثُمَّ مَضَى قَصْدِ السَّيْلِ وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى الْحَكَمِ طَامِي^(٢) السَّرَاةِ^(٣) بِمَوْجِ الْبَيْضِ مُلْتَطِمٍ تُلْقِي إِلَى كُلِّ مَنْ تَلْقَاهُ بِالسَّلَامِ عَنْهَا إِلَى أَجَلٍ فِي الْغَيْبِ مُكْتَتِمٍ^(٦)



(١) كَتَيْبَةُ مُلْمَلَمَةٌ أَي: مُجْتَمِعَةٌ مَضْمُومٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.

(٢) بَحْرٌ طَامٍ أَي: مُرْتَفِعٌ.

(٣) سَرَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ -بِفَتْحِ السَّيْنِ- ظَهْرُهُ، وَالْجَمْعُ سَرَوَاتٌ.

(٤) يَمَّمُ: قَصَدَ.

(٥) الْغَنَاءُ أَي: الْعَامِرَةُ الْوَافِرَةُ الْعُشْبِ وَالْأَهْلِ وَالْبُنْيَانِ.

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ» (١٩ / ٦٠٦).

غَنَائِمُ حُنَيْنٍ

أَعْطَى الْمُؤَلَّفَةُ الْقُلُوبِ رِضَاهُمْ كَرَمًا، وَرَدَّ أَخَايَدَ الْأَحْزَابِ^(١)
بَشَّرَ اللَّهُ ﷺ الْمُسْلِمِينَ بِغَنَائِمٍ كَثِيرَةٍ، وَمِنْهَا غَنَائِمُ حُنَيْنٍ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾

[الْفَتْحُ: ٢٠].

وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ مِنْ نَصِيهِهِمْ.

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ،
فَاطْنَبُوا السَّيْرَ حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً، فَحَضَرَتْ الصَّلَاةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ
رَجُلٌ فَارِسٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا
وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِطُعْنِهِمْ وَنَعْمِهِمْ وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَى
حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٢).

وَقَدْ حَظِيَ بِكَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ الْغَنَائِمِ الطُّلَقَاءُ الْأَعْرَابُ.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي مِنَ الْغَنِيمَةِ الْعَطَاءَ الْجَزِيلَ، لِأَنَاسٍ حُدَّثَاءِ
عَهْدٍ بِكُفْرٍ، يَتَأَلَّفُهُمْ.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتَحَ مَكَّةَ،

(١) «دِيَوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٨).

(٢) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٥٠١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَانْصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِائَةٍ مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَا بَغْضَ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ^(١).

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، وَعَلْقَمَةَ بْنَ عَلَاثَةَ: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مُرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ:

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعُبَيْدِ دَ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ؟^(٢)
فَمَا كَانَ بَدْرًا وَلَا حَابِسًا يَفُوقَانِ مُرْدَاسَ فِي مَجْمَعٍ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
قَالَ: فَاتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِائَةً^(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ»^(٤).

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٤).

(٢) الْعُبَيْدُ: اسْمُ فَرَسٍ - النَّهْبُ: الْغَنِيمَةُ - وَجَمْعُ النَّهْبِ: نِهَابٌ وَنُهُوبٌ. النِّهَايَةُ ١٣٣/٥.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٦٠).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٦)، وَمُسْلِمٌ (١٠٥٩).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا؛ لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكُلُ أَقْوَامًا؛ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ»^(١). وَقَدْ أَتَمَرَ هَذَا الْعَطْفُ فِي نَفُوسِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ.

قَالَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمَ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ»^(٣)، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمَ اسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»^(٤).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَكْبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٥). لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ تَمَكُّنِ الْإِيمَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، دَاسُوا الدُّنْيَا بِأَقْدَامِهِمْ.

فَهَذَا حَكِيمٌ بْنُ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨٨١).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٨).

(٣) أَبِي: كَثِيرَةٌ كَأَنَّهَا تَمَلَأُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٢).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٠٨)، وَمُسْلِمٌ (١٥٠).

قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا^(١) بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا.

فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوفِّيَ^(٢).

ذَكَرْتُكُمْ لَيْلًا فَنَوَّرَ ذِكْرُكُمْ دُجَى اللَّيْلِ، حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دِيَا جِرُهُ فَوَاللَّهِ، مَا أَذْرِي أَضْوَاءَ مُسَجَّرٍ لِدِ ذِكْرَاكُمْ، أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلُ سَاجِرُهُ؟^(٣) وَقَالَ أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

يَا سَيِّدِي، أَذَبْتَهُمْ فَتَادَّبُوا أَدَبَ الْكَرَامِ، فَائْتَمَرَ التَّأْدِيبُ فَرَأَيْتَهُمْ شَمَّ الْأَنْوِفِ أَكَارِمًا عَافُوا الْعَطَايَا، وَالزَّمَانُ خَصِيبُ يَطْوُونَ طَاوِيَةَ الْكُشُوحِ تَعْقُفًا وَتَقَرُّبًا لِلَّهِ، وَهُوَ قَرِيبُ عَرَفُوا حَقِيقَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَلَمْ تَخْدَعُهُمْ، وَشَرَكَهَا مَنْصُوبُ



(١) لَا أَرْزَأُ: لَا أَنْقُصُ مَالَ أَحَدٍ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٧٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٣٥).

(٣) «دِيَوَانُ الْمَعَانِي» (٣٥٣).

قِصَّةُ ذِي الْخَوَيْصِرَةِ

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخَوَيْصِرَةِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْنِي فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ^(١)، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ وَهُوَ قِدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ^(٢)، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ^(٣)، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالْدَّمَ^(٤)، آيَتْهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلِ الْبَضْعَةِ تَتَدَرَّدُ^(٥)، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَمَسَ، فَوُجِدَ، فَأَتَيْ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعْتُ^(٦).

(١) النَّصْلُ: هو حديدُ السَّهْمِ، والرِصَافُ: هو مدخلُ النَّصْلِ مِنَ السَّهْمِ.

(٢) النَضِي: عودُ السَّهْمِ.

(٣) الْقُدْذُ: هي ريشُ السَّهْمِ. فشبَّه النبي ﷺ مروقَهُم وخروجَهُم مِنَ الدِّينِ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَخْرُجُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ نَحْوَ الرَّمِيَّةِ.

(٤) الْفَرْثُ: الروثُ فِي الْكَرْشِ، أَي: أَنَّ السَّهْمَ مِنْ شِدَّةِ سُرْعَتِهِ خَرَجَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى وَلَمْ يُصَبِّهِ فَرْثٌ وَلَا دَمٌ.

(٥) الْبَضْعَةُ - بفتح الباء -: القطعةُ عَنِ اللَّحْمِ، تَتَدَرَّدُ: أَي: تَضْطَرِبُ وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ.

(٦) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

قُدُومُ وَفْدِ هَوَازِنَ

إِنَّ السُّيُوفَ غُدُوْهَا وَرَوَاحَهَا تَرَكْتُ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَعْصَبِ^(١)
بَعْدَ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ، قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ يُعْلِنُ إِسْلَامَهُ، وَيَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ رَدَّ الْأَمْوَالِ وَالسَّبْيِ عَلَيْهِمْ، فَخَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ السَّبْيِ وَالْمَالِ،
فَاخْتَارُوا السَّبْيَ.

فَعَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ
حِينَ جَاءَ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَعِيَ مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا
إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ».

وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ،
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ لَهُمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا:
فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا.

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ فَاتَّيَ عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ
قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ
سَبْيُهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَيَّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى
حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ».

فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(١) «دَوَائِئُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٥ / ٨٧). الْأَعْصَبُ: الْمَكْسُورُ، الْقَرْنُ: الدَّخْلُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرْفَاؤُكُمْ أَمْرُكُمْ» فَارْجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرْفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا^(١).

إِذَا كَانَ هَذَا الْحَيْلُ أَتْبَاعَ نَهْجِهِ وَقَدْ حَكَمُوا السَّادَاتِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ فَقُلْ: كَيْفَ كَانَ الْمُصْطَفَى وَهُوَ رَمْزُهُمْ مَعَ نُورِهِ لَا تُذَكِّرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ؟!

زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْجُونِيَّةِ

لَوْ اقْسَمْتَ أَخْلَاقُهُ الْعُزُّ لَمْ تَجِدْ مَعِيًّا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبًا^(٢)
تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ أَمِيمَةَ بِنْتَ النِّعْمَانِ بْنِ شَرَا حَيْلِ الْجُونِيَّةِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ ابْنَةَ الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَنَا مِنْهَا قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ عُدْتُ بِعَظِيمٍ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ»^(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهَا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ ﷺ وَمَعَهَا دَائِئُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَبِي نَفْسِكَ لِي». قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا لِلسَّوْقَةِ؟ قَالَ: فَاهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ. فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فَقَالَ: «قَدْ عُدْتُ بِمَعَاذٍ». ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقَتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا»^(٤).



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣١٩).

(٢) دِيوَانُ أَبِي تَمَامٍ (٦٢).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (٥٢٥٤).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (٥٢٥٧).

فَتْحُ الطَّائِفِ

كُلُّ يَوْمٍ فَتَحَ مُبِينٌ وَنَصْرٌ وَاعْتِلَاءٌ عَلَى الْأَعَادِي وَقَهْرٌ^(١)
كَانَتْ شَفَقَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَحَدَبُهُ عَلَيْهِمْ حِيَالُ حُصُونِ
الطَّائِفِ الْمَنِيعَةِ، جَعَلَتْهُ يَأْذُنُ لَهُمْ بِالْقُفُولِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَهْدِيَ
أَهْلَ الطَّائِفِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٢).

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ وَفَدُ الطَّائِفِ دُونَ قِتَالٍ، يَتَقَدَّمُهُمْ مَلِكُهُمْ
مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي أَسْلَمَ، وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ
ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ^(٣).

فَتَحَتْ مَبَادِئُهُ الْحُصُونِ أَمَامَهُ قَبْلَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَآ^(٤) الرَّعَافِ
غَزَتْ الْقُلُوبَ بِسِحْرِهَا فَكَانَتْهَا قَدْ لَامَسَتْ مِنْهُنَّ كُلَّ شِغَافٍ^(٥)
أَيْنَ الَّذِي يَغْزُو الْقُلُوبَ مِنَ الَّذِي يَغْزُو الرِّقَابَ بِحِدَّةِ الْأَسْيَافِ؟!^(٦)



(١) «دِيَوَانُ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقَدٍ» (٣٧٤).

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) انْظُرْ: «الْفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٢٤١).

(٤) الْقَنَآ: جَمْعُ قَنَآةٍ، وَهِيَ الرُّمْحُ.

(٥) الشِّغَافُ - بِالْفَتْحِ -: غِلَافُ الْقَلْبِ، أَوْ حِجَابُهُ، أَوْ سُودَاؤُهُ.

(٦) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشَّعْرِ» (٤٣).

مَوْعِظَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَعْشَرًا أَعَزَّ مِنَ الْأَنْصَارِ عِزًّا وَأَفْضَلًا^(١)
تَأْتِرُ بَعْضُ الْأَنْصَارِ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ لِعَدَمِ شُؤْلِهِمْ بِالْأَعْطِيَّاتِ.
فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ: فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ
قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ؛ يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرَكُنَا
وَسُيُوفُنَا تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ».

وَالَّذِي نُقِلَ عَنِ الْأَنْصَارِ إِنَّمَا هُوَ عَنْ بَعْضِ شَبَابِهِمْ، لَا عَنْ شُيُوخِهِمْ
وَكُهُولِهِمْ، كَمَا قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ فَقَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا ذُوو رَأِينَا يَا رَسُولَ
اللَّهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أَنَسٌ مِنَّا حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ
اللَّهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرَكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ^(٢).

وَمَعَ ذَلِكَ جَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَبَابًا وَكُهُولًا وَشُيُوخًا، وَوَعَظَهُمْ
مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، اشْتَمَلَتْ عَلَى مَنَاقِبَ عَظِيمَةٍ لَهُمْ، وَجَلَّتْ لَهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ
مِنْهَا الدَّمُوعُ.

(١) «دِيَوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١٩٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٣١)، وَمُسْلِمٌ (١٠٥٩).

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهم قَالُوا: لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا، فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ؟ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ -أَي: الْكَلَامُ الرَّدِّيُّ- حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظَمًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ. قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا أَمْرٌ مِنْ قَوْمِي؟ قَالَ: «فاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ».

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدُ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ:

«يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَهُ بَلَعْتَنِي عَنْكُمْ -أَي: كَلَامٌ- وَجِدَّةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ -أَي: سَخَطٌ وَغَضَبٌ-، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟، وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟».

قَالُوا: بَلَى، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ وَأَفْضَلُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تُحْيِيُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ»، قَالُوا: وَبِمَاذَا نُحْيِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصَدَّقْتُمْ، أَتَيْنَا مُكَذَّبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْنَاكَ، أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا - أَيُّ: الشَّيْءِ التَّافَهُ الْحَقِيرِ -، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟!»

أَلَا تَرْضَوْنَ - يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ - أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ أَنْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟!!!

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتِ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ!..

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ^(١)، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا^(٢).

وَأَزَرَهُ أَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ^(٣) فَابْتَنَوْا مِنَ الْمَجْدِ بُنْيَانًا أَعْرَ مُشَهَّرًا وَسَمَّاهُمُ الرَّحْمَنُ أَنْصَارَ دِينِهِ وَكَانَ عَطَاءُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَكْبَرًا

(١) أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ أَيُّ: أَبْلَوْهَا بِالْذُّمِّوع.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٩٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، وَ(٤٣٣١)، وَ(٤٣٣٧)، عَنْ أَنَسٍ، وَمُسْلِمٍ (١٠٥٩) عَنْ أَنَسٍ، وَ(١٠٦١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَحْمَدُ (٣/ ٧٦-٧٧-٨٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ.

(٣) أَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ: هُمُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَهُمْ الْأَنْصَارُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ مُحَرَّمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَيْرَ النَّسِينَ يَصْفِيكُمْ مَوَدَّتَهُ وَاللَّهُ يَشْكُرُكُمْ فَضْلاً وَإِحْسَاناً^(١)
هَجَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَزْوَاجَهُ

عليك بالهجر عِلَّ الهجر يُرجعها إلى الوصال ولا أَسْتَطِيعُ أَهْجَرُهَا
هَجَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَزْوَاجَهُ، وَآلَى مِنْهُنَّ شَهراً، وَاعْتَزَلَ عَنْهُنَّ فِي مَشْرَبَةٍ
لَهُ^(٢).

١- سَبَبُ هَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ:

كَانَ مِنْ أَسْبَابِ هَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَائِشَةَ:
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرِبُ عِنْدَهَا عَسلاً. قَالَتْ:
فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ آتَيْنَا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلْتَقُلْ لَهُ: إِنِّي أَجِدُ
مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ، أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ. قَالَ:
« لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ ». فَنَزَلَ: ﴿لَمْ
تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التَّحْرِيمُ] إِلَى ﴿إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التَّحْرِيمُ] لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ.
﴿وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ [التَّحْرِيمُ] لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسلاً»^(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُمَةٌ يَطُؤُهَا فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ
حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾^(٤).

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٌ» (٩٦٦).

(٢) مَشْرَبَةٌ لَهُ، أَي: غُرْفَةٌ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢٦٧).

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٧١ / ٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ النَّسَائِيِّ» (٣٩٥٩).

٢- قِصَّةُ هَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَزْوَاجَهُ:

فَدَنَّهُ نَفْسِي فَمَا نَفْسٌ تُشَابِهُهُ مَا مِثْلُهُ بَشَرٌ وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ!
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْمَرَّاتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: ﴿إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
 صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤] فَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَعَدَلْتُ وَوَعَدْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّرَ
 حَتَّى جَاءَ، فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
 مِنَ الْمَرَّاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: ﴿إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
 صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]، فَقَالَ: وَاعْجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ،
 ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَارًا لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي
 بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ^(١)، وَكُنَّا نَتَنَاقَشُ الزُّوْلَ عَلَى النَّبِيِّ
 ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَمْرِ
 وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ، وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى
 الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ
 الْأَنْصَارِ، فَصَحْتُ عَلَى امْرَأَتِي، فَرَاغَعْتَنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ:
 وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعُنَّهُ، وَإِنْ إِحْدَاهُنَّ
 لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْرَعَنِي، فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ، ثُمَّ
 جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَيُّ حَفْصَةَ أَتَعَاظِبُ إِحْدَاكُنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ أَقْتَامُنُ
 أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِعُصْبِ رَسُولِهِ ﷺ، فَتَهْلِكِينَ لَا تَسْتَكْثِرِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَهْجُرِيهِ، وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكَ، وَلَا يَغُرَّنَكَ أَنْ

(١) «العوالي» هو ضيعةٌ بينها وبين المدينة أربعة أميالٍ، وقيل: ثلاثة.

كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَأُ مِنْكَ، وَأَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عَائِشَةَ - وَكُنَّا تَحَدَّثُنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعَلُ النَّعَالَ لِغَزْوِنَا، فَتَزَلُ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً، فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَنَأَيْتُمْ هُوَ، فَفَزِعْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ، فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، قُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَوْ لَمْ أَكُنْ حَدَرْتُكَ، أَطَلَّقَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: لَا أَدْرِي هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ، فَجِئْتُ الْمِنْبَرَ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ، حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَرُ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِيٌّ عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشُوها لَيْفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: «لَا»، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: اسْتَأْنَسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: لَا يَعْرَنُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَأُ مِنْكَ، وَأَحَبُّ إِلَيَّ النَّبِيِّ

عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَتَبَسَّمْ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصْرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَيَّ أَمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ وَأَعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ، وَكَانَ قَدْ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةٍ مَوْجِدَتْهُ عَلَيْهِنَّ»^(١)، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ «فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: عَائِشَةُ إِنَّكَ أَفْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعَدَّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ»، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَنْزَلَتْ: آيَةُ التَّخِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبُوكَ»، قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمْتُ أَنَّ أَبُوكَ لَمْ يَكُنَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]»، قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبُوكَ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ خَيْرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَا مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ^(٢).



(١) «موجدته» أي: الغضب.

(٢) رواه البخاري (٥١٩١).

غَزْوَةُ تَبُوكَ

مَضَى عَلَى الْحَقِّ، لَمْ تَعْصِفْ بِهِمَّتِهِ رِيحُ الضَّالَالِ، وَلَمْ يَحْفَلْ بِتَهْوِيلِ^(١)

١ - مَوْقِعُهَا:

تَقَعُ شَمَالُ الْحِجَازِ، تَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَّةً وَسَبْعِينَ وَثَمَانِمِائَةً كَيْلًا، حَسَبَ الطَّرِيقِ الْمُعَبَّدَةِ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، وَكَانَتْ مِنْ دِيَارِ قُضَاعَةَ الْخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِ الرُّومِ آنَذَاكَ.

٢ - سَبَبُ الْغَزْوَةِ:

لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷺ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٩].

نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَأَعْلَمَهُمْ بَغَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ تَسْعٍ^(٢).

٣ - التَّوَجُّهُ لَتَبُوكَ كَانَ مُعْلَنًا:

فِي طَاعَةِ إِلَهٍ مَمْسَاهُ وَمَصْبَحُهُ وَمِنْهُ لِلْخَيْرِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارُ^(٣) أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وُجْهِهِ الْجَيْشِ، بَعْدَ أَنْ ظَلَّ يَعْتَمِدُ عَلَى عُنْصُرِ الْمُفَاجَأَةِ فِي غَالِبِ

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٤٣٥).

(٢) «الْفُصُولُ» (٢٤٢-٢٤٣).

(٣) «دِيَوَانُ إِبْرَاهِيمَ الْيَازِجِيِّ» (٧٣).

غَزَوَاتِهِ؛ لِأَنَّ الْعَدَدَ كَثِيرٌ، وَالْمَسَافَةَ بَعِيدَةً، وَالْحَرَّْ شَدِيدًا، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ وَالتَّزَوُّدِ^(١).
فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا
إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَعَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ،
اسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَقَازًا - أَيْ الصَّحَرَاءَ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا -، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا
كَثِيرًا، فَجَلَّى^(٢) لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي
يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ^(٣)»^(٤).

٤- تَسْمِيَةُ غَزْوَةِ تَبُوكَ بِغَزْوَةِ الْعُسْرَةِ:

شُكْرًا وَأَجْرًا لِمَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ فِي عُسْرَةٍ أَظْلَمَتْ فِيهَا مَطَالِعُنَا^(٥)
سُمِّيَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ بِغَزْوَةِ الْعُسْرَةِ، لِمَا لَقِيَهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عُسْرَةٍ وَجْهِدَ،
وَعَطَشَ وَبَلَاءَ، وَحَرِّ شَدِيدٍ، وَمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٧].

٥- النِّفَقَةُ عَلَى الْجِهَادِ:

وَجَهَّزَ جَيْشًا سَارَ فِي وَقْتِ عُسْرَةٍ تَعَدَّرَ مِنْ قُوتٍ بِهِ الصَّاعُ وَالْمَدُّ^(٦)
حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى النِّفَقَةِ، وَوَعَدَ الْمُنْفِقِينَ بِعَظِيمِ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ ﷻ,

(١) أَنْظَرُ «صَحِيحُ السَّيْرَةِ» الْعَلِيِّ (٥٨٤).

(٢) فَجَلَّى أَيْ: أَوْضَحَ وَكَشَفَ لَهُمُ الْأَمْرَ.

(٣) وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ أَيْ: لَمْ تُقَيَّدْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سَجَلٍ؛ حَتَّى يُعْرِفَ الْحَاضِرُ مِنَ الْغَائِبِ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٤٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٦٩).

(٥) «دِيَوَانُ ابْنِ نَبَاتَةَ الْمَصْرِيِّ» (٢١٥٢).

(٦) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/٩).

فَسَارَعَ أَغْنِيَاءُ الصَّحَابَةِ وَفُقَرَاؤُهُمْ إِلَى تَقْدِيمِ الْأَمْوَالِ، وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه مِنْ أَكْثَرِ الْمُنْفِقِينَ عَلَى جَيْشِ تَبُوكَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَجَهَّزَهَا عُثْمَانُ^(١).

وَجَاءَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ بِصَاعِ التَّمْرِ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا مُبِيضًا^(٢) يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ^(٣)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ^(٤)»^(٥).

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَصْدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٩].

يَشُوقُكَ مِنْهُمْ كُلُّ حِلْمٍ وَنَجْدَةٍ تَجَلَّتْ بِكُلِّ مِنْهُمَا الشَّيْبُ وَالْمُرْدُ^(٦) بِهَالِيلٍ^(٧) أَمَا بَذَلُهُمْ فِي جِهَادِهِمْ فَأَنْفُسُهُمْ، وَالْمَالُ، وَالنُّصْحُ، وَالْحَمْدُ^(٨)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ «الْفَضَائِلِ» (٧/٦١)، وَهُوَ فِي الْبُخَارِيِّ (٢٧٧٨) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه.

(٢) مُبِيضًا أَيَّ: لَا بَسًا الْبَيَاضَ.

(٣) يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ أَيَّ: يَتَحَرَّكُ وَيَنْهَضُ، وَالسَّرَابُ: هُوَ مَا يَظْهَرُ لِلْإِنْسَانِ فِي الْهَوَاجِرِ فِي الْبَرَارِيِّ كَأَنَّهُ مَاءٌ.

(٤) لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ أَيَّ: عَابَوْهُ وَاحْتَقَرَوْهُ.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٦٩).

(٦) الْمُرْدُ: جَمْعُ أَمْرَدٍ، وَهُوَ الَّذِي خَدَّاهُ أَمْلَسَانِ لَا شَعَرَ فِيهَا.

(٧) الْبِهَالِيلُ: السَّادَةُ، وَاحِدُهُمْ: بُهْلُولٌ.

(٨) «دَوَائِيْنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/٩).

٦- شَأْنُ الْأَشْعَرِيِّينَ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الْحُمْلَانَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ وَوَافَقْتُهُ، وَهُوَ غَضَبَانُ وَلَا أَشْعُرُ» وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنَعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَمِنْ مَخَافَةٍ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً، إِذْ سَمِعْتُ بَلَاءًا يُنَادِي: أَيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَحَبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: «خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ، وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ - لِسِتَّةِ أَبْعَرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ -، فَاذْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ، فَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ»^(١).

٧- عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ:

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ^(٢) نَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْبَرِ جَيْشٍ قَادَهُ فِي حَيَاتِهِ، إِذْ كَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَهُوَ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَى مَدَى اسْتِجَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِدَوَاعِي الْعَقِيدَةِ فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ الْقَاسِيَةِ مِنَ الْحَرِّ الشَّدِيدِ وَالْعُسْرَةِ^(٣).

فَغَالَبَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا سِلَاحَهُمْ نِيُوبٌ وَأَظْفَارٌ لَهُمْ فَهُمْ أَسَدٌ

(١) رواه البخاري (٤٤١٥)، ومسلم (١٦٤٩).

(٢) «دِيَوَانُ أَبِي تَمَامٍ» (٢٠).

(٣) انظر: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ» لِلْعُمَرِيِّ (٥٠٧/٢).

ثِقَاتٌ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ يَعِدُوا يَفُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُهْدُوا، وَإِنْ يُقْصَدُوا يُجَدُّوا^(١)
وَأَمَّا مَكَانُ الصَّدَقِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ مَقَالُهُمْ، وَالطَّعْنُ، وَالضَّرْبُ، وَالْوَعْدُ^(٢)

٨- اسْتِخْلَافَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ:

جَعَلْتُكَ مِنِّي يَا عَلِيُّ بِمَنْزِلِ كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى النَّحِيبِ الْمُكَلَّمِ
اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ: فَأَذَاهُ
الْمُنَافِقُونَ، فَقَالُوا: تَرَكَهُ عَلَى النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ، فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَكَا
إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟، غَيْرَ
أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٣).

صَهَرَ النَّبِيُّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرَهُ أَضَحَّتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وَبُرْهَانًا
وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ لَهُ مَكَانَ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ^(٤)

٩- أَنَاثُ فِي الْمَدِينَةِ أَخَذُوا أَجَرَ الْغَزْوِ:

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ فِي الْمَدِينَةِ أَنَاثًا أَخَذُوا أَجَرَ الْغَزْوِ مَعَهُمْ كَامِلًا حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ.
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ
خَلَفْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًّا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»^(٥).

(١) يُجَدُّوا: يُعْطُوا.

(٢) «دَوَاوِينَ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/٩).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤١٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٠٤).

(٤) «الْحَمَاسَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ» (٧٩٥/٢).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٣٩).

يَا ظَاعِنِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَيْقَشِ لَقَدْ سَرْتُمْ
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُدْرٍ وَعَنْ قَدْرِ وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُدْرٍ فَقَدْ رَاحَا

١٠- بَرَكَةُ الطَّعَامِ:

كَمْ آيَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُعْجَزَةٍ تَكِلُ عَنْ مُتَهَايَا أَلْسُنِ الْفُصَحَا^(١)
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوُهُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَذْنَتْ لَنَا فَنَحْرُنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَهْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«افْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ
ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي
ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطْعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ
أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ
تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ،
قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، قَالَ:
فَاخْذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءً إِلَّا مَلَأُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا
حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»^(٢).

١١- بَرَكَةُ الْمَاءِ:

قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى تَبُوكَ يَوْمَ وَاحِدٍ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ
غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا

(١) ابنُ زُمَرٍ (٢٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧).

مِنْكُمْ فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ» فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ،
وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبْصُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ
مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟» قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ
اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. قَالَ: ثُمَّ عَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ،
قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ
مِنْهُمْ أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ - شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ:
«يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِيَءَ جِنَانًا»^(١).

١٢- عَدَدٌ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ:

سَيُقْبَلُ عَهْدٌ بِالْمَسَرَّاتِ بِاسْمِ وَيُذْبِرُ عَهْدٌ مِنْ نِفَاقٍ وَبُهْتَانٍ^(٢)
تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءُ، وَالذَّرِيَّةُ، وَمَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ مِنَ الرِّجَالِ،
مِمَّنْ لَا يَجِدُ ظَهْرًا يَرْكَبُهُ، أَوْ نَفَقَةً تَكْفِيهِ، وَمِنْهُمْ الْعَرَبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا
الْعَرَبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِذْ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حِزْنًا أَلَّا يُحِذُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢) ﴿التَّوْبَةُ: ٩٣﴾ [٣].

وَتَخَلَّفَ مُنَافِقُونَ كُفْرًا وَعِنَادًا وَكَانُوا نَحْوَ الثَّمَانِينَ رَجُلًا، وَتَخَلَّفَ عَصَاةٌ،
مِثْلُ: مُرَارَةَ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَهِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ

(١) رواه مسلم (٧٠٦).

(٢) «دِيَوَانُ ابْنِ سَحْنُونٍ» (٢٢٧).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٢٦-١٢٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩٣٧).

بَعْدَ قُدُومِهِ ﷺ بِخَمْسِينَ (١).

١٣- مُرُورُ الْمُسْلِمِينَ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ:

فَمَنْ مَبْلُغُ الْفِتْيَانِ: أَنِّي بَعْدَهُمْ مُقِيمٌ بِدَارِ الظَّالِمِينَ وَحَيْدُ (٢)
سَارَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ الْحَجْرَ، وَهِيَ مَدَائِنُ ثَمُودَ، الْمَعْرُوفَةُ
الْيَوْمَ بِاسْمِ مَدَائِنِ صَالِحٍ، فَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا
بَاكِينَ، وَأَلَّا يَشْرَبُوا إِلَّا مِنْ بُئْرِ النَّاقَةِ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَجْرِ، فَقَالَ
لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا
بَاكِينَ، حَدَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ». ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَفَهَا (٣).
وَعَنْهُ قَالَ: «أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَجْرِ أَرْضِ ثَمُودَ،
فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَهْرِيقُوا
مَا اسْتَقَوْا وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبُئْرِ الَّتِي كَانَتْ
تَرُدُّهَا النَّاقَةُ» (٤).

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَجَارَهَا مُقْنَعًا» (٥).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ،
وَمَوَاضِعِ الْعَذَابِ، وَمِثْلُهُ الْإِسْرَافُ فِي وَادِي مُحَسَّرٍ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ هَلَكُوا

(١) «الفصول» (٢٤٥-٢٤٦) وأصله في «الصحيحين».

(٢) «دَوَائِنُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣/٤٠١).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٨١)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٨٠).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٧٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٨٠).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٧٩).

هُنَاكَ، فَيَنْبَغِي لِلْمَارِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُرَاقَبَةُ وَالْخَوْفُ وَالْبُكَاءُ، وَالْإِعْتِبَارُ بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

١٤- مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا بَلَغَ تَبُوكَ؟

لَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ ضُرِبَتْ لَهُ قُبَّةٌ.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ^(٢).

١٥- مُصَالَحَةُ أَهْلِ أَيْلَةٍ:

جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ تَبُوكَ يَخْنَةُ بْنُ رُوْبَةَ، صَاحِبُ أَيْلَةٍ، فَصَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ ثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ كُلِّ سَنَةٍ، وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ، وَأَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ بُرْدًا وَكَتَبَ لَهُ وَلِأَهْلِ أَيْلَةٍ كِتَابًا.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِي الْقُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «اُخْرُضُوا». وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ. فَقَالَ لَهَا: «أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا». فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهَا سَتَهَبُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيُعْقِلْهُ». فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلٍ طَيِّءٍ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ، فَلَمَّا أَتَى وَادِي الْقُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «كَمْ جَاءَ حَدِيقَتِكَ؟» قَالَتْ: عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، خَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي مُتَعَجِّلٌ

(١) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (١٨/ ١١١-١١٢).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٧٦).

إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِيَ فَلْيَتَعَجَّلْ». فَلَمَّا قَالَ الرَّاويُ كَلِمَةً مَعْنَاهَا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: «هَذِهِ طَابَةُ». فَلَمَّا رَأَى أَحَدًا قَالَ: «هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «دُورُ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ أَوْ دُورُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزَرَجِ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ - يَعْنِي - خَيْرًا»^(١).

١٦- أَسْرُ أَكِيدِرٍ ثُمَّ مُصَالِحَتُهُ:

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَكِيدِرٍ دُومَةَ، وَهُوَ أَكِيدِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَيْهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيخَالِدٍ إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقْرَ. فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ وَفِي لَيْلَةٍ مُقِمَرَةٍ صَائِفَةٍ وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ وَمَعَ امْرَأَتُهُ فَبَاتَتْ الْبَقْرُ تَحْكُ بَقْرُونَهَا بَابَ الْقَصْرِ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ هَلْ رَأَيْتِ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ قَالَ لَا أَحَدٌ. فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ لَهُ وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيهِمْ أَخٌ يُقَالُ لَهُ حُسَانٌ. فَارْكَبَ وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمِطَارِدِهِمْ. فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ حَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَتْهُ وَقَتَلُوا أَخَاهُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ^(٢) حَدِيثُ الْبَرَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَلَّةٌ حَرِيرٌ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ

(١) رواه البخاري: (١٤٨١).

(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ١٦٩ - ١٧٠)، والحديث حسن؛ لأنه قد ثبت سماع عاصم عن أنس كما قال الحافظ في التقریب كما صرح ابن إسحاق بالسماع عن شيخه عاصم في المغازي، وذلك في =

يَمْسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا، أَوْ أَلَيْنُ^(١).

١٧- رجوع النبي ﷺ من تبوك:

أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَبُوكَ عَشْرِينَ لَيْلَةً^(٢) لَمْ يَلَقَ عَدُوًّا وَرَأَى أَنْ دُخُولَهُمْ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، فَعَزَمَ عَلَى الرَّجُوعِ، وَكَانَ رُجُوعُهُ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعٍ^(٣).

١٨- مُحَاوَلَةُ اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ:

يُسِرُّ لَكَ الْبُغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقٌ^(٤)
خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَلَّةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَحَافِلُوا اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، تَعَاهَدُوا أَنْ يَدْفَعُوهُ عَنْ رَاحِلَتِهِ إِلَى الْوَادِي، إِذَا تَسَنَّمَ الْعَقَبَةَ بِاللَّيْلِ.
فَعَنَّ أَبِي الطُّفَيْلُ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقَبَةَ^(٥)؛ فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ.

= تَكْمِلَةُ الْحَدِيثِ حَيْثُ قَالَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «رَأَيْتُ قِبَاءً أَكِيدَرُ حَيْثُ قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيَتَعْجَبُونَ مِنْهُ...». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. (ابْنُ هِشَامٍ: سِيرَةُ ٢٣٢/٤).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦١٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٦٨).

(٢) الطَّبَقَاتُ (١٢١/٢) وَعِنْدَ ابْنِ هِشَامٍ (١٧٠/٤) بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ.

(٣) «الْفُصُولُ» (٢٤٩).

(٤) دِيَوَانُ جَرِيرٍ (٤١٢).

(٥) الْعَتَبَةُ: طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ وَعَرٌّ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِهِ عَلَى مُسْلِمٍ» (١٢٦/١٧): «هَذِهِ الْعَقَبَةُ لَيْسَتْ الْمَشْهُورَةُ بِمَعْنَى الَّتِي كَانَتْ بِهَا بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا هَذِهِ عَقَبَةُ عَلَى طَرِيقٍ =

فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ، وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ، إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا، وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «قَدْ قَدْ»^(١) حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ، وَرَجَعَ عَمَّارٌ فَقَالَ: «يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟». فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ، وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ.

قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟».

قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَطْرَحُوهُ».

فَعَذَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً؛ قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ.

فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الْاِثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِيَةَ حَرَبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ^(٢).

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي هَؤُلَاءِ قَوْلَهُ: ﴿وَهُمْ أَوَّامًا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٤].

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ يَظُنُّ بَعْضُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنَّ أَصْحَابَ الْعَقْبَةِ

= تَبَوَّكُوا، اجتمع المنافقون فيها للغدر برسولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ».

(١) أَيُّ: حَسْبُكَ، وَهِيَ بِمَعْنَى: كَفَى كَفَى.

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٢٣٢٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٩٥/٦) «رجالُهُ رجالُ

الصَّحِيحِ»، وقال الأرنؤوط: إسناده قويٌّ على شَرَطِ مُسْلِمٍ، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي «صَحِيحِ

مسلم» (٢٧٧٩) مُخْتَصَرًا.

الْمَذْكُورِينَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُمْ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ الَّذِينَ بَايعُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي
أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَحَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

إِنَّمَا هُوَ لَاءِ قَوْمٍ عَرَضُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَقَبَةٍ صَعِدَهَا، لَمَّا قَفَلَ مِنْ
غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَقَدْ كَانَ أَمْرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى: لَا يَطْلُعُ الْعَقَبَةُ أَحَدٌ، فَلَمَّا أَخَذَهَا
النَّبِيُّ ﷺ عَرَضُوا لَهُ، وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ؛ لِئَلَّا يَعْرِفُوا، أَرَادُوا بِهِ سُوءًا، فَلَمْ
يُقَدِّرْهُمْ اللَّهُ - تَعَالَى - (١).

فَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فِي أُمَّتِي (٢) اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا (٣)، لَا
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا تَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ (٤)، ثَمَانِيَةٌ
مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمْ (٥) الدُّبَيْلَةُ سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَانِهِمْ (٦) حَتَّى يَنْجَمَ (٧) مِنْ
صُدُورِهِمْ (٨)».

(١) «جامع الأصول» (١/٩٣٠٦).

(٢) وفي رواية «في أصحابي» أي: مُنَدَسِّينَ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسُوا مِنْهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -:
﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ
سَعَدَ بِهِمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، فَهُمْ يُنْسَبُونَ إِلَىٰ صُحْبَتِي، فَهُمْ فِي
الظَّاهِرِ مَعِي، لَكِن فِي الْبَاطِنِ هُمْ ضِدِّي.

(٣) اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا: وَهُمْ الَّذِينَ جَاءُوا مُلَثِّمِينَ وَقَدْ قَصَدُوا النَّبِيَّ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، فَحَمَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ،
وَأَعْلَمَهُ بِأَسْمَائِهِمْ.

(٤) سَمُّ الْخِيَاطِ: بِثَلَاثِ السَّيْنِ، وَالْفَتْحُ أَشْهُرُ: ثَقْبُ الْإِبْرَةِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ أَبَدًا، كَمَا لَا
يَدْخُلُ الْجَمَلُ فِي ثَقْبِ الْإِبْرَةِ أَبَدًا.

(٥) «تَكْفِيكَهُمْ» أَي: تَدْفَعُ شَرَّهُمْ.

(٦) «يَظْهَرُ فِي أَكْتَانِهِمْ» أَي: وَرَمٌ حَارٌّ يَحْدُثُ فِي أَكْتَانِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ أَثَرُ تَرْكِ الْحَرَارَةِ، وَشِدَّةِ
لَهْيِهَا فِي صُدُورِهِمْ مِمَّتِلَّةٌ بِسِرَاجٍ مِنْ نَارٍ، وَهُوَ شُعْلَةُ الْمُصْبَاحِ.

(٧) يَنْجَمُ: يَظْهَرُ وَيَطْلُعُ وَيَعْلُو.

(٨) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٧٩).

١٩- مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ اقْتَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟

إِذَا مَا ذَكَّرْنَا طَيْبَهُ بَعْدَ بُرْهَةٍ مِنَ الدَّهْرِ عَاوَدْنَاهُ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ^(١)
لَمَّا اقْتَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ، أَسْرَاعَ، وَقَالَ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي
حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ»،
فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أَحَدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ
يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(٢).

إِلَى طَيْبَةِ الْغَرَا هِيَامٌ يَشُدُّنِي بِهَا مَسْجِدٌ لِلزَّائِرِينَ يُعْظَمُ
بَنَاهُ رَسُولُ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ شَفِيعُ الْوَرَى بَرٌّ يَجُودُ وَيَرْحَمُ
وَقَالَ آخَرُ:

وَحِينَ أَوْفَى عَلَى وَادِي تَبُوكَ سَعَى
فَصَالَحُوهُ وَأَدَّوْا جَزِيَّةً وَرَضُوا
أَلْفَى بِهَا عَيْنَ مَاءٍ لَا تَبْضُ^(٣) فَمُنْذُ
وَرَاوَدَ الْغَيْثَ فَإِنْهَلَتْ بِوَادِرِهِ
وَأَمَّ طَيْبَةَ مَسْرُورًا بِعَوْدَتِهِ
إِلَيْهِ سَاكِنَهَا طَوْعًا بِلَا رَغَمٍ
بِحُكْمِهِ وَتَبِيعُ الرُّشْدَ لَمْ يَهْمُ
دَعَا لَهَا أَنْفَجَرَتْ عَنْ سَائِغٍ^(٤) سَنِمْ^(٥)
بَعْدَ الْجُمُودِ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمٍ^(٦)
يَطْوِي الْمَنَازِلَ بِالْوَحَادَةِ الرُّسْمِ^(٧)

(١) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣١ / ٣٥٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٤٢).

(٣) بَضٌّ: يَبْضُ بَضِيضًا أَيُّ: سَالَ قَلِيلًا قَلِيلًا.

(٤) السَّائِغُ: هُوَ الَّذِي يَسْهَلُ انْحِدَارُهُ.

(٥) السَّنِمُ: الْعَالِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

(٦) اُنْسَجَمَ الْمَاءُ فَهُوَ مُنْسَجِمٌ: إِذَا نَصَبَ.

(٧) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (٧٦ / ٥٦٠).

٢٠- اسْتَقْبَالَ النَّاسُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَيَشُوقُنِي مِنْ نَحْوِ طَيْبَةٍ نَسَمَةٌ تُبْنَى الْمَشُوقَ بِطَيْبِ الْأَطْيَابِ^(١)
لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَرَجَ النَّاسُ لاسْتِقْبَالِهِ عِنْدَ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ.

فَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ
خَرَجَ النَّاسُ يَتَلَقَّوْنَهُ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ»^(٢).

شَرُفَتْ بِكَ الْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ بَعْدَمَا أُسْكِنَتْهَا، وَتَجَلَّتِ الْأَقْطَارُ
فَالْأَرْضُ حَيْثُ أَقَمْتَ فِيهَا جَنَّةً وَالْأَرْضُ حَيْثُ رَحَلْتَ عَنْهَا نَارُ^(٣)



(١) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٨٣ / ٣٦٢).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٨٢).

(٣) «الْإِبَانَةُ عَنْ سَرِقَاتِ الْمُتَنَبِّي لَفْظًا وَمَعْنَى» (١٦٨).

قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا^(١)

إِنْ خَالَفُوا الْمَجْدَ، لَمْ يَعْدِلْ مُخَالَفَةً أَوْ أَخْلَفُوا الْوَعْدَ، لَمْ يُتْبِعْهُ إِخْلَافًا^(٢)
تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ثَلَاثَةٌ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ:

١ - مُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ - كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣ - هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣).

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
غَزْوَةِ غَزَاهَا - قَطُّ -، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ،
وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ
عِيرَ^(٤) قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ.

(١) أصناف المتخلفين عن تبوك.

المتخلفون عن تبوك أربعة أصناف:

١ - مأمورون مأجورون، وهم: علي بن أبي طالب، ومحمد بن مسلمة، وابن أم مكتوم.

٢ - معذورون، وهم الضعفاء، والمرضى، والفقراء، كالبكائين ونحوهم.

٣ - عصاة مذنبون، وهم الثلاثة الذين خُلِفُوا وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع،
وهلال بن أمية.

٤ - ملومون مذمومون وهم: الأعراب والمنافقون.

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧٩/٢٤٩).

(٣) إِذَا أَرَدْتَ حِفْظَ أَسْمَائِهِمْ، فَقُلْ: (مَكَّة) فَالْمِيمُ مُرَّارَةٌ، وَالْكَافُ كَعْبٌ، وَالْهَاءُ هِلَالٌ.

(٤) الْعِيرُ - بِالْكَسْرِ - الْإِبِلُ تَحْمِلُ الْمِيرَةَ (أَي: الطَّعَامَ)، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى كُلِّ قَافِلَةٍ.

قَالَ: وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟»، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ^(١)، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ^(٢)، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِشَسِّ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخْلَفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضَعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

حَتَّى جِئْتُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى إِنِّي - وَاللَّهِ - لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجَ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا - أَيَّ فَصَاحَةٍ وَقُوَّةٍ فِي الْكَلَامِ -، وَلَكِنِّي - وَاللَّهِ - لَقَدْ عَلِمْتُ لَيْنَ حَدِيثِكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَا رَجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ - قَطُّ - أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ».

(١) البُرد - بِالضَّمِّ - وَاحِدُ الْبُرُودِ، وَهِيَ ثِيَابٌ مِنَ الْيَمَنِ فِيهَا خُطُوطٌ.

(٢) عِطْفًا الْإِنْسَانُ - بِالْكَسْرِ - جَانِبَاهُ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى إِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ.

فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِي هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟

قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ.
قَالَ: فَذَكِّرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ.
قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلْعٍ^(١)، بِأَعْلَى صَوْتِهِ، يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَزْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ.

قَالَ: فَاذْنَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُ

(١) سَلْع - بِالْفَتْحِ - جَبَلٌ عِنْدَ الْمَدِينَةِ.

إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أُمِّلُكَ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا.
وَأَنْطَلَقْتُ أَتَاَمُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي
بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ
مِنَ السُّرُورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ».
قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا بَلَّ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ».

قَالَ فَانْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٦-١١٧] (١).



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤١٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٧١٩)، بِإِخْتِصَارٍ قَلِيلٍ.

الْوُفُودُ

السَّمَاوَاتُ شَيْقَاتُ ظِمَاءٍ وَالْفَضَا وَالنُّجُومُ وَالْأَضْوَاءُ
كُلُّهَا لَهْفَةٌ إِلَى الْعَلَمِ الْهَذَا دِي، وَشَوْقٌ لِذَاتِهِ وَاحْتِفَاءٌ
اشْتَهَرَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَمَا حَوْلَهَا، وَكَانَتْ الْعَرَبُ
تَقُولُ: اَتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، وَكَانَتْ غَزْوَةٌ فَتَحَ
مَكَّةَ مَعْرَكَةً فَاصِلَةً، عَرَفَتِ الْعَرَبُ لِأَجْلِهَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَزَالَتْ عَنْهُمْ
الشُّبُهَاتُ، فَسَارَعُوا إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا بِمَاءٍ
مَمَرٍ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ، فَسَأَلَهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ، مَا هَذَا
الرَّجُلُ؟ - أَيْ: النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ - أَوْ أَوْحَى
اللَّهُ بِكَذَا - فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ وَكَأَنَّمَا يُغْرَى^(١) فِي صَدْرِي، وَكَانَتْ
الْعَرَبُ تَلَوُّمُ^(٢) بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اَتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ
فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرُ^(٣) كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ
أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا،
فَقَالَ: «صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا
حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَدِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا...»^(٤).

(١) يُغْرَى أَيْ: مِنَ التَّغْرِيبَةِ أَيْ: كَأَنَّمَا يُلْصَقُ.

(٢) تَلَوُّمٌ أَيْ: تَتَنَطَّرُ وَتَتَرَبَّصُ، وَأَصْلُهُ بِتَاءَيْنِ، فَحُذِفَتْ إِحْدَاهُمَا تَخْفِيفًا.

(٣) بَادَرَ: أَسْرَعَ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٠٢).

لَهَا أَحَادِيثٌ مِنْ ذِكْرَاكِ تَشْغَلُهَا عَنْ الطَّعَامِ وَتُلْهِيَهَا عَنِ الزَّادِ
لَهَا بِوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ وَمِنْ حَدِيثِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي
إِذَا اشْتَكْتَ مِنْ كَلَالٍ^(١) السَّيْرِ أَوْعَدَهَا رُوحُ الْقُدُومِ فَتَحِيَا عِنْدَ مِيعَادِ
وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْمَغَازِي: أَنَّ عَدَدَ الْوُفُودِ يَزِيدُ عَدَدَهَا عَلَى سَبْعِينَ وَفَدًا،
وَسَوْفَ أَقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِهَا:

١- وَفَدُ بَنِي تَمِيمٍ:

وَإِذَا أَنَادِمُ^(٢) عُصْبَةً عَرَبِيَّةً بَدَرْتُ إِلَى ذِكْرِ الْفَخَارِ تَمِيمٍ^(٣)
عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:
«اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَرُئِيَ
ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَجَاءَ نَفَرٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلَهَا بَنُو
تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٤).

٢- وَفَدُ الْأَشْعَرِيِّينَ:

قَوْمٌ إِذَا هَاطَلَتْ جُودًا أَكْفُهُمْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّدَى مُذْ كَانَ فِي الْيَمَنِ^(٥)
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ،
أَرْقُ أَفْئِدَةً، فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ، فِيهِمْ أَبُو مُوسَى، فَجَعَلُوا لَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ

(١) الْكِلَالُ - بِالْفَتْحِ - التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ.

(٢) نَادِمَةٌ مُنَادِمَةٌ وَنِدَامًا: جَالَسَهُ عَلَى الشَّرَابِ.

(٣) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١/ ٣٣٣).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٦٥).

(٥) «ديوان أبي تمام» (٣٩٠) ..

جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ، يَقُولُونَ: غَدًا نَلْقَى الْأَحَبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: يَقْدُمُ غَدًا أَقْوَامٌ، هُمْ أَرْقُ قُلُوبًا لِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ، قَالَ:

فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ، مِنْهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ: يَقُولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الْأَحَبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ الْمَصَافَحَةَ^(١).

٣- وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ:

أَمَلُ أَنْحَاحٍ بِهِمْ وَفُودًا فَاعْتَدَوْا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ مُنَاحٌ وَفُودٌ^(٢)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: إِنَّ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ^(٣) أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ الْوَفْدُ أَوْ مِنَ الْقَوْمِ».

قَالُوا: رِبِيعَةٌ.

فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»^(٤).

هَيْنُونٌ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يُسْرِ أَهْلُ الْعِبَادَةِ حَفَاطُونَ لِلْجَارِ لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُمَارُونَ - إِنْ مَارَوْا - بِإِكْثَارٍ

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (١٢٠٤٩)، وأبو داود (٢٧٦١)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٥٢٨).

(٢) «أَمَالِي الْقَالِي» (١/٢٣٩).

(٣) عبد القيس قبيلة من قبائل العرب الكبيرة، ينتمون إلى ربيعة وكانوا يسكنون البحرين، والبحرين في القديم تمتد على ساحل الخليج العربي، وتشمل الكويت، والإحساء، والقطيف، وقطر، والبحرين حالياً، وكانت الأحساء عاصمة هذا الإقليم.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٣)، وَمُسْلِمٌ (١٧).

٤- وفد دوس:

سَلِمَتْ وَصَادَفَتْ خَيْرًا وَيُمْنًا رِكَابُكَ فِي رَوَاحٍ وَابْتِكَارٍ^(١)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِوٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ
دَوْسًا وَأَتِ بِهِمْ»^(٢).

رَحْمَةً أَنْتَ جِئْتَ بِالنُّورِ وَالْخَيْرِ رِيبًا بِالبِشْرِ وَالْهُدَى وَالصَّلَاحِ
تَفْتَحَ الْمِصْرَ بِالسُّيُوفِ وَطُورًا بِالْدُّعَاءِ، وَالْدُّعَاءُ خَيْرُ سِلَاحٍ^(٣)
٥- وفد بني حنيفة:

شَخَصَتْ لِمَوَكِبِهِ الْعُيُونُ فَأَبْصَرَتْ بَدْرًا تَأَلَّقَ فِي غَمَامٍ وَفُودٍ^(٤)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ
بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْفِيَّةٍ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي
الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟».

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ! إِنْ تَقَتَّلْ تَقَتَّلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى
شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتَرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟».

قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ!، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٦٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٩٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٢٤).

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٤) «دِيَوَانُ إِبْرَاهِيمَ الْيَازِجِيِّ» (٣٣).

فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟». فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ!

فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ».

فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ! يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهُ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ. وَإِنْ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟!، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ، رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا، وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ^(١).

جَزَاهُمُ اللَّهُ عَنْ دِينِ الرَّسُولِ، فَمَا أَحْلَى مَآثِرُهُمْ فِي سَالِفِ الْحَقَبِ^(٢) لَوْلَا لَطَائِفُ صُنْعِ اللَّهِ مَا نَبَتْ تِلْكَ الْمَكَارِمُ فِي لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ^(٣)

٦- وَفَدُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَّاسٍ،

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٩١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٤).

(٢) حِقْبَةٌ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ السَّنَةُ.

(٣) انْظُرْ: «رَسَائِلُ الثَّعَالِبِيِّ» (٣٢).

وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةٌ جَرِيدَةٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتُ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ»، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ^(١).

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّني شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنَّ انْفُخْهُمَا، فَفَخَّخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَلَّيْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنَسِيُّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ»^(٢) ^(٣).

ظَلَامٌ بَنِي حَنِيفَةَ عَادَ ضَوْءًا بِصُحْبَةِ مَنْ أَظْلَمَتْهُ الْغَمَامَةُ
لَقَدْ ذَهَبُوا إِلَى رُبْحٍ وَوَلَّى إِلَى الْخُسْرَانِ كَذَابُ الْيَمَامَةِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٢٤).

(٣) قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْفَتْحِ (٧/ ٦٩١-٦٩٢):

«وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِمَامَ يَأْتِي بِنَفْسِهِ إِلَى مَنْ قَدِمَ يُرِيدُ لِقَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا تَعَيَّنَ ذَلِكَ طَرِيقًا لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ».

قَوْلُهُ: (وَهَذَا ثَابِتٌ بَنٌ قَيْسٍ يُجِيبُكَ عَنِّي) أَيُّ لَأَنَّهُ كَانَ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَاكْتَفَى بِمَا قَالَهُ لِمُسَيْلِمَةَ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ يُرِيدُ الْإِسْهَابَ فِي الْخِطَابِ فَهَذَا الْخَطِيبُ يَقُومُ عَنِّي فِي ذَلِكَ، وَيُؤْخَذُ مِنْهُ اسْتِعَانَةً الْإِمَامَ بِأَهْلِ الْبَلَاغَةِ فِي جَوَابِ أَهْلِ الْعِنَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَالَ آخَرُ:

فَأَمَّنْ أَقْوَامَ بِذَاكَ وَأَيَقَنُوا فَأَمْسُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
وَأَنكَرَ أَقْوَامَ فَرَاغَتْ قُلُوبُهُمْ فَرَادَهُمْ ذُو الْعَرْشِ خَبَلًا^(١) عَلَى خَبَلٍ^(٢)
٧- وَفَدُ نَجْرَانُ:

تَسَامَى فِي ذُرَا نَجْرَانَ وَفَدُ جَدِيرٌ بِالْوَفَا وَالْمَكْرَمَاتِ^(٣)
عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا
فَلَا عَنَّا لَا نَفْلَحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا
رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: «لَا بُعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ».
فَاسْتَشَرَفَ^(٤) لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنُ
الْجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(٥).

٨- وَفَدُ ضَمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ عَنْ قَوْمِهِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ:

سَرِينًا وَفُودَ الشُّكْرِ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ^(٦) إِذَا مَا وَرَعْنَا اللَّيْلَ بِأَسْمِكَ أُسْرِجَا^(٧)
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

(١) الْخَبْلُ - بِالْفَتْحِ - الْفَسَادُ، وَالْجَمْعُ خُبُولٌ.

(٢) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١١ / ١٩٨).

(٣) «الْمَذَاهِبُ الْأَدَبِيَّةُ فِي الشُّعْرِ الْحَدِيثِ» (٢٢٣).

(٤) الْإِسْتَشْرَافُ لِلشَّيْءِ: التَّعَرُّضُ لَهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الِازْتِفَاعِ وَالْعُلُوِّ، وَكَانَتْهُمْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ لِذَلِكَ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٤٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٢٠).

(٦) التَّلْعَةُ - الْفَتْحُ - الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ الْعَلِيظَةُ - الْعَرِيضَةُ، وَالْجَمْعُ تَلَعٌ وَتَلَاعٌ.

(٧) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣ / ٢٢٥).

الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ^(١)، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَيُّضُ الْمُتَكِيُّ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢)، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَأَلْتُكَ، فَمَشَدُّ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ.

فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ»، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، أَلَلَّهِ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ».

قَالَ: أَنُشَدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهِ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ».

قَالَ: أَنُشَدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهِ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ. قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ».

قَالَ: أَنُشَدُكَ بِاللَّهِ، أَلَلَّهِ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فَقَرَائِنَا.

فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ».

فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بَنِ ثَعْلَبَةَ، أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ^(٣).

(١) عَقَلَهُ أَيُّ: شَدَّ عَلَى سَاقِهِ مَعَ ذِرَاعِهِ حَبْلًا، بَعْدَ أَنْ ثَنَى رُكْبَتَهُ.

(٢) ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَيُّ: فَتَادَهُ بِقَوْلِهِ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣)، وَمُسْلِمٌ (١٢).

٩- وَفَدَ تَمِيمُ الدَّارِيَّ وَأَخْبَارُهُ:

فِتْنَةُ الدَّجَالِ كَمْ مِنْ جَاهِلٍ رَاحَ يُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا فَطَاحَا
عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ
قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟».

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ
تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ
الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحٍ ^(١) الدَّجَالِ ^(٢)، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ
بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ،
ثُمَّ أَرْفُتُوا ^(٣) إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ
السَّفِينَةِ ^(٤)، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ ^(٥) كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يَدْرُونَ مَا
قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ.

(١) قِيلَ لَهُ: الْمَسِيحُ؛ لِأَنَّهُ يَمْسَحُ الْأَرْضَ، أَوْ لِأَنَّهُ مَمْسُوعُ الْعَيْنِ أَعْوَرُهَا.

(٢) قِيلَ لَهُ: الدَّجَالُ؛ لِأَنَّهُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ مِنْ قَوْلِهِمْ: دَجَلَ الْأَثَرُ: إِذَا انْمَحَى، وَقِيلَ: مِنْ دَجَلَ أَيُّ: كَذَبَ.

(٣) أَرْفُتُوا إِلَى جَزِيرَةٍ: لَجُّوا إِلَيْهَا.

(٤) أَقْرَبِ السَّفِينَةِ: قَوَارِبَهَا الصَّغَارِ الَّتِي يَكُونُ مَعَ السَّفِينَةِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَالْوَاحِدُ قَارِبٌ، وَلَكِنَّهُ

جَاءَ هَا هُنَا عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ.

(٥) أَهْلَبُ أَيُّ: كَثِيرِ الشَّعْرِ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَهْلَبُ: إِذَا كَانَ شَعْرُ ذِرَاعَيْهِ غَلِيظًا.

فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟، فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ^(١)، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟. قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ^(٢)، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا، فَرَقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ. قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟.

قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟. قَالُوا: نَحْنُ أَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعَبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِينَا دَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ. قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟.

فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟، قَالَتْ: اْعْمِدُوا^(٣) إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزَعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ^(٤)، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ

(١) الْجَسَّاسَةُ: سُمِّيَتْ لِتَجَسُّسِهَا الْأَخْبَارَ لِلدَّجَالِ عَمَّا يَحْدُثُ عِنْدَ النَّاسِ، وَجَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّهَا دَابَّةُ الْأَرْضِ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ.

(٢) الدَّيْرُ - بِالْفَتْحِ - الْقَصْرُ الْكَبِيرُ.

(٣) اْعْمِدُوا - بِكسْرِ الهميم - أَي: اقْصِدُوا.

(٤) بَيْسَانَ - بِالْفَتْحِ - هِيَ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ شَمَالَ فَلَسْطِينِ.

شَأْنَهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَحْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟.

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمَرَ؟.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيةِ؟، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟، قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ؟، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُعَرَ^(١)، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟.

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟، قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ.

قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ، فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرَجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ، وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّتَا^(٢) يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ^(٣) مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا».

(١) زُعَرَ: هِيَ بَلَدَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الْجَانِبِ الْقِبْلِيِّ مِنَ الشَّامِ.

(٢) صَلَّتَا أَيُّ: مُتَجَرِّدًا مَسْلُولا مِنْ عَمْدِهِ، تَهَيَّئُوا لِلضَّرْبِ بِهِ.

(٣) النَّقْبُ - بِالْفَتْحِ - الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ، وَالْجَمْعُ أَنْقَابٌ.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ^(١) فِي الْمَنْبَرِ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ يَعْنِي الْمَدِينَةَ، أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟».

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ وَأَوْ مَا بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ».

قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

١٠- وَفَدُ حَضَرَ مَوْتَ:

سَتَسْمَعُ مَا تُثْنِي عَلَيْكَ إِذَا التَقْتَ عَلَى حَضَرِ مَوْتِ جَامِحَاتِ الْقَصَائِدِ^(٣)
عن سُويْدِ بْنِ حَنْظَلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا نُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَنَا وَاثِلُ بْنُ حَجْرٍ، فَأَخَذَهُ عَدُوٌّ لَهُ فَتَحَرَّجَ النَّاسُ أَنْ يَحْلِفُوا، وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي، فَخَلَّنِي عَنْهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «أَنْتَ كُنْتَ أَبَرَّهُمْ وَأَصْدَقَهُمْ، صَدَقْتَ الْمُسْلِمُ^(٤) أَخُو الْمُسْلِمِ»^(٥).

وَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَاثِلٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْطَعَهُ أَرْضًا وَأَرْسَلَ مَعَهُ مُعَاوِيَةَ أَنْ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَرْدَفَنِي خَلْفَكَ قَالَ: لَا تَكُنْ مِنْ

(١) الْمُخَصَّرَةُ - بِالْكَسْرِ -: عَصَا أَوْ قَضِيبٌ كَانَتْ تَكُونُ مَعَ الْمَلِكِ إِذَا تَكَلَّمَ أَوْ الْخَاطِبِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

(٣) «ديوان الفرزدق» (٣٦).

(٤) فِي الْمُسْنَدِ «صَدَقْتَ، الْمُسْلِمُ...».

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٩/٤). وَهُوَ مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ فِي أَبِي دَاوُدَ ٢٢٤/٣ (٣٢٥٦)، وَابْنِ مَاجَةَ ١/٦٨٥

(٢١١٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ٢/٢٩٩، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

أَرْذَافِ الْمُلُوكِ فَقَالَ: أَعْطِنِي نَعْلَكَ فَقَالَ: انْتَعِلْ ظِلَّ النَّاقَةِ فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ مُعَاوِيَةُ أَتَيْتُهُ فَأَقْعَدَنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَذَكَرَ لِي الْحَدِيثَ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيَّ^(١).

١١- وَفَدُّ مَذْحَجٍ:

نحن الرؤوس على منهاج أولنا مَنْ يُسَوِّي الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ^(٢) قَدِمَ وَفَدُّ مَذْحَجٍ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَكَانَ فِيهِمْ هَانِي بْنُ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنِ ابْنِ هَانِيٍّ: أَنَّ هَانِيًّا لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ فَسَمِعَهُمْ يَكُونُونَ هَانِيًّا أَبَا الْحَكَمِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» قَالَ: قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَضُوا بِي حَكَمًا فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ لَحَسَنٌ فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: شَرِيحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَمُسْلِمٌ قَالَ: «فَأَيُّهُمْ أَكْبَرُ؟» قَالَ: شَرِيحٌ قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شَرِيحٍ» فَدَعَا لَهُ وَلَوْلَدِهِ فَلَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ الرُّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَرْضًا حَيْثُ أَحَبَّ فِي بِلَادِهِ قَالَ: أَبُو شَرِيحٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ لِي الْجَنَّةَ قَالَ: «طِيبُ الْكَلَامِ وَبَذْلُ السَّلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»^(٣).

وُفُودٌ أَقْبَلَتْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ تَمُوجُ كَأَنَّهَا لُجَجُ الْبَحَارِ سَلِمَتْ وَصَادَفَتْ خَيْرًا وَيُمْنًا رِكَابُكَ فِي رَوَاحٍ وَابْتِكَارٍ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٩٩/٦) وَصَحَّحَهُ ابْنُ جَبَّانَ ١٦/١٨٢ (٧٢٠٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّعْلِيقَاتِ الْحَسَنَةِ عَلَى «صَحِيحِ ابْنِ جَبَّانَ» (٧١٦١).

(٢) دِيَوَانُ الطَّرْمَاحِ (٥).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَبَّانَ (٥٠٤)، وَالْحَاكِمُ (٧٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٩٣٩) وَ«الْإِرْوَاءِ» (٢٦١٥).

وَقَالَ آخَرُ:

ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ وَفُودُ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَى حِمَاهُ فَلَاقَتْ وَافِرَ الْكَرَمِ
فَكَانَ عَامَ وَفُودٍ كُلَّمَا انْصَرَفَتْ عَصَابَةٌ أَقْبَلَتْ أُخْرَى عَلَى قَدَمٍ^(١)

وَقَالَ آخَرُ:

فَمَنْ يَعْمُرُ الْأَوْقَاتَ طُرًّا بِذِكْرِهِ فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَدْيِ كَنْصِيهِ
نَبِي هِدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحِيرَةٍ إِلَى مَرْقَى سَامِي الْمَحَلِ خَصِيهِ
فَهَلْ يَنْكُرُ الْمَلْهُوفَ فَضْلَ مَجِيرِهِ وَيَغْمِطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَبِيبِهِ^(٢)

وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

سَقَى أُمُّ كُلْثُومٍ عَلَى نَائِي دَارِهَا وَنَسَوَتْهَا جَوْنُ الْحَيَا^(٣) ثُمَّ بَاكُرُ
تَوَفَّيْتُ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ.
عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَغْسِلُ
ابْنَتَهُ، فَقَالَ: اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ
كَافُورًا، فَإِذَا فَرَعْتَنَ فَأَذِنِّي فَلَمَّا فَرَعْنَا آذَنَاهُ فَأَلْقَى حَقْوَهُ فَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ»^(٤).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، قَالَ: فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُمْ
رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: فَانْزِلْ، قَالَ: فَتَزَلَّ فِي قَبْرِهَا^(٥).

(١) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِي» (١٩/٦٠٦).

(٢) نفح الطيب (٥/٤٥٦).

(٣) الحيا: المطر.

(٤) رواه البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩).

(٥) رواه البخاري (١٢٨٥).

حَجُّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِالنَّاسِ

فَلِلَّهِ صِدِّيقُ النَّبِيِّ الَّذِي لَهُ فَضَائِلُ لَمْ يُذْرِكْ بَعْدَ لَهَا حَدٌّ
وَمَنْ كَانَ لِلْمُخْتَارِ فِي الْغَارِ ثَانِيًا وَجَادَ إِلَى أَنْ صَارَ لَيْسَ لَهُ وَجْدٌ^(١)
لَمْ يَحْجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، بَلِ اعْتَمَرَ مِنَ الْجَعْرَانَةِ بَعْدَ رُجُوعِهِ
مِنَ الطَّائِفِ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقَدْ حَجَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ مَعًا فِي الْعَامِ الثَّامِنِ، وَالَّذِي حَجَّ
بِالْمُسْلِمُونَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ أَمِيرُ مَكَّةَ مِنْ قَبْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ
التَّاسِعُ مِنَ الْهَجْرَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَنْ يَحْجَّ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ
فِي ذِي الْحِجَّةِ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، نَزَلَتْ سُورَةُ (بَرَاءَةٌ)،
فَارْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِصَدْرِ سُورَةِ (بَرَاءَةٌ)؛ لِيُعْلِنَهَا عَلَى النَّاسِ
فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ يَوْمَ النَّحْرِ، وَهُوَ الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَقَالَ: «لَا يُبْلَغُهَا
إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي».

فَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ لَوْ بَعَثْتَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي،
ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ
بَرَاءَةٍ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بَيْنِي، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ
كَافِرٌ، وَلَا يَحْجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ

(١) «دَوَائِيقُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/٩).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدُ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعُضْبَاءَ، حَتَّى أَذْرَكَ أَبَا بَكْرٍ ﷺ بِالطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَأَهُ أَبُو بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ قَالَ: أَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟

فَقَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، ثُمَّ مَضَى. ١٠

فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَالْعَرَبُ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْحَجِّ، الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ، قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ»^(١).

وَأَجَلَ النَّاسَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ أَذَّنَ فِيهِمْ، لِيَرْجِعَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَأْمَنِهِمْ أَوْ بِلَادِهِمْ، ثُمَّ لَا عَهْدَ لِمُشْرِكٍ وَلَا ذِمَّةٌ إِلَّا أَحَدٌ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ إِلَى مُدَّةٍ، فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ. فَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. ثُمَّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَلَمْ يَكُنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ لَوْحِدِهِ، بَلْ كَانَ هُنَاكَ مُؤَذِّنُونَ آخَرُونَ، ثَبَتَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فِي الْمَجَامِعِ الْكَبِيرَةِ؛ يُعِينُونَ عَلِيًّا ﷺ عَلَى إِبْلَاحِ رِسَالَتِهِ، وَيُصَيِّحُونَ هُنَا وَهُنَا: «لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».

(١) (حَسَنٌ أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ) (٥٤٥ / ٢)، وَهُوَ مُرْسَلٌ، لَكِنْ لَهُ شَوَاهِدٌ يَتَقَوَّى بِهَا، ذَكَرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي «السِّيَرَةِ» (٧٢-٧٠ / ٤) وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهِ السِّيَرَةِ» (٤٥٢).

فَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ، يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ: «لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»^(١).

وَلَادَةُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وأفأك إبراهيم طفل قد صفا معه السرور فطاب مورد ربه في شهر ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة، وُلِدَ إبراهيمُ ابنُ رسولِ الله ﷺ بالعالية حيثُ أُنْزَلَ ﷺ أُمُّهُ مَارِيَةُ الْقُبْطِيَّةُ.

وكان ﷺ يَخْتَلِفُ إِلَى مَارِيَةَ الْقُبْطِيَّةَ وَيَطُوقُهَا بِمَلِكِ الْيَمِينِ، وَمَعَ ذَلِكَ ضَرَبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ.

عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»^(٢).



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٩)، (٣١٧٧)، وَمُسْلِمٌ (١٣٤٧).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٥).

بَعَثَ مُعَاذُ وَأَبِي مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ

بَعَثَ الرَّسُولُ مُعَلِّمًا وَمُهَذِّبًا يَبْنِي الْحَيَاةَ جَدِيدَةً يَتَأَنَّقُ^(١)
عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِيَ رَجُلَانِ
مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِي، فَكَلاَهُمَا
سَأَلَ الْعَمَلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاكِتٌ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى» - أَوْ «يَا
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟».

قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا
شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفْتِهِ قَلَصْتُ،
قَالَ: «لَنْ نَسْتَعْمَلَ - أَوْ لَا نَسْتَعْمَلَ - عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ، وَلَكِنْ اذْهَبْ
أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى - أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ -»، فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ
مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مُعَاذٌ، قَالَ: انْزِلْ، وَأَلْقَى لَهُ وَسَادَةً،
وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثِقٌ، قَالَ: مَا هَذَا؟.

قَالَ: هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ رَاجَعَ دِينَهُ دِينَ السُّوءِ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ
حَتَّى يُقْتَلَ، قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: نَعَمْ اجْلِسْ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ
قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْتُلَ، ثُمَّ تَذَاكَرَا قِيَامَ اللَّيْلِ، فَقَالَ:
مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ - أَوْ أَقُومُ وَأَنَامُ - وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا

(١) «دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّمٌ» (٨٨٢).

أَرْجُو فِي قَوْمِي»^(١).

أَحْيَا بِكَ اللَّهُ أَرْوَاحًا قَدْ اندثرت فِي تَرْبَةِ الْوَهْمِ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالصَّنَمِ
نَفَضَتْ عَنْهَا غُبَارَ الدُّلِّ فَاتَّقَدَتْ وَأَبْدَعَتْ وَرَوَتْ مَا قُلْتَ لِلْأُمَمِ^(٢)

مَوْتُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

لَمَّا رُزِفَتْ بِإِبْرَاهِيمَ وَامْتَلَأَتْ بِهِ حَيَاتُكَ بَاتَ الْأَمْرُ كَالْعَدَمِ
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ^(٣)،
وَكَانَ ظَنًّا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤)، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ
دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
تَذَرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: يَا
ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ
يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ^(٥).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ
إِبْرَاهِيمُ مَسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ
الْبَيْتَ، وَإِنَّهُ لَيَدْخُنُ، وَكَانَ ظَنُّهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ عَمْرُو:
فَلَمَّا تَوَفَّى إِبْرَاهِيمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثُّدِيِّ،
وَإِنْ لَهُ لَظْطَرِّينِ تُكْمِلَانِ رِضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(٦).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٤٧)، وَمُسْلِمٌ (١٩).

(٢) «موسوعة الشعر الإسلامي» (٧٥ / ٥٦٠).

(٣) الْقَيْنُ: الْحَدَّادُ.

(٤) الظُّنُّ: بِكَسْرِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ زَوْجُ الْمُرْضِعَةِ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٠٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٣١٥).

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٦).

قال الحافظ: وُلِدَ في ذي الحجة سنة ثمانٍ، قال مصعب الزبيري: ومات سنة عشر، جزم به الواقدي، وقال: يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر ربيع الأول^(١).

قَدُومُ وَفْدِ بُجَيْلَةَ

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى ونعمت القبيلة
عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنْخْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي، ثُمَّ لَبَسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ، فَقُلْتُ لَجَلِيسِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، ذَكَّرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ ذَكَرَكَ [أَنْفًا] بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَّضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ - أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ - رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، أَلَا إِنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلِكٍ^(٢)»^(٣).

قَالَ جَرِيرٌ: فَحَمَدْتُ اللَّهَ عَلَى مَا أَبْلَانِي.

إِسْلَامُ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِذَا نَشَرَ الْفَخْرُ أَحْسَابُهُ تَبَسَّمَ عَنْهُمْ عِرْقُ الثَّرَى
أَسْلَمَ جَرِيرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ^(٤).
وَكَانَ جَرِيرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَثِيرًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا

(١) الإصابة (١/ ١٠٥) وانظر: عيون الأثر (٢/ ٣٧٤).

(٢) أي: أثر ظاهر منه وجمال.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٩) وصححه الألباني في (٣١٩٣) وشيخنا الوادعي في «الصحيح المُنسَد»

مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحِينَ» (٢٢٧).

(٤) رواه البخاري (٥٧).

حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ^(١).

هَدْمُ ذِي الْخَلَصَةِ:

نسفوا بناءَ الشُّرْكِ، فهو خرائبٌ واستأصلوا الأصنامَ، فَهِيَ هَبَاءُ
ذِي الْخَلَصَةِ بَيْتٌ فِيهِ صَنْمٌ بِالْيَمَنِ لِدَوْسٍ، وَخُتْعَمٌ، وَبُجَيْلَةٌ، وَمَنْ كَانَ
بِبِلَادِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانَ يُسَمَّى الْكَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةَ.

فَعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟»
وَكَانَ بَيْتًا فِي خُتْعَمَ يُسَمَّى الْكَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةَ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةٍ
فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، قَالَ: وَكُنْتُ لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ
فَضْرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ
وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا».

فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ
رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجُوفٌ
أَوْ أَجْرَبٌ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ^(٢).



(١) رواه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٢) رواه البخاري (٣٠٢٠).

حنين الجذع إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَمِلَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ عَلَيْهِ، فَحَنَّ إِلَيْهِ الْجَذْعُ.

أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ تَذَكَّرُوهُ وَالْجَذْعُ حَنَّ لَهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا
نَجْعَلُ لَكَ مَنِيرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مَنِيرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
دُفِعَ إِلَى الْمَنِيرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ
إِلَيْهِ، تَنَنُّ أَيْنِ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكِّنُ، قَالَ: كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ
مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا^(١).

أَنْتَ الَّذِي حَنَّ الْجِمَادُ لِعَطْفِهِ وَشَكَا لَكَ الْحَيَوَانُ يَوْمَ رَاكَ
وَالْجَذْعُ يُسْمَعُ بِالْحَنِينِ أُنَيْنُهُ وَبَكَأُوهُ شَوْقًا إِلَى لُقْيَاكَ
مَاذَا يَزِيدُكَ مَدَّحُنَا وَثَنًاوُنَا وَاللَّهُ بِالْقُرْآنِ قَدْ زَكَّاكَ



(١) رواه البخاري (٣٥٨٤).

بَعَثَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الْيَمَنِ

تُغَوِّرُ النَّصْرَ بِاسْمِهِ إِذَا مَا تَجَهَّزَ جَحْفَلٌ، وَتَلَاهُ بَعَثُ^(١)
عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَهْلِ
الْيَمَنِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي
طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ^(٢) خَالِدًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ مَعَ خَالِدٍ
أَحَبَّ أَنْ يُعَقَّبَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلْيُعَقَّبْ^(٣) مَعَهُ.

قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقَّبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا
فَصَلَّى بِنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ
كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا^(٤)، فَكَتَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ خَرَّ^(٥) سَاجِدًا، ثُمَّ

(١) «دَوَاوَيْنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٩٧ / ٨٧).

(٢) أَقْفَلَهُ: أَرْجَعَهُ.

(٣) التَّعَقُّبُ: أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا ثُمَّ تَعُودَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً.

(٤) هَمْدَانُ: مِنْ أُمَمَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَنِيَّةِ، وَمِنْ أَشَدِّهَا بَأْسًا، وَمِمَّنْ سَارَعَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَثَبَّتَ عَلَيْهِ،
فَلَمْ يَزِدْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَقَدْ فَشَى فِيهِمُ الْإِسْلَامُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهَمْدَانُ هِيَ قَبَائِلُ بَكِيلٍ وَحَاشِدٍ
جَمِيعُهَا، وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْمُرُوءَةِ، وَالنَّجْدَةِ وَالْغَيْرَةِ الشَّدِيدَةِ عَلَى الْأَعْرَاضِ
وَالدِّمَاءِ حَتَّى يَوْمَ النَّاسِ هَذَا.

(٥) خَرَّ: سَقَطَ، وَبَابُهُ ضَرَبَ وَدَخَلَ.

رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ»^(١).
 لَهُمْدَانَ أَخْلَاقٌ، وَدِينٌ يُزِينُهُمْ وَأُنْسٌ - إِذَا لَاقَوْا - وَحُسْنُ كَلَامٍ
 فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمْدَانَ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ^(٢)



(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ (٣٦٩ / ٢)، وَأَخْرَجَ صَدْرُهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٤٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ

رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٤٧٤).

(٢) «دَوَائِدُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٠٦ / ١١).

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا حَجَّ مُحْرِمٌ وَهَلَّ فِي تِلْكَ الْبَقَاعِ وَكَبَّرَا^(١)

١- سَبَبُ تَسْمِيَةِ هَذِهِ الْحَجَّةِ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ:

كَانَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَسُمِّيَتْ حَجَّةَ الْوَدَاعِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ النَّاسَ فِيهَا، وَلَمْ يَحْجَّ بَعْدَهَا.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ»^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ: «وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَا، وَقَالَ: هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ»، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، وَوَدَّعَ النَّاسَ؛ فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ: (وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ) كَأَنَّهُ شَيْءٌ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَحَدَّثُوا بِهِ وَمَا فَهِمُوا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَدَاعِ وَدَاعُ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى وَقَعَتْ وَفَاتُهُ ﷺ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ، فَعَرَفُوا الْمُرَادَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ وَدَّعَ النَّاسَ بِالْوَصِيَّةِ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا أَنْ لَا يَرْجِعُوا بَعْدَهُ كُفَّارًا، وَأَكَّدَ التَّوْدِيْعَ بِإِشْهَادِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ شَهِدُوا

(١) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٣/١٩٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٠٢).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٦٥٥).

أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِهِ، فَعَرَفُوا حِينَئِذٍ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِمْ: حِجَّةُ الْوَدَاعِ^(١).

٢- وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ:

مَعَالِمُ شَيْدَهَنَّ الْخَلِيلُ وَأَذَّنَ بِالْحَجِّ فِيهَا مُشِيداً^(٢)
لَمَّا عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْحَجِّ، أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِهِ، فَتَجَهَّزُوا لِلْخُرُوجِ،
يُرِيدُونَ الْحَجَّ مَعَهُ ﷺ.

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ،
ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ،
كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ^(٣).

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ يَا سَعْدَ مَنْ حَجَّوَا مَعَكَ
يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ رُوحي وَدَمِي لِأَمْنَعَكَ
يَا سَعْدَ مَنْ أَصْغَى إِلَيَّ كَ مُنْصِتًا كَيْ يَسْمَعَكَ
يَا فَخْرَ مَنْ أَحْنَى إِلَيَّ كَ ظَهْرَهُ لِيَرْفَعَكَ
يَا عِزَّ مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقِيهِ حَتَّى يَتْبَعَكَ^(٤)

٣- فَضْلُ حِجَّةِ الْوَدَاعِ:

لَقَدْ سَعِدَ الْحَجَّاجُ إِذْ كُنْتَ فِيهِمْ وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يَسْعُدُوا وَيُوفَّقُوا^(٥)
كَانَتْ حِجَّةُ الْوَدَاعِ أَعْظَمَ حِجَّةٍ فِي التَّارِيخِ وَأَفْضَلَهَا؛ لِأَنَّ فِيهَا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ إِمَامُهُمْ.

(١) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (١٠٧/٨).

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٧٢/٤١).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٩).

(٤) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(٥) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٩٢/٣٣).

وَقَدْ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا شَعَائِرَ اللَّهِ ﷻ، وَعَظَّمَ حُرْمَاتِهِ، وَصَدَعَ بِدِينِهِ،
وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَنَاسِكَهُمْ، وَخَطَبَ يُنذِرُهُمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ، وَيُشِيرُهُمْ.

وَحَجَّةُ أَنْتَ فِيهَا لَا يُقَاسُ بِهَا طُولُ الْمَدَى حِجَّةٌ مِنْ مَنَشَا الْحَرَمِ
سُنِّيَّةٌ خَطُوهَا، نُورٌ مَسَالِكُهَا عِلْمٌ مَنَاسِكُهَا، مَوْفُورَةُ النَّعَمِ^(١)

٤- الْخُرُوجُ إِلَى الْحَجِّ:

رَأَى الْحُجَّاجُ يَوْمَ حَجَبَتْ بَدْرًا وَبَحْرًا لَنْ يُغَامَ، وَلَنْ يُجَازَا^(٢)
صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، لِسِتِّ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ،
مِنْ سَنَةِ عَشْرِ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،
وَمَنْ تَجَمَّعَ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَصَلَّى الْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ (هُوَ مِيقَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،
وَيُعْتَبَرُ جُزْءًا مِنْ وَادِي الْعَقِيقِ) وَأَتَاهُ آتٍ مِنْ رَبِّهِ ﷻ وَهُوَ فِي وَادِي الْعَقِيقِ،
يَأْمُرُهُ رَبُّهُ أَنْ يَقُولَ فِي حَجَّتِهِ هَذِهِ: «حَجَّةٌ فِي عُمْرَةٍ»^(٣).

فَأَصْبَحَ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ^(٤)، وَسَاقَ
الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيً أَنْ يَهْلَ كَمَا أَهَلَ ﷺ، وَسَارَ
ﷺ وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَلْفَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ أُمَمًا، لَا يُحْصُونَ كَثْرَةً،
كُلُّهُمْ قَدِمٌ؛ لِيَأْتَمَّ بِهِ ﷺ.

إِذَا نَحْنُ أَدْجَنَّا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايَانَا بِذِكْرَاكَ حَادِيَا^(٥)

(١) قَالَهُ أَسْتَادُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

(٢) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٩٥ / ٤٠).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٥٣٤).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧)، وَمُسْلِمٌ (١١٩٢).

(٥) زَهْرَةُ الْأَدَبِ (٢ / ٥٥١).

فَلَمَّا قَدِمَ ﷺ مَكَّةَ، طَافَ لِلْقُدُومِ، ثُمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَأَمَرَ الَّذِينَ لَمْ يَسُوقُوا هَدْيًا أَنْ يَفْسَحُوا حَجَّهُمْ إِلَى عُمْرَةٍ، وَيَتَحَلَّلُوا حِلًّا تَامًّا، ثُمَّ يَهْلُؤُوا بِالْحَجِّ وَقَتَ خُرُوجِهِمْ إِلَى مِنَى، وَقَالَ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَمَا سَقْتُ الْهَدْيَ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً»^(١).

وَقَدِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْيَمَنِ هَدْيًا، فَأَشْرَكَهُ ﷺ فِي هَدْيِهِ، وَكَانَ حَاصِلُهَا مِائَةَ بَدَنَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ ﷺ إِلَى مِنَى، فَبَاتَ بِهَا، وَكَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، التَّاسِعَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَسَارَ إِلَى عَرَفَةَ، وَخَطَبَ بِمِرَّةٍ خُطْبَةً عَظِيمَةً، شَهِدَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَجْمَعِينَ - وَجَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، ثُمَّ وَقَفَ بِعَرَفَةَ، ثُمَّ بَاتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَصَلَّى الْفَجْرَ فِي أَوَّلِ وَقْفِهَا.

ثُمَّ سَارَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى مِنَى، فَرَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، وَنَحَرَ وَحَلَقَ، ثُمَّ أَفَاضَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ طَوَافَ الْفَرَضِ، وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ، وَخَطَبَ ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ خُطْبَةً عَظِيمَةً، وَوَصَّى وَحَذَّرَ وَأَنْذَرَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَنَّهُ بَلَغَ الرِّسَالَةَ. فَحَنُّ نَشَهُدُ أَنَّهُ بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ ﷺ مُنْصَرِفًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَكْمَلَ لَهُ إِلَهُ دِينَهُ^(٢).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٥٦٨)، وَمُسْلِمٌ (١٢١٨).

(٢) انْظُرْ: «الْفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٢٥٤-٢٥٩) بِاخْتِصَارٍ شَدِيدٍ.

غَسَلَ الْكَرَى^(١) عَنْ أَعْيُنِ الدُّنْيَا كَمَا
وَأَنَارَ بِالْآيَاتِ كُلِّ بَصِيرَةٍ
يُجَلَّى الدُّجَى بِالْفَجْرِ فِي فَلَقَاتِهِ
فَكَانَ نُورَ الشَّمْسِ مِنْ قِسْمَاتِهِ^(٢)
وَاقْتَادَ لِلْجَنَّاتِ أَسْمَى مُوَكَّبٍ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَمَّتْ حُدَاتِهِ^{(٣)(٤)}



(١) الْكَرَى: النَّعَاسُ.

(٢) الْقِسْمَاتُ: مَلَامِخُ الْوَجْهِ، وَاحِدُهَا: قِسْمَةٌ - بِكَسْرِ السِّينِ -.

(٣) الْحُدَاةُ: جَمْعُ حَادٍ، وَالْحُدَاءُ: هُوَ رَجُزُ الْحَادِي خَلْفَ الْإِبِلِ (الرَّجْزُ: ضَرْبٌ مِنَ الشَّعْرِ).

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (٧٣ / ٥٦٠).

مَرَضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتُهُ

وَنَقُولُ لِلَّهِ الْمُهِمِّنِ حِكْمَةً فِي مَرَضَةٍ حَصَلَتْ بِهِ مَرْضَاتُهُ
بَعْدَ أَنْ تَكَامَلَتِ الدَّعْوَةُ، وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَلَغَ الْمُبِينُ، أَخَذَتْ
طَلَائِعُ التَّوْدِيعِ لِلْحَيَاةِ تَلُوحُ فِي الْآفَاقِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

١- نَعْيُ^(١) اللَّهِ ﷻ نَبِيِّهِ إِلَى نَفْسِهِ:

وَلَمَّا أَنْ نَعَى النَّاعِي نَبِيَّنَا حَسِبْتُ سَمَاءَهُمْ دُهِيتَ بِلَيْلٍ^(٢)
قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا ۖ ③ [النَّصْرُ: ١-٣].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدْنِينِي، فَقَالَ
لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءَ مِثْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ،
فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾
فَقَالَ: أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا
تَعْلَمُ^(٣).

(١) النَّعْيُ: الْإِعْلَامُ بِخَبَرِ الْمَيِّتِ.

(٢) «الْأَغَانِي» (١٢-٢٣٤)، وَدُهِيتَ بِلَيْلٍ أَيُّ: أَظْلَمَتْ نَهَارًا، كَأَنَّ لَيْلًا دَهَاها.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٢٧).

٢- نَعَى النَّبِيَّ ﷺ نَفْسَهُ إِلَى النَّاسِ:

فَقَدْ نَعَى مِلءَ أَفْوَاهٍ وَأَفِيدَةٍ وَقَدْ نَعَى مِلءَ أَبْصَارٍ وَأَسْمَاعٍ^(١)
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِتَأْخُذُوا عَنِّي
مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ،
فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ»^(٣).

٣- ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ ﷺ:

تَفْدِيكَ رُوحِي وَأُمِّي فِي الْوَرَى وَأَبِي فَإِنَّمَا أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْجِبِينَ أَبَا^(٤)
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ
جَنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ وَأَنَا أَجْدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، فَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهُ.
قَالَ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ».

«قَالَ: وَمَا ضَرَّكَ لَوْ مِتَّ قَبْلِي، فَغَسَلْتُكَ وَكَفَّنْتُكَ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكَ
وَدَفَّنْتُكَ؟».

قَالَتْ: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، لَرَجَعْتَ إِلَيَّ بَيْتِي، فَأَعْرَسْتَ
فِيهِ بَعْضَ نِسَائِكَ.

(١) «دِيَوَانُ ابْنِ رَشِيْقٍ» (٥٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢٩٧).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠٨).

(٤) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٣/٢٧٧).

قَالَتْ: «فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بَدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ»^(١).

٤- خُطْبَتُهُ ﷺ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ:

ماذا الوداع الوافق الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد
خُطِبَ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ واشتدَّ وجعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يَمْرُضَ فِي بَيْتِي، فَأُذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخَطَّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ عَلِيٌّ قَالَتْ: وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتِي، وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ قَالَ: «أَهْرَيْقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَخْضَبٍ لِحَفْصَةَ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَضُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^(٣).

(١) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥٣٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٧٠٠).

(٢) البخاري (١٩٨)، ومسلم (٤١٨).

(٣) رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرَشِي وَعَيْتِي، وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»^(١).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُتَعَطِفًا بِهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ وَعَلَيْهِ عَصَابَةٌ دَسْمَاءُ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ»^(٢).

ثُمَّ ذَكَرَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ: «إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُتِمْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»^(٣).

٥- إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمَنَافِقِينَ سَيُخْرِجُونَ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمِنْ كَعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ فِي كَرَمٍ يَجْهَزُ الْجَيْشَ يُعْطِي مَالَهُ غَدَقًا أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ فَخَلَا بِهِ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ وَوَجْهَهُ عُثْمَانُ يَتَغَيَّرُ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ

(١) رواه البخاري (٣٧٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٠).

(٣) رواه البخاري (٣٧٣٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلْتُ إِحْدَانَا عَلَى الْأُخْرَى. فَكَانَ مِنْ آخِرِ كَلَامِ كَلَمَهُ أَنْ ضَرَبَ مِنْكَبِهِ. وَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ عَسَى أَنْ يُلْبَسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعُهُ حَتَّى تَلْقَانِي. يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُلْبَسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعُهُ حَتَّى تَلْقَانِي. ثَلَاثًا^(١).

٦- هَمَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ الْكِتَابَ:

قالوا كتبت فمل يكتب فواحنني إن كان يمنعني أن يكتب الوجع في يوم الخميس قبل وفاته ﷺ بأربعة أيام، هم ﷺ أن يكتب كتابًا لا تضل الأمة بعده.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ قَالَ: «اتُّنُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبَ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ».

قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا، فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ قَالَ: «قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ». فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ^(٢).

٧- وصية النبي ﷺ:

واقبل وصية مشفق متودد وسمع بفهم حاضر يقظان^(٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «اشْتَدَّ الْوَجَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَوْصَى عِنْدَ

(١) أخرجه أحمد (٦/٨٦)، وقال شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في

الصحيحين» (٢٣١٩) صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري (١١٤).

(٣) ديوان ابن مشرف (٢٥٠).

مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ. وَنُسِيتُ الثَّالِثَةَ^(١).

٨- تحذير النبي ﷺ من اتِّخَاذِ قَبْرِهِ مَسْجِدًا:

قد حذر المختار عن كل بدعة وقام بذا فوق المنابر يخطبُ
حذَرَ النبي ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يُتَّخَذَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا، وأخبرهم أن شرار الناس
الذين يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللَّهُ
قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللَّهُ
الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». قَالَتْ: وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا
قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»^(٣).

٩- إنفاق النبي ﷺ ما عنده:

أَنْفَقَ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا وَلَا تُطْعَ فِي سَبِيلِ الْجُودِ عُدَالًا^(٤)
عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا
عَائِشَةُ! مَا فَعَلْتَ الذَّهَبُ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: هِيَ عِنْدِي قَالَ: «فَأْتِنِي بِهَا» وَهِيَ
بَيْنَ السَّبْعَةِ وَالْخَمْسَةِ - فَجِئْتُ فَوَضَعْتُهَا فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِاللَّهِ

(١) رواه البخاري (٤٤٣١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٤٦)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» [ص: ٢١٦]. وحسنه شيخنا

الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٤٤٣).

(٣) رواه البخاري (١٣٣).

(٤) ديوان ابن مشرف (١٩١).

لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ! أَنْفَقِيهَا»^(١).

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ خَتَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا عَبْدًا وَلَا
أَمَةً وَلَا شَيْئًا، إِلَّا بَعَلْتُهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً»^(٢).

لَمْ يَفْتَطِفْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَزَيْتَتَهَا بَلْ مَالَ عَنْهَا وَلاَحَتْ رَوْضَهُ أَنْفًا
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي مَا رَدَّ سَائِلُهُ مَا شَكَ شَخْصَانٍ فِي هَذَا وَلَا اخْتَلَفَا

١٠- رجوع جيش أسامة من الجُرف^(٣)؛

كَفَى حَزْنًا أَنْ لَا أُطِيقَ وَدَاعَكُمْ وَلَا لِي إِلَى حُسْنِ الْعِزَاءِ سَبِيلُ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَطْتُ، وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَصَمَتَ فَلَا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ
يُصْبِحُهَا عَلَيَّ، أَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (١٠٤ / ٦)، وقال الألباني في «التعليق الرغيب» (٢ / ٤٢)، «الصحيحة» (١٠١٤)،
حسن صحيح وصححه شيخنا الوداعي في «الصحيح المسند» (٢٢١٦).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٩).

(٣) الجُرف - بالضم ثم السكون - ما تجرفته السيول فأكلته من الأرض، وهو موضع على ثلاثة
أميال من المدينة، به كانت أموال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولأهل المدينة. وقيل: سمي الجُرف؛
لأن تبعاً مر به، فقال: جُرف الأرض، وكان يُسمى: العرض، وكان الجُرف في عهد النبي ﷺ
بمناوبة معسكر للجيش النبوية. والجُرف اليوم من أحياء المدينة الشمالية الكبيرة، يمتد من
مزارع العيون شرقاً، حتى طريق المدينة تبوك غرباً.

(٤) أخرجه أحمد (٢٠١ / ٥) حسنه الألباني في تعليقه على «المشكاة» (٦١٧٥)، وحسنه شيخنا
الوداعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٧).

١١- ثَقُلُ الْوَجَعِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

لَوْ كَانَ يَبْغِي الْفِدَاءَ قُلْتُ لَهُ هَا أَنَا دُونَ الْحَبِيبِ يَا وَجَعُ^(١)
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَمْرَضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، تَخُطُّ^(٢)
رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ.

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنْ الرَّجُلُ الْآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟
قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ
وَجَعُهُ، قَالَ: «هَرِيقُوا^(٣) عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيتُهُنَّ^(٤)، لَعَلِّي أَعْهَدُ
إِلَى النَّاسِ».

فَاجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ^(٥) لِحَفْصَةَ، ثُمَّ طَفِقْنَا^(٦) نَضُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ الْقَرَبِ،
حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا «أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ».

(١) «دِيَوَانُ الْمَعَانِي» (١٦٦).

(٢) تَخُطُّ: يَمْشِي مُتَثَقِّلًا، تُؤَثِّرُ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، كَأَنَّهُمَا تَخُطُّ خَطًّا، إِنْخَبَازٌ عَنْ مَبْلَغٍ ضَعْفِ قُوَاهُ،
وَأَنَّ رِجْلَيْهِ لَمْ تَقْلَهُ، بَلْ كَانَ يَجْرُهُمَا بِالْأَرْضِ.

(٣) هَرِيقُوا: صُبُّوا.

(٤) أَوْكِيتُهُنَّ: جَمْعُ وَكَاءٍ - بِالْكَسْرِ -، وَهُوَ مَا يُرْبِطُ بِهِ فَمُ الْقِرْنَةِ، وَالْغَرَضُ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيتُهُنَّ
الْمُبَالَغَةُ فِي كَوْنِهَا طَاهِرَةً.

(٥) الْمِخْضَبُ - بِالْكَسْرِ - إِنْاءٌ وَاسِعٌ تُغْسَلُ فِيهِ الثِّيَابُ.

(٦) طَفِقْنَا: شَرَعْنَا.

قُلْتُ: «ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ، وَخَطَبَهُمْ...»^(١).

إِفْرَأْ مَعَانِي الْوَحْيِ فِي كَلِمَاتِهِ فِي نُسُكِهِ، وَحَيَاتِهِ، وَمَمَاتِهِ
لَوْ نُظِّمَتْ كُلُّ النُّجُومِ مَدَائِحًا كَانَتْ قَلَائِدُهُنَّ بَعْضَ صِفَاتِهِ^(٢)

١٢- أَمَرُهُ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؛

وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الصَّدِيقُ مُقْتَدِيًا بِهِدْيِهِ تَابِعًا لِلْحَقِّ إِذْ خَلَفَا^(٣)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ،
فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ
رَجُلٌ أَسِيفٌ^(٤)، وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُومُ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ.

فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ
أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُومُ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ
عُمَرَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَأَنْتَن صَوَاحِبُ يُوسُفَ»^(٥)، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ.

فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خَفَةً، فَقَامَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٤٢)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٤١٨).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ» (١٠٢٤ / ٧٤).

(٣) «دَوَاوِينُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٦ / ٩٠).

(٤) أَسِيفٌ: رَفِيقُ الْقَلْبِ، إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ.

(٥) صَوَاحِبُ يُوسُفَ: هُنَّ أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَمِنْ مَعَهَا، فَقَدْ أَذْخَلَتْ أَمْرَأَةَ الْعَزِيزِ النِّسَاءَ دَارَهَا، وَأَكْرَمْتُهُنَّ، وَلَمْ
تَقْصِدْ أَكْرَامَهُنَّ، بَلْ قَصَدَتْ أَنْ يَرَيْنَ يُوسُفَ؛ فَيَعْدُرْنَهَا فِي افْتِتَانِهَا بِجَمَالِهِ، فَأَظْهَرَتْ سَيِّئًا، وَأَبْطَنَتْ
غَيْرَهُ، فَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، اعْتَدَرَتْ بِأَنَّ أَبَاهَا رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَهِيَ لَا تَقْصِدُ هَذَا، وَإِنَّمَا تَقْصِدُ أَلَّا يَتَشَاءَمَ
النَّاسُ بِأَبِيهَا، فَيَمُوتُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ قَدْ صَلَّى بِالنَّاسِ، لَكِنْ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ شَيْءٌ أَعْظَمَ، فَقَدْ
كَانَتْ صَلَاةُ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ هِيَ مِنْ أَكْبَرِ التَّمْهِيدِ لِأَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْأُمَّةِ.

يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ^(١)، وَرَجُلَاهُ يَخْطُانِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ، ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي قَاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ^(٢).

١٣- نَظَرَةُ الْوَدَاعِ:

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ^(٣) الْكَمِدِ^(٤) هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ^(٥) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ، كَانَ وَجْهَهُ وَرَقَةً مُصْحَفٍ^(٦)، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ، فَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبِهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ «فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ»^(٧).

يَا مَنْ بَنَى لِلْكَوْنِ أَكْرَمَ أُمَّةٍ مِنْ عِلْمِهِ، مِنْ حِلْمِهِ، وَأَنَاتِهِ^(٨)

(١) يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ: أَيُّ: كَانَ يَمْشِي بَيْنَهُمَا، يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمَا مِنْ ضَعْفِهِ وَتَمَائِلِهِ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٣)، وَمُسْلِمٌ (٤١٨).

(٣) الْوَامِقُ: الْمُحِبُّ.

(٤) الْكَمِدُ: الْمَغْمُومُ.

(٥) «دِيَوَانُ الْمُتَنَبِّي» (٥٠).

(٦) أَيُّ: فِي الْجَمَالِ الْبَارِعِ، وَحُسْنِ الشَّرَةِ، وَصَفَاءِ الْوَجْهِ وَاسْتِنَارَتِهِ.

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٠)، وَمُسْلِمٌ (١٤٩).

(٨) الْأَنَاتَةُ: الْحِلْمُ وَضَبُّ النَّفْسِ.

صَارُوا مُلُوكًا لِلْأَنَامِ بُعِيدَ أَنْ كَانُوا رِعَاءَ الشَّاءِ فِي فَلَوَاتِهِ^{(١)(٢)}

١٤- احتضار النبي ﷺ:

تَفِيضُ كَفَاهُ مِنْ فَوَاضِلِهِ وَمَشْرِقُ الْوَجْهِ حِينَ يُحْتَضَرُ^(٣)
عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، (يُغْطِي مَا اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ)
فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَأَكْرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»
فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ،
يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نَعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ
أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ^(٤).

صَبَرْتَ وَبَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ صَادِقًا وَفُتِّ صَلِيبَ الدِّينِ أَبْلَجَ صَافِيَا
فَلَوْ أَنَّ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَاكَ بَيْنَا سُعِدْنَا وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَاضِيَا
١٥- بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى:

لَهُ السُّودُذُ الْأَعْلَى عَلَى كُلِّ سُودٍ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ الْفَخْرُ فَخْرٌ وَسُودُذُ^(٥)
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ
يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ ثُمَّ يُخِيرُ».

فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غَشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ
بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى».

(١) الْفَلَوَاتُ: جَمْعُ فَلَاةٍ، وَهِيَ الصَّحْرَاءُ.

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (٧٤/ ١٠٢٤).

(٣) دِيوَانُ بَشَّارَ (٧٤٩).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٦٢).

(٥) «دَوَائِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٢٣/ ١٥٧).

قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذَا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»^(١).

وَإِذَا لِقَاءَ اللَّهِ يَأْسُرُ فِي رِضَا وَتَشَوُّقٍ مَنْ كَانَ عَبْدٍ حِصَاتِهِ
وَرَأَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ حَقًّا فَازْدَرَى دُنْيَاهُ وَاسْتَعْلَى عَلَى لَذَائِهِ
فَتَأَلَّقِي - يَا نَفْسُ - فِي نَفْحَاتِهِ وَاسْتَشَرِ فِي الْغَايَاتِ مِنْ غَايَاتِهِ^(٢)
وَقَالَ أَسْتَأْذِنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ -

قَضَى حَيَاةَ الضَّنَى شَوْقًا لِخَالِقِهِ حَتَّى أَتَى الْوَعْدَ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ
تَشْتَأْفُهُ الْخُلْدُ وَالْفِرْدَوْسُ نَاطِرَةً وَالْحُورُ فِي عُرْسِهَا مَوْفُورَةُ الْعَدَدِ

١٦ - الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ:

بَأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمَهْتَدِي
تُوفِّي النَّبِيُّ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الضُّحَى مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُحَدِّثِينَ.

وَرَدَ فِي ذَلِكَ النَّصِّ الصَّرِيحِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
لِابْنَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ)^(٣).
أَرَى ضُحْوَةَ الْاِثْنَيْنِ يَوْمَ تَقَطَّعَتْ قُوَى عِزِّ مَا خَلَّتْهَا أَنْ تَقْطَعَا
فَفَاضَتْ دُمُوعٌ لَا تَقُومُ بِحَقِّهِ وَلَوْ نَزَحَتْ أَمْوَاهُ دِجْلَةً أَجْمَعًا^(٤)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٤٤).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ» (١٠٢٤ / ٧٤).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٨٧).

(٤) دِيوَانُ ابْنِ حَيَّوَسَ (٧٣٨).

١٧- مات النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين:

وما العمر إلا كالبناء فإن يزد على حدّه فهو الرافع المشيّد
بعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فمكث في مكة ثلاث عشرة
سنة، وبالمدينة عشر سنين، ثم قبضه الله إليه وقد تمّ له ثلاث وستون سنة ﷺ.
عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة،
فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحي إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر
سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين^(١).

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: (قبض النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وقبض
أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين)^(٢).

١٨- اليوم الذي دفن فيه النبي ﷺ:

دفنوك وانقلبوا بأعظم حيرة فكأنما دفنوا الكتاب المحكم
دفن ليلة الأربعاء، وهو الذي عليه الأكثرون، واستدلوا لذلك بما روي
عن عائشة رضي الله عنها قالت: (توفي النبي ﷺ يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء)^(٣).
قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر القول الثاني في دفنه - عليه الصلاة
والسلام - يوم الثلاثاء: «هو قول غريب، والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه
من أنه - عليه الصلاة والسلام - توفي يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء»^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٩٠٢).

(٢) مسلم (٢٣٤٨).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٣٠٠ / ٤١) وقال المحققون في طبعة مؤسسة الرسالة: إسناده محتمل

للتحسين. وذكروا متابعتها التي يحسن لأجلها.

(٤) البداية والنهاية (٢٩٢ / ٥).

قال حسان بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد غَيَّيُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَاخُوا بِحَزَنِ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ
يُبْكُونَ مِنْ تَبْكِي السَّمَاوَاتِ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَهُ هَالِكٌ
وَقَالَ سُحُنُونُ:

ليس العظيم الذي قاد ساد أمته
أو استرد لها حقًا بصارمه
إن العظيم الذي مذ جاء أمته
حلت محلًا به ما حلاه أحد !
من ذاك؟ من ذا تحدى كل ذي عظم
ذاك اليتيم حليف الحزن كيف دعا
ذاك الفقير ربيب الفقر كيف بنى
ووحده العرب أهواء ومعتقدًا !
لتلك معجزة التاريخ كم دهشت
بسحر منطقته أو خلقه الحسن
أو زاد عنها العدى أو عف ممتهن
سادت به أممًا سادت مدى الزمن
وحل منها محل الروح للبدن !
في الكون؟ إن لم يكن محمدًا فمن ؟!
إلى الهدى ساخرًا من كل ذي وثن
حضارة مثلها الدهر لم يكن !
وكان بعضهم لبعضٍ ذا إحن
أمامها من نهى جلت ومن فطن^(٢)



(١) الروضُ الأنفُ (٧/ ٥٨٤، ٦٠٢).

(٢) ديوان سحنون (٢٢٧).

تَجْهِيْزُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ وَأَسْوَدَ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ^{(١)(٢)}

١- غَسَلَ النَّبِيُّ ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَرَى^(٣) كَيْفَ نَصْنَعُ، أَنْجَرْدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا نَجَرْدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟.

قَالَتْ: فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّنَةَ^(٤) حَتَّى وَاللَّهِ مَا مِنَ الْقَوْمِ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ نَائِمًا، قَالَتْ: ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ، فَقَالَ: اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، قَالَتْ: فَتَارُوا إِلَيْهِ، فَعَسَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي قَمِيصِهِ يُفَاضُ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَالسَّدْرُ، وَيُدْلِكُهُ الرِّجَالُ بِالْقَمِيصِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنَ الْأَمْرِ مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا نِسَاؤُهُ^(٥).

(١) قَمَرٌ نَاصِلٌ: زَائِلٌ عَنْهُ ضَوْؤُهُ.

(٢) «دِيَوَانُ حَسَّان» (١٧٤).

(٣) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» (٢٧٣٧): «وَاللَّهِ مَا نَرَى كَيْفَ نَصْنَعُ».

(٤) السَّنَةُ - بِوَزْنِ عِدَةٍ - النُّعَاسُ وَأَوَّلُ النَّوْمِ.

(٥) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٥٧٧٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٧٣٣)، وَحَسَنَهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ فِي

«الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ» (٤٧١ / ٢).

٢- كَفَنَ النَّبِيُّ ﷺ

لَوْ صِغَ مِنْ غُرِّ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَا كَفَنُ لِبَسَتْ أَحَاسِنَ الْأَكْفَانِ^(١)
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ،
بَيْضِ سَحُولِيَّةٍ^(٢)، مِنْ كُرْسُفٍ^(٣)، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ^(٤)».



(١) «دِيَوَانُ شَوْقِي» (٥٣١).

(٢) السَّحُولِيَّةُ: ثِيَابٌ قُطْنِيَّةٌ بَيْضٌ، وَقِيلَ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَحُولِ بَلَدٍ بِالْيَمَنِ.

(٣) الْكُرْسُفُ - بَضْمُ الْكَافِ وَالسَّيْنِ - الْقُطْنُ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٦٤).

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفْنُهُ

وَأَظْلَمَتِ الْبِلَادُ عَلَيْهِ حُزْنًا وَقُلْتُ: أَفَارَقَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ^(١)
عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَغْمِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ
فَأَفَاقَ، فَقَالَ: «حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؟...».

وَفِيهِ: فَقَالُوا: لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْبَضَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.
فَقَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، نُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: وَكَيْفَ؟

قَالَ: يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيَكْبَرُونَ وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَدْخُلُ
قَوْمٌ فَيَكْبَرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ.
قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، أَيُدْفَنُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: أَيْنَ؟

قَالَ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَبَضَ اللَّهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ
إِلَّا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ.

فَعَلِمُوا أَنَّ قَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَغْسِلَهُ بَنُو أَبِيهِ.

(١) «دِيَوَانُ جَرِيرٍ» (٢٠٩).

بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عرفوك كنز هدى وذخر مروءة ورأوك سيف وغى وليث مغار
اجتمع المهاجرون يتشاورون، فقالوا: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار
ندخلهم معنا في هذا الأمر، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ لَهُ مِثْلُ هَذَا ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لَنَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٠]، مَنْ هُمَا؟، ثُمَّ
بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَيْعَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً^(١).

وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرٍ
سَبَقَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِيشِ الْمُشَهَّرِ
وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيتَ بِالْغَارِ صَاحِبًا وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ^(٢)

الْبَيْعَةُ الْعَامَّةُ:

أَبَا بَكْرٍ لِمَجْدِكَ حِينَ يَسْمُو بِطَارِفِهِ وَتَضَحُّكَ مِنْ تِلَادِهِ
تَمَّتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْخِلَافَةِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ،
اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ يَوْمِ الثَّلَاثَةِ اجْتَمَعَ النَّاسُ
فِي الْمَسْجِدِ، فَكَانَتْ الْبَيْعَةُ الْعَامَّةُ لَهُ مِنْ عُمومِ الْمُسْلِمِينَ، وَخَطَبَ فِي ذَلِكَ
اليَوْمِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الْأَحَادِ وَالْمَثَانِي» (٣-١٢)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
«الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (٣١١-٣١٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَه» (١٠٢٦).

(٢) «نَهَايَةُ الْأَرْبِ» (١٩/١٠).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ، حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ تُوْفِّي النَّبِيَّ ﷺ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَذُبِّرَنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرُهُمْ، فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -، قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثَانِي اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمِنْبَرِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ: اصْعَدِ الْمِنْبَرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً^(١).

عزاءً أبا بكرٍ فلو جامل الردي كريم أناسٍ كنت ممن يُجامِله
وما ذهب الأصل الذي أنت فرعه ولا انقطع السعي الذي أنت واصله



(١) رواه البخاري (٣٩٠٢).

أَثَرُ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ

لِلَّهِ دَرُكٌ إِنْ عَرَفْتَ مَكَانَهُ فِي قَوْمِهِ، وَوَهَبْتَ مِنْكَ لَهُ يَدًا^(١)

١- مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ:

أَخَذَ السَّمَاءَ^(٢)، وَنَالَ مَنْزِلَةَ الشُّهَى^(٣) وَأَرَاكَ أَبْعَدَ مَاخِذًا وَمَنَا^(٤)

مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ لَا تُضَاهِيهَا مَنْزِلَةٌ، فَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ ﷺ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَقِّهِ، فَحُبُّهُ ﷺ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِذَلِكَ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٦).

(١) «دَوَائِنُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٧ / ١٥).

(٢) السَّمَاءُ: بِالْكَسْرِ - آخِرُ نُجُومِ الصَّيْفِ.

(٣) الشُّهَى: كَوَكَبٌ صَغِيرٌ خَفِيٌّ.

(٤) «ذِيوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٥١١).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٥)، وَمُسْلِمٌ (٤٤).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦٣٢).

إِنَّ الرِّزْيَةَ - لا رِزْيَةَ مِثْلَهَا - مِيتَ بَطِيَّةٍ مِثْلُهُ لَمْ يُفْقَدْ
فَلَقَدْ أُصِيبَ جَمِيعُ أُمَّتِهِ بِهِ مَنْ كَانَ مَوْلُودًا وَمَنْ لَمْ يُولَدْ^(١)
وقال آخر:

إِنْ حَلَّ فِي الْقَلْبِ أَعْلَى مِنْكَ مَنْزِلَةٌ فِي الْحُبِّ إِلَهِي بَارِي النِّسِيمِ
فَمَزَقَ اللَّهُ شِرْيَانِي وَأُورِدَتِي وَلَا مَشْتَبِي إِلَيَّ مَا أَشْتَهِي قَدَمِ^(٢)
وقال آخر:

أَلَا يَا مُحِبَّ الْمُصْطَفَى زِدْ صَبَابَهُ وَضَمِّخْ لِسَانَ الذِّكْرِ مِنْكَ بِطِيهِ
وَلَا تَعْبَأَنَّ بِالْمُبْطِلِينَ فَإِنَّمَا عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ حَبِيبِهِ

٢- مُصِيبَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي فَقْدِ نَبِيِّهِمْ:

فَوَامُصِيَّةَ أَهْلِ الْأَرْضِ أَجْمَعِهِمْ بِفَقْدِهِ حِينَ وَارَوْهُ، وَيَا أَسَفًا!^(٣)
مُصِيبَةُ الْمُسْلِمِينَ بِنَبِيِّهِمْ مُصِيبَةُ الْعُمَرِ، وَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْهَا.
فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ
بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(٤).

أَصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدْ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ

(١) «الزَّهْرَةُ» (١٥١).

(٢) «موسوعة الشعر» (٥٦/٧٧).

(٣) «ذِيوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (١٧٢).

(٤) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الدَّرَامِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٤٠/١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»

(١١٠١).

وَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَشْجَى ^(١) بِهَا فَادْكُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ^(٢)
وقال آخر:

يَقُولُ أَنَسٌ: لَوْ تَعَزَّيْتَ بَعْدَهُ فَكُلُّ عَزَاءٍ ^(٣) فِي مُصَابِكَ عَازِبٌ ^(٤) ^(٥)
٣- تَكْذِيبُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مَوْتَ نَبِيِّهِمْ ﷺ:

فَلَا رُزْءَ ^(٦) مِنْ هَذَا أَعْمُ مُصِيبَةٍ وَلَا خُطْبَ ^(٧) مِنْ هَذَا أَمْرٌ وَأَفْدَحُ ^(٨)
حِينَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَاشَتْ عُقُولُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا
أَنَّ نَبِيَّهُمُ الَّذِي أَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَحْبَبُوهُ أَعْظَمَ مِنْ حُبِّهِمْ
لِأَنْفُسِهِمْ مَاتَ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ،
- يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَعِثَّنَهُ اللَّهُ،
فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ

(١) تَشْجَى بِهَا أَي: تَحْزَنُ بِهَا.

(٢) «أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ» لِلتَّعَالِييِّ (١٠٢).

(٣) الْعَزَاءُ: الصَّبْرُ.

(٤) عَازِبٌ: ذَاهِبٌ غَائِبٌ.

(٥) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٤٥٦/٥١).

(٦) الرُّزْءُ - بِالضَّمِّ - الْمُصِيبَةُ، وَالْجَمْعُ أَرْزَاءٌ.

(٧) الْخُطْبُ - بِالْفَتْحِ - الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْجَمْعُ خُطُوبٌ.

(٨) «دَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (١٧٠/٢٥).

الموتيتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك.

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠)، [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤)، [آل عمران: ٣٠]، قال: فنشج الناس ييكون^(١).

مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا كَيَوْمِكَ مَشْهَدٌ بِهَرِّ الْعُقُولِ، وَلَا أَرَاهُ يَكُونُ لَمْ يُبْقِ مَحْذُورًا فَكُلُّ مُصِيبَةٍ جَلِيلٍ لَدَيْهِ، وَكُلُّ خَطْبٍ دُونَ^(٢) (٣)

٤- لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا:

أَظْلَمَتِ الْأَمَالُ مِنْ بَعْدِهِ وَغُرِبَتْ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ وَطِيبٍ^(٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ»، وقال: «وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِيَ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»^(٥).

وَعَنْهُ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٧٠).

(٢) دُونَهُ أَيُّ: أَقْلُ وَأَصْغَرُ.

(٣) «الْأَفْضَلِيَّاتِ» (٥٧).

(٤) «ذِيوَانُ أَبِي تَمَامٍ» (٤٣٩).

(٥) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٤١٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «حَاشِيَةِ فَهْمِ السَّيْرَةِ»

يَوْمًا قَطُّ، كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَشَهِدَتْهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَفْبَحَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(١).
بِرَغْمِ الْعُلَى، وَالْجُودِ، وَالْمَجْدِ، وَالنَّدَى طَوَاكَ الرَّدَى يَا خَيْرَ حَافٍ وَنَاعِلٍ^(٢)
وَقَالَ آخِرُ:

فَهَذِهِ طَبِيبَةٌ وَالطَّيِّبُ تُرْبَتُهَا اللَّهُ اللَّهُ مَا أَحْلَى أَرَاضِيهَا!
هَذَا الْمَقَامُ، هُنَا حَلَّ الْحَيْبُ هُنَا تَحْكِي دُمُوعُ الْهَوَى أَشْوَاقَ بَاكِئِهَا
هُنَا هُنَا وَدَعَّ الْأَنْصَارُ سَيِّدَهُمْ مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ مَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؟!
هُنَا هُنَا أَسْبَلَ الْأَصْحَابُ مَدْمَعَهُمْ لَا الدَّمْعُ جَفَّ، وَلَا ابْتَلَّتْ صَوَادِيهَا^(٣)

كَمْ كَانَ عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ مَاتَ:

فَوْقَكَ لِلْأَوْقَاتِ لَاشَكَّ غَائِبٌ وَعُمُرُكَ لِلْأَعْمَارِ لَاشَكَّ وَارِثٌ
بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
سَنَةً، وَبِالْمَدِينَةِ عَشَرَ سِنِينَ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَقَدْ تَمَّ لَهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً
ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً،
فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشَرَ
سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ^(٤).

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الدَّرَامِيُّ (٨٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٥١)، وَابْنُ مَاجَهَ (١٦٢١)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا

الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (١/ ١٠٤).

(٢) «أَمَالِي الْقَالِي» (٢/ ١٤٤).

(٣) الصَّوَادِي: جَمْعُ صَادِيَّةٍ، وَهِيَ الْعَطَشُ.

(٤) مُسْلِمٌ (٢٣٤٨).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (قَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَقَبِضَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَقَبِضَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ) ^(١).

يا من ثوى تحت الثرى جُثْمَانُهُ ليت الثرى في مُقْلَتِي فَأَصُونُهُ
لَوْكَأَ مِنْ حَرِّ الْهَوَاجِرِ مُحْجَرِي ووقتكَ من عصف الرياح جُنُونُهُ
لي منك حبُّ ليس فيه تكلفُ رقت حواشيه وجل متُونُهُ
يا كوكبَ الأنوارِ في حلك الدُّجَى لو شين هذا الكون أنت تزيْنُهُ
ضاءتْ بك الدُّنيا فأنت سراجُها وصفنا الزمانُ فأنت أنت معِينُهُ
وملكتْ أفئدة الكرام فما هنا قَلْبٌ كريمٌ غَيْرَ أنت سَكِينُهُ
وحللتْ فوقَ العالمين مراتبا يعنو لها أنف الفتى وجبينُهُ ^(٢)



(١) رواه مُسْلِمٌ (٢٣٤٨).

(٢) «نَفْحُ الطَّيِّبِ» (٤٥٦/٥).

الْخَاتِمَةُ

كَالْغَيْثِ ذِكْرُكَ يَا حَبِيبِي لَمْ يَزَلْ يَشْقِي الْقُلُوبَ مَحَبَّةً وَنَعِيمًا
هَذَا جَهْدٌ مُقَلٌّ، بَذَلْتُ فِيهِ جُهْدًا، وَأَفْرَغْتُ فِيهِ وُسْعًا فَإِنْ تَحَقَّقَ الْمُرَادُ،
فَهُوَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ وَهِدَايَتِهِ، وَإِعَانَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا،
ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وإن كانت الثانية، فأسأل الله أن يعفّر لي زلّتي وتقصيري.

وَقَبْلَ أَنْ أَضَعَ الْقَلَمَ مُودِعًا أَقُولُ لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ فَمَدَحُوا النَّبِيَّ ﷺ
فَمَدَحَهُمْ قَاصِرٌ لَا غِنَاءَ فِيهِ بَعْدَ أَنْ مَدَحَهُ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

يَكْفِيكَ عَنْ كُلِّ مَدْحٍ مَدْحُ خَالِقِهِ وَأَقْرَأْ بِرَبِّكَ مَبْدَأَ سُورَةِ الْقَلَمِ
وَحَسْبُهُ هَذَا الْمَدْحُ الْكَرِيمُ مِنْ رَبِّهِ ﷻ عَزًّا وَشَرَفًا حَيْثُ تَوَجَّهَ رَبُّهُ ﷻ
بِتَاجِ الْكَمَالِ كُلِّهِ، إِذْ لَيْسَ بَعْدَ حُسْنِ الْخُلُقِ حُلِيَّةٌ تَتَحَلَّى بِهَا النُّفُوسُ!، وَلَيْسَ
بَعْدَ مَدْحِ اللَّهِ ﷻ تَاجٌ تَتَوَجَّعُ بِهِ الرُّءُوسُ!

أَرَى كُلَّ مَنْ مَدَحَ النَّبِيَّ مُقَصِّرًا وَإِنْ بَالَغَ الْمُدَاحِ فِيهِ وَأَكْثَرًا
إِذَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ جَاءَ مَدِيحُهُ فَهَلْ سَتُشَرِّفُهُ أَمَادِيحُ الْوَرَى؟!
وَقَالَ آخِرُ:

أَضَاءَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَعِشْتَ مُمَجَّدًا وَغَبَّتَ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا زَلَّتْ سِيدَا
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَقْفَةٍ فَقَدْ مَاتَتِ الْأَسْمَاءُ إِلَّا مُحَمَّدًا

وختامًا حقٍّ لمن بدأ بعنبرٍ أن يَخْتِمَ بِمِسْكِ، ولا مسكٍ أطيبُ من الصَّلَاةِ
والسَّلامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

إنَّ أَنْتَ أَكْثَرْتَ الصَّلَاةَ عَلَى الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ
وَجَعَلَتْهَا وَرْدًا عَلَيْكَ مُحْتَمًّا حَلَّتْ عَلَيْكَ بِشَائِرُ الْخَيْرَاتِ

وَكَتَبَهُ / فَيَصِلُ الْحَاشِدِيُّ

الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ ٢٥ ربيع أول سنة ١٤٤٠ هـ.

٠٠٩٦٧٧٧١٣٩٩٤١٠



فهرس الموضوعات

٥	قَالُوا فِي الْكِتَابِ
٩	المُقَدِّمَةُ
١١	اسْمُهُ وَكُنْيَتُهُ
١١	١ - مُحَمَّدٌ
١٢	٢ - أَحْمَدُ
١٣	٣ - الْحَاشِرُ
١٣	٤ - الْمَاجِي
١٣	٥ - الْعَاقِبُ
١٤	٦ - الْمُتَوَكِّلُ
١٤	٧ - نَبِيُّ التَّوْبَةِ
١٤	٨ - نَبِيُّ الرَّحْمَةِ
١٥	٩ - نَبِيُّ الْمَلَا حِم
١٥	١٠ - الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ
	كُنْيَتُهُ
١٧	نَسَبُهُ
١٨	١ - نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ
١٨	نَسَبُهُ كَمَا يَسُوقُهُ عُلَمَاءُ النَّسَبِ
١٩	٢ - نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ
٢١	حَفِظَ اللَّهُ لَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ
٢٢	اصْطَفَاءُ اللَّهِ لَهُ
٢٢	١ - اصْطِفَاءُ النَّبَوَّةِ
٢٣	٢ - اصْطِفَاءُ النَّسَبِ
٢٣	٣ - اصْطِفَاءُ الْمَكَانِ

- ٢٤ ٤- اصْطِفَاءُ الزَّمَانِ
- ٢٥ ٥- اصْطِفَاءُ النَّاسِ
- ٢٧ صِفَاتُهُ الْخَلْقِيَّةُ
- ٢٨ ١- صِفَةُ وَجْهِهِ وَأَعْضَائِهِ
- ٣١ ٢- صِفَةُ رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ
- ٣٢ ٣- صِفَةُ شَعْرِ رَأْسِهِ
- ٣٣ ٤- صِفَةُ الشَّيْبِ فِي رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ
- ٣٤ ٥- صِفَةُ مَنْكِبَيْهِ
- ٣٤ ٦- صِفَةُ ذِرَاعَيْهِ
- ٣٥ ٧- صِفَةُ الْقَدَمَيْنِ
- ٣٥ ٨- صِفَةُ النُّبُوَّةِ
- ٣٦ ٩- طِيبُ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٣٨ مَوْلِدُهُ ﷺ
- ٤١ مَا حَصَلَ يَوْمَ مَوْلِدِهِ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ
- ٤٤ مُرْضَعَاتُهُ ﷺ
- ٤٤ ١- ثَوْبِيَّةُ مَوْلَاةِ أَبِي لَهَبٍ:
- ٤٥ ٢- امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ:
- ٤٦ وَفَاةُ وَالِدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
- ٤٧ وَفَاةُ أُمِّهِ أَمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ:
- ٤٩ عَوْدَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ ﷺ:
- ٥٠ كَفَالَةُ جَدِّهِ لَهُ ﷺ:
- ٥٠ كَفَالَةُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَهُ ﷺ:
- ٥٢ سَفَرُهُ إِلَى الشَّامِ
- ٥٦ حَيَاتُهُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ﷺ
- ٥٦ ١- التَّحَلِّيُ بِالْمَكَارِمِ
- ٥٧ ٢- رَعْيُ الْغَنَمِ
- ٥٨ ٣- لَمْ يَعْمَلْ أَعْمَالَ الْجَاهِلِيَّةِ

- ٤- شَهِدَ حِلْفَ الْفُضُولِ مَعَ عُمُومَتِهِ..... ٥٩
- ٥- زَوَّجَهُ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا..... ٦٠
- ٦- مُشَارَكَتُهُ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ..... ٦٢
- ٧- وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ..... ٦٣
- الِشَّارَاتُ بِهِ ﷺ..... ٦٦
- ١- بَشَارَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَاتِّبَاعِهِمْ..... ٦٦
- ٢- قِصَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٧١
- ٣- قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٧٤
- ٤- قِصَّةُ هِرْقَلِ مَلِكِ الرُّومِ..... ٨١
- ٥- قِصَّةُ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٨٦
- ٦- إِخْبَارُ الْكُهَّانِ وَالْجَانِ بِبَعْثِهِ ﷺ..... ٩٢
- الْبَعْثَةُ النَّبَوِيَّةُ..... ٩٥
- ١- نُزُولُ الْوَحْيِ..... ٩٥
- ٢- فَتْرَةُ الْوَحْيِ..... ٩٩
- ٣- كَيْفَ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ؟..... ١٠١
- نُبِيَّاءُ بَاقِرَاءُ وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّتْرِ..... ١٠٣
- الدَّعْوَةُ السَّرِيَّةُ..... ١٠٤
- مِنْ ثَمَارِ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ١٠٥
- الدَّعْوَةُ الْجَهْرِيَّةُ..... ١٠٧
- أَذَى الْمُشْرِكِينَ لِرُسُولِ اللَّهِ ﷺ..... ١٠٩
- ١- مُحَاوَلَةُ صَدِّهِ عَنْ طَرِيقِ عَمِّهِ..... ١٠٩
- ٢- الْإِيذَاءُ النَّفْسِي..... ١١٢
- أ - الْجُنُونُ:..... ١١٢
- ب - السَّحَرُ:..... ١١٢
- ج - الْكَذِبُ:..... ١١٣
- د - الْإِثْبَانُ بِالْأَسَاطِيرِ:..... ١١٣
- هـ - قَوْلُهُمْ: الْقُرْآنُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ:..... ١١٣

- و - السَّعْرُ: ١١٤
- ط - تَشَيُّتُ اللّٰهَ لَهُ..... ١١٥
- ٣- أَذَى الْمُشْرِكِينَ الْجَسَدِيُّ.....
- أ - مُحَاوَلَةُ قَتْلِهِ: ١١٧
- ب - إلقاء سلا الجزور على ظهره: ١١٨
- ج- أَشَدُّ مَا لَاقَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ..... ١١٩
- ٤- إِيذَاءُ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ..... ١٢٠
- الهجرة إلى الحبشة..... ١٢٤
- ١- الهجرة الأولى: ١٢٤
- ٢ - الهجرة الثانية إلى الحبشة: ١٢٥
- وَفْدُ قُرَيْشٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ..... ١٢٨
- إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ١٢٩
- حِصَارُ الشَّعْبِ..... ١٣٢
- مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ..... ١٣٤
- مَوْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا..... ١٣٦
- زواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا..... ١٣٨
- خُرُوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ..... ١٤٠
- الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ..... ١٤٣
- قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ..... ١٤٦
- يَبْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى..... ١٥٣
- يَبْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ..... ١٥٧
- الهجرة..... ١٦١
- قِصَّةُ سُرَاقَةِ بَنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ١٦٥
- كَيْفَ اسْتَقْبَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٦٩
- نزول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِبَاءَ..... ١٧٠
- بِنَاءُ مَسْجِدِ قُبَاءَ: ١٧٠
- نُزُولُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَحْوَالِهِ بَنِي النَّجَارِ..... ١٧١

- ١٧٤ التَّكْيُفُ فِي الْمَدِينَةِ
- ١٧٧ طَابَتْ الْمَدِينَةُ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ١٧٨ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ:
- ١٧٩ صِفَةُ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ
- ١٨١ الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
- ١٨١ قُطُوفٌ مِنَ الْمُؤَاخَاةِ:
- ١٨٣ دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ١٨٤ الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ:
- ١٨٥ أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
- ١٨٦ تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ:
- ١٨٨ غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى
- ١٨٩ أَبُو سَفْيَانَ يَرْسِلُ لِقْرِيشٍ يَطْلُبُ مِنْهَا النْفِيرَ
- ١٩٠ أَرْسَلَ أَبُو سَفْيَانَ لِقْرِيشٍ يَطْلُبُ مِنْهَا الرُّجُوعَ
- ١٩٠ سِيرَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَدْرٍ
- ١٩٣ مَقْتُلُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ
- ١٩٤ الزَّبِيرُ يَقْتُلُ عُيَيْدَةَ بْنَ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ
- ١٩٥ مَقْتُلُ عَدُوِّ اللَّهِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ
- ١٩٥ حِكَايَةُ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ
- ١٩٧ قِتَالُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرِ
- ٢٠٠ عَدَدُ الْقَتْلَى وَالْأَسْرَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرِ
- ٢٠٠ أُسَارَى بَدْرِ
- ٢٠١ فَضَائِلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْمَلَائِكَةِ
- ٢٠٢ هَاجَرَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٢٠٣ زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٢٠٤ - تَزَوُّجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتِ خُزَيْمَةَ أُمِّ الْمَسَاكِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٢٠٥ زَوَاجُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٢٠٦ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

- ٢٠٨ قَتَلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ.
- ٢١٠ إِجْلَاءُ بَنِي قَيْنِقَاعَ:
- ٢١٢ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ.
- ٢١٤ غَزْوَةُ أُحُدٍ.
- ٢١٤ ١- سَبَبُ التَّسْمِيَةِ:
- ٢١٤ ٢- سَبَبُهَا:
- ٢١٤ ٣- رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رُؤْيَا مَنَامِيَّةً قَبْلَ عِلْمِهِ بِقُدُومِ الْمُشْرِكِينَ.
- ٢١٥ ٤- الِاسْتِعْدَادُ لَهَا:
- ٢١٥ ٥- تَنْظِيمُ الْجَيْشِ:
- ٢١٦ ٦- التَّقَاءُ الصَّفِيِّنَ:
- ٢١٧ ٧- انْقِلَابُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ:
- ٢١٨ ٨- دِفَاعُ الصَّحَابَةِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ:
- ٢١٩ ٩- جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ يَنْزِلَانِ لِلدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
- ٢١٩ ١٠- دَوْرُ النِّسَاءِ فِي الْمَعْرَكَةِ:
- ٢٢٠ ١١- انْسِحَابُ الْمُسْلِمِينَ:
- ٢٢١ ١٢- نَزُولُ النَّعَاسِ:
- ٢٢١ ١٣- فَشَلُّ الْمُشْرِكِينَ فِي حَسْمِ الْمَعْرَكَةِ:
- ٢٢٣ ١٤- مَا أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ فِي أُحُدٍ:
- ٢٢٣ ١٥- فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ أَبِيهَا ﷺ:
- ٢٢٤ ١٦- تَفَقُّدُ النَّبِيِّ ﷺ الشَّهَدَاءِ، وَدَفْنُهُمْ:
- ٢٢٤ ١٧- عَدَدُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ:
- ٢٢٥ ١٨- اسْتِشْهَادُ أَسَدِ اللَّهِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
- ٢٢٦ ١٩- اسْتِشْهَادُ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
- ٢٢٧ ٢٠- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُظِلُّهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ ..
- ٢٢٨ ٢١- عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ يَطُأُ بَرَجِلَهُ فِي الْجَنَّةِ:
- ٢٢٩ ٢٢- حَنْظَلَةُ تُغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ:
- ٢٢٩ ٢٣- عَمْرُو بْنُ أَقِيْسَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً:

- ٢٤ - سَبَبُ انْكِسَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي أُحُدٍ: ٢٣٠
- ٢٥ - الرجوعُ إلى المدينة ٢٣١
- غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ٢٣٣
- تَرْوُجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَزِينِ بْنِ جَحْشٍ ٢٣٣
- بَعَثُ الرَّجِيعِ ٢٣٥
- تَرْوُجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ ٢٣٧
- تَعْلَمُ لُغَةَ الْيَهُودِ ٢٣٨
- رَجِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودِيَّ وَالْيَهُودِيَّةَ ٢٣٩
- غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ٢٤٠
- تَرْوُجُ النَّبِيِّ ﷺ بِجَوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٢٤١
- بَعَثُ بَنِي مُعَوْنَةَ: ٢٤٣
- كَشَفُ الْمُنَافِقِينَ عَنْ حِقْدِهِمْ ٢٤٤
- ١ - تَخْذِيلُ النَّاسِ: ٢٤٤
- ٢ - إِثَارَةُ الْعَصَبِيَّةِ: ٢٤٥
- ٣ - إِيدَاءُ النَّبِيِّ ﷺ: ٢٤٦
- غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ (الْأَحْزَابُ) ٢٥٠
- ١ - وَقْتُهَا: ٢٥٠
- ٢ - سَبَبُهَا: ٢٥٠
- ٣ - كَيْفَ تَجَمَّعَ الْأَحْزَابُ؟: ٢٥٠
- ٤ - عَدَدُ جَيْشِ الْأَحْزَابِ: ٢٥٠
- ٥ - عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ: ٢٥١
- ٦ - انْقِسَامُ النَّاسِ تَجَاهَ الْأَحْزَابِ: ٢٥١
- ٧ - حَفْرُ الْخَنْدَقِ: ٢٥١
- ٨ - أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ فَوَضَعُوا فِي الْحَصُونِ ٢٥٢
- ٩ - تَنْظِيمُ الْجَيْشِ: ٢٥٢
- ١٠ - مُشَارَكَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ: ٢٥٣
- ١١ - نَقْضُ قُرَيْطَةَ لِلْعَهْدِ: ٢٥٤

- ١٢- انجلاء الغمة: ٢٥٤
- ١٣- مدة لبث الحصار: ٢٥٦
- ١٤- البشارة بتغيير الاستراتيجية الحربية ٢٥٦
- ١٥- ما حصل في غزوة الأحزاب من المعجزات ٢٥٧
- غزوة بني قريظة ٢٥٩
- ١- سبب الغزوة: ٢٥٩
- ٢- وقتها: ٢٥٩
- ٣- تعجل النبي ﷺ لقتالهم: ٢٥٩
- ٤- جبريل عليه السلام في موكب من الملائكة: ٢٦٠
- ٥- حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة: ٢٦٠
- ٦- ضرب أعتاق اليهود: ٢٦٤
- ٧- المرأة الوحيدة التي قتلت من بني قريظة ٢٦٥
- قتل أبي رافع سلام بن أبي رافع اليهودي ٢٦٦
- غزوة الحديبية ٢٦٨
- ١- موقع الحديبية: ٢٦٨
- ٢- وقتها: ٢٦٨
- ٣- المقصود منها: ٢٦٨
- ٤- مشاورة النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم: ٢٦٩
- ٥- صلاة الخوف: ٢٧٠
- ٦- ثنية المزار: ٢٧٠
- ٧- بروك الناقة: ٢٧١
- ٨- الحكمة من بروك الناقة: ٢٧٢
- ٩- إخبار النبي ﷺ قريشاً بمقصده: ٢٧٢
- ١٠- بيعه الرضوان: ٢٧٣
- ١١- سلمه بن الأكوع رضي الله عنه يبيع النبي ﷺ ثلاث مرات ٢٧٣
- ١٢- ما حصل في الحديبية من المعجزات ٢٧٥
- صلح الحديبية ٢٧٧

- ٢٨٠ التَّهَيُّؤُ لِلْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.
- ٢٨٠ نزول سورة الفتح.
- ٢٨١ صَلُحُ الْحَدِيثِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَتْوحِ.
- ٢٨٢ إِيصَابُهُ النَّبِيِّ ﷺ بِسِحْرِ الْيَهُودِ.
- ٢٨٤ إِرسَالُ الْكُتُبِ لِدَعْوَةِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْراءِ إِلَى الْإِسْلَامِ.
- ٢٨٥ ١- رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى قَيْصَرَ:
- ٢٨٧ ٢- رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى كِسْرَى:
- ٢٨٩ غَزْوَةُ ذَاتِ الْقَرَدِ.
- ٢٩٥ غَزْوَةُ خَيْبَرَ.
- ٢٩٥ ١- مَوْفَعُهَا:
- ٢٩٥ ٢- سَبَبُهَا:
- ٢٩٥ ٣- وَقْتُهَا:
- ٢٩٦ ٤- الاستعداد للمعركة:
- ٢٩٦ ٥- فَتْحُ خَيْبَرَ:
- ٣٠٠ ٦- تَعْجِيلُ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ:
- ٣٠٠ قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ:
- ٣٠١ حِكَايَةُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ:
- ٣٠٣ زَوَاجُهُ ﷺ مِنْ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
- ٣٠٦ قُدُومُ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِ السَّفِينَةِ.
- ٣٠٨ زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
- ٣٠٨ قِصَّةُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَلَاطٍ السَّلْمِيِّ مَعَ قُرَيْشٍ.
- ٣١٠ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ.
- ٣١٠ سَبَبُ تَسْمِيَّتِهَا.
- ٣١١ وَقْتُهَا.
- ٣١١ سَبَبُهَا.
- ٣١١ ما حصل في غزوة ذات الرقاع.
- ٣١١ ١- اختراط رجل من المشركين لسيف رسول الله ﷺ.

- ٢- قِصَّةُ جَمَلِ جَابِرٍ ٣١٢
- ٣- أَفْرَاحُ الْحُمْرَةِ وَقَرِيَّةُ النَّمْلِ ٣١٤
- ٤- قِصَّةُ عَبَّادِ بْنِ بِشْرِ وَعَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنهما ٣١٤
- إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنهما ٣١٦
- عُمْرَةُ الْقَضَاءِ ٣١٨
- ١- وَقْتُهَا: ٣١٨
- ٢- كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ؟ ٣١٩
- ٣- إِظْهَارُ الْقُوَّةِ وَالْجَدَلِ ٣١٩
- ٤- خَوْفُ الصَّحَابَةِ عَلَى نَبِيِّهِمْ ﷺ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ٣٢٠
- ٥- مُدَّةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ٣٢١
- زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَيْمُونَةَ رضي الله عنها ٣٢٢
- تَصَالُحُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَهْلِ خَيْبَرَ ٣٢٣
- غَزْوَةُ مُؤْتَةَ ٣٢٥
- ١- وَقْتُهَا: ٣٢٥
- ٢- الْمَلْحَمَةُ: ٣٢٥
- ٣- عَبْقَرِيَّةُ خَالِدٍ: ٣٢٧
- ٤- جَنَاحَانِ لَجَعْفَرٍ فِي الْجَنَّةِ: ٣٢٨
- ٥- مَكَانَةُ شُهَدَاءِ مُؤْتَةَ: ٣٢٩
- غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ٣٣٠
- قِصَّةُ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ ٣٣٢
- وفاة النجاشي ٣٣٣
- فَتْحُ مَكَّةَ ٣٣٤
- ١- وَقْتُهَا: ٣٣٤
- ٢- سَبَبُهَا: ٣٣٥
- ٣- السَّرِّيَّةُ التَّامَّةُ: ٣٣٦
- ٤- لِقَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ قَدِمَ مُهَاجِرًا: ٣٣٨
- ٥- زيارَةُ الرِّسُولِ ﷺ قَبْرِ أُمِّهِ ٣٣٩

- ٦- وصولُ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ ٣٣٩
- ٧- جَنِي الْكَبَاثِ ٣٤٠
- ٨- عَسَكَرَ الْجَيْشُ فِي مَرَّ الظَّهْرَانِ: ٣٤٠
- ٩- اسْتِعْرَاضُ الْجَيْشِ: ٣٤٢
- ١٠- حِكَايَةُ دُخُولِ الْجَيْشِ الْمُطَفَّرِ مَكَّةَ: ٣٤٣
- ١١- كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ؟: ٣٤٤
- ١٢- تَطْهِيرُ الْبَيْتِ مِنَ الْأَوْثَانِ: ٣٤٦
- ١٣- طَوَافُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْبَيْتِ ٣٤٧
- ١٤- هَدَمُوا أَوْثَانَ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا: ٣٤٧
- ١٥- دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ مِنْ دُونِ إِحْرَامٍ: ٣٤٩
- ١٦- دُخُولُ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٣٥٠
- غَزْوَةُ حُنَيْنٍ ٣٥٢
- ١- هَوَازِنُ تَحْمِلُ رَايَةَ الشُّرْكِ: ٣٥٢
- ٢- عَدَدُ جَيْشِ هَوَازِنَ: ٣٥٢
- ٣- اسْتِعْدَادُ النَّبِيِّ ﷺ لِمُغَزَاةِ حُنَيْنٍ: ٣٥٣
- ٤- عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ: ٣٥٤
- ٥- ذَاتُ أَنْوَاطٍ: ٣٥٤
- ٦- الْمَعْرَكَةُ: ٣٥٥
- ٧- ثَبَاتُ النَّبِيِّ ﷺ: ٣٥٥
- ٨- شِدَّةُ يَعْقُبُهَا فَرَجٌ: ٣٥٦
- ٩- سَبَبُ هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوَّلَ الْأَمْرِ: ٣٥٨
- ١٠- النَّصْرُ الْعَظِيمُ: ٣٥٩
- ١١- نَزُولُ الْمَلَائِكَةِ ٣٦٠
- ١٢- تَعَقَّبُ الْفَارِثِينَ نَحْوَ نَخْلَةِ أُوطَاسٍ: ٣٦٠
- ١٣- عَدَدُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦٣
- غَزْوَةُ الطَّائِفِ ٣٦٤
- ١- حَالُ الطَّائِفِ: ٣٦٤

- ٢- حِصَارُ الطَّائِفِ: ٣٦٤
- ٣- الْإِيذَانُ بِالرَّحِيلِ: ٣٦٤
- ٤- حِكَايَةُ عَيْدِ الطَّائِفِ: ٣٦٦
- ٥- عُمْرَةُ الْجَعْرَانَةِ: ٣٦٦
- غَنَائِمُ حُنَيْنٍ ٣٦٨
- قِصَّةُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ ٣٧٢
- قُدُومُ وَفْدِ هَوَازِنَ ٣٧٣
- زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْجُونِيَةِ ٣٧٤
- فَتْحُ الطَّائِفِ ٣٧٥
- مَوْعِظَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٣٧٦
- هَجْرُ النَّبِيِّ ﷺ أَزْوَاجَهُ ٣٧٩
- ١- سَبَبُ هَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ ٣٧٩
- ٢- قِصَّةُ هَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَزْوَاجَهُ ٣٨٠
- غَزْوَةُ تَبُوكَ ٣٨٣
- ١- مَوْفِعُهَا: ٣٨٣
- ٢- سَبَبُ الْغَزْوَةِ: ٣٨٣
- ٣- التَّوَجُّهُ لِتَبُوكَ كَانَ مُعَلَّنًا: ٣٨٣
- ٤- تَسْمِيَةُ غَزْوَةِ تَبُوكَ بِغَزْوَةِ الْعُسْرَةِ: ٣٨٤
- ٥- النِّفْقَةُ عَلَى الْجِهَادِ: ٣٨٤
- ٦- شَأْنُ الْأَشْعَرِيِّينَ ٣٨٦
- ٧- عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ: ٣٨٦
- ٨- اسْتِخْلَافُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ: ٣٨٧
- ٩- أَنْاسٌ فِي الْمَدِينَةِ أَخَذُوا أَجْرَ الْغَزْوِ ٣٨٧
- ١٠- بَرَكَهُ الطَّعَامِ ٣٨٨
- ١١- بَرَكَهُ الْمَاءِ ٣٨٨
- ١٢- عَدَدُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ: ٣٨٩
- ١٣- مُرُورُ الْمُسْلِمِينَ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ: ٣٩٠

- ١٤- مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا بَلَغَ تَبُوكَ؟ ٣٩١
- ١٥- مُصَالَحَةُ أَهْلِ أَيْلَةٍ ٣٩١
- ١٦- أَسْرُ أُكَيْدِرٍ ثُمَّ مُصَالَحَتُهُ ٣٩٢
- ١٧- رَجُوعُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ ٣٩٣
- ١٨- مُحَاوَلَةُ اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ ٣٩٣
- ١٩- مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ اقْتَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟ ٣٩٦
- ٢٠- اسْتِقْبَالُ النَّاسِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٣٩٧
- قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ٣٩٨
- الْوُفُودُ ٤٠٢
- ١- وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ: ٤٠٣
- ٢- وَفْدُ الْأَشْعَرِيِّينَ: ٤٠٣
- ٣- وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ: ٤٠٤
- ٤- وَفْدُ دَوْسٍ: ٤٠٥
- ٥- وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ: ٤٠٥
- ٦- وَفْدُ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ: ٤٠٦
- ٧- وَفْدُ نَجْرَانَ: ٤٠٨
- ٨- وَفْدُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَنْ قَوْمِهِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ: ٤٠٨
- ٩- وَفْدُ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَأَخْبَارُهُ: ٤١٠
- ١٠- وَفْدُ حَضَرَ مَوْتَ ٤١٣
- ١١- وَفْدُ مَذْحَجٍ ٤١٤
- وفاةُ أُمِّ كَلثُومِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤١٥
- حَجُّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِالنَّاسِ ٤١٦
- ولادةُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤١٨
- بَعَثُ مُعَاذٍ وَأَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الْيَمَنِ ٤١٩
- مَوْتُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤٢٠
- قدومُ وَفْدِ بُجَيْلَةَ ٤٢١
- إِسْلَامُ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤٢١

- ٤٢٢ هَدُمَ ذِي الْخَلَصَةِ
- ٤٢٣ حَنِينُ الْجِدْعِ إِلَيْهِ ﷺ
- ٤٢٤ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَعَلِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الْيَمَنِ
- ٤٢٦ حَجَّةُ الْوَدَاعِ
- ٤٢٦ ١- سَبَبُ تَسْمِيَةِ هَذِهِ الْحَجَّةِ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ:
- ٤٢٧ ٢- وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ:
- ٤٢٧ ٣- فَضَّلَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ:
- ٤٢٨ ٤- الْخُرُوجُ إِلَى الْحَجِّ:
- ٤٣١ مَرَضَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتَهُ
- ٤٣١ ١- نَعِيَ اللَّهُ ﷻ نَبِيَّهُ إِلَى نَفْسِهِ:
- ٤٣٢ ٢- نَعِيَ النَّبِيَّ ﷺ نَفْسَهُ إِلَى النَّاسِ:
- ٤٣٢ ٣- ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ ﷺ:
- ٣٣٤ ٤- خُطْبَتُهُ ﷺ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ
- ٤٣٤ ٥- إِخْبَارُهُ ﷺ أَنَّ الْمَنَافِقِينَ سَيُخْرِجُونَ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٤٣٥ ٦- هُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ الْكِتَابَ
- ٤٣٥ ٧- وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٤٣٦ ٨- تَحْذِيرُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ اتِّخَاذِ قَبْرِهِ مَسْجِدًا
- ٤٣٦ ٩- إِنْفَاقُ النَّبِيِّ ﷺ مَا عِنْدَهُ
- ٤٣٧ ١٠- رَجُوعُ جَيْشِ أَسَامَةَ مِنَ الْجُرْفِ
- ٤٣٧ ١١- ثَقُلَ الْوَجَعُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:
- ٤٣٩ ١٢- أَمَرَهُ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ:
- ٤٤٠ ١٣- نَظَرُهُ الْوَدَاعِ:
- ٤٤١ ١٤- احْتِضَارُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٤٤١ ١٥- بَلَ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى:
- ٤٤٢ ١٦- الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ
- ٤٤٣ ١٧- مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ
- ٤٤٣ ١٨- الْيَوْمُ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ

- ٤٤٥ تَجْهِيْزُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٤٤٥ ١- غُسْلُ النَّبِيِّ ﷺ:
- ٤٤٦ ٢- كَفْنُ النَّبِيِّ ﷺ:
- ٤٤٧ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَفْنُهُ
- ٤٤٨ يَبْعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
- ٤٤٨ الْبَيْعَةُ الْعَامَّةُ
- ٤٥٠ أَثَرُ وِفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ
- ٤٥٠ ١- مَنَزَلَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ:
- ٤٥١ ٢- مُصِيبَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي فَقْدِ نَبِيِّهِمْ:
- ٤٥٢ ٣- تَكْذِيبُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مَوْتَ نَبِيِّهِمْ ﷺ:
- ٤٥٣ ٤- لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا:
- ٤٥٤ كَمْ كَانَ عُمْرُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ مَاتَ
- ٤٥٦ الْخَاتِمَةُ
- ٤٥٨ فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ



الْعَسَلُ الْمُصَفَّى مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
أَشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ سِيرَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَوْلَدِهِ حَتَّى النِّحَاقِ بِالرَّفِيقِ
الْأَعْلَى

وَتَمَيَّزَ بِأَمْرَيْنِ:

١- التَزَامُ الصَّحَّةَ.

٢- الْأَسْلُوبُ الْأَدَبِيُّ.

مَعَ ذِكْرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَسَبِ الْمَوَاطِنِ الْمُتَرَابِطَةِ، وَكَأَنَّكَ تَعِيشُ
فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ خَطْوَةً بِخَطْوَةٍ وَتَرَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابَهُ عِيَانًا.

" إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَتُرِيدُ فِي دُنْيَاكَ أَنْ تَلْقَاهُ
وَيَهْزُكَ الشَّوْقُ الْعَظِيمُ لِأَنْ تَرَى
فَعَلَيْكَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى؛ إِنَّهُ
سَارَ الْمُؤَلَّفُ فِيهِ مُنْتَقِيًا لِمَا
وَتَجَنَّبَ الْخَبَرَ الضَّعِيفَ مُنْزَّهَا
وَتُرِيدُ فِي دُنْيَاكَ أَنْ تَلْقَاهُ
أَخْبَارَهُ وَحَدِيثَهُ وَخُطَاهُ
سِفْرٌ كَأَنَّكَ فِي السُّطُورِ تَرَاهُ
قَدْ صَحَّ عِنْدَ الْعَارِفِينَ شَدَاهُ
وَبَأْجَمَلِ الْأَشْعَارِ قَدْ حَلَّاهُ "

الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
حضر موت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٢٠٥٣٤١٥٩٨
alshafibooks@gmail.com

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن